



طوقوز آلتی صحیفه بو کتابدر

باكسلي تأخيط

٤٠٠

الجزء الاول من كتاب الحيوان

٤٨

تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

من كتب العبد ...

١٠١٥

ملك هذا الجزء المبارك ...
من كتاب الحيوان للكلبي من فضل ...
الفقير الى ...
بالابتياع الشرعي ...
جمادى الاخر سنة ...

٢٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم وبرحمته اثق

جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل
بينك وبين المعرفة نسبا وبين الصدق سببا وحبب
اليك التثبت وزين في عينك الانصاف واذاقك
حلاوة التقوى واشعر قلبك عز الحق واودع
صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل الطمع
وعرفك ما في الباطل من الذلة وما في الجهل
من القلة ۞ ولعمري لقد كان غير هذا الدعاء
اصوب في امرك وادل على مقدار وزنك وعلى
الحال التي وضعت نفسك فيها ووسمت عرضك بها
ورضيتها لدينك حظا ولمروتك شكلا فقد انتهى
الي ميلك على ابي اسحق وحملك عليه وطعنك
على معبد وتنقصك له في الذي كان جرى بينهما
في مساوي الديك ومحاسنه وفي ذكر منافع الكلب
ومضاره والذي خرجا اليه من استقصاء ذلك
وجمعه ومن تتبعه ونظمه ومن الموازنة بينهما
والحكم فيهما ۞ ثم عبتني بكتاب حيل اللصوص

تعداد كتبه

وكتاب غش الصناعات ۞ وعبتني بكتاب الملح والطرف
وما حر من النوادر وبرد وعاد بارده حارا لفرط
برده حتى امتع باكثر من امتاع الحار ۞ وعبتني
بكتاب احتجاجات البخلاء ومناقضتهم للسمحاء
والقول في الفرق بين الصدق اذا كان ضارا في
العاجل والكذب اذا كان نافعا في الآجل ولم جعلنا
الصدق ابدا محمودا والكذب ابدا مذموما والفرق
بين الغيرة وبين اضاعة الحرمة وبين الافراط في
الحمية والانفة وبين التقصير في حفظ حق الحرمة
وقلة الاكتراث لسوء القالة وهل الغيرة اكتساب
وعادة او بعض ما يعرض من جهة الديانة ولبعض
التزيد فيه والتحسن به او يكون ذلك شيا في طبع
الحرية وحقيقة الجوهرية ما كانت العقول سليمة
والآفات منفية والاخلاط معتدلة ۞ وعبتني بكتاب
الصرحاء والهجناء ومفاخرة السودان والحمران
والموازنة بين حق الخؤولة والعمومة ۞ وعبتني
بكتاب الزرع والنخل والزيتون والاعناب واقسام

فصول الصناعات ومراتب التجارات ، وبكتاب
فضل ما بين الرجال والنساء وفرق ما بين الذكور
والاناث وفي أي موضع يغلبن ويفضلن وفي
أي موضع يكن المغلوبات والمفضولات ونصيب
أيهما في الولد أوفر وفي أي موضع يكون حقهن
أوجب وأي عمل هو بهن أليق وأي صناعة هن
فيها أبلغ ، وعبتني بكتاب القحطانية وكتاب العدنانية
في الرد على القحطانية وزعمت أني تجاوزت فيه
حد الحمية الى حد العصبية وأني لم أصل الى تفضيل
العدنانية الا بتنقص القحطانية ، وعبتني بكتاب
العرب والموالي وزعمت أني بخست الموالي حقوقهم
كما أني أعطيت العرب ما ليس لهم ، وعبتني بكتاب
العرب والعجم هو القول في الفرق ما بين الموالي
والعرب ، ونسبتني الى التكرار والترداد والى
التكثير والجهل بما في المعاد من الخطل وتحميل
الناس المؤن ، وعبتني بكتاب الأصنام وبذكر
اعتلالات الهند لها وسبب عبادة العرب اياها

وزعمت أن القول في فرق ما بين العرب والعجم

وكيف اختلفا في جهة العلة مع اتفاقهما على جملة الديانة ،
وكيف صار عباد البددة والمتمسكون بعبادة الاوثان
المنحوتة والأصنام المنجورة أشد الناس إلفا لما دانوا
به وشغفا بما تعبدوا له وأظهرهم جدا وأشدهم
على من خالفهم ضغنا وبما دانوا به صبابة وعجبا ،
وما الفرق بين البد والوثن وما فرق ما بين الوثن
والصنم وما فرق ما بين الدمية والجثة ولم صوروا
في محاريبهم وبيوت عباداتهم صور عظمائهم
ورجال دعوتهم ولم تأنقوا في التصوير وتجودوا
في اقامة التركيب وبالغوا في التحسين والتفخيم
وكيف كانت أولية تلك العبادات وكيف اقترفت
تلك النحل ومن أي شيء كانت خدع السدنة
وكيف لم يزل الأكثر الاصناف عددا وكيف شمل
ذلك المذهب الاجناس المختلفة ، وعبتني بكتاب
المعادن والقول في جواهر الارض وفي اختلاف
أجناس الفلز والاخبار عن ذائبها وجامدها
ومخلوقها ومصنوعها وكيف يسرع الانقلاب

الى بعضها وتباطئ عن بعضها، وكيف صار بعض
الالوان يصبغ ولا ينصبغ، وبعضها ينصبغ ولا
يصبغ، وبعضها يصبغ وينصبغ، وما القول في
الاكسير والتلطيف ۝ وعبتني بكتاب فرق ما
بين هاشم وعبد شمس، وبكتاب فرق ما بين
الجن والانس، وفرق ما بين الملائكة والجن،
وكيف القول في معرفة الهدهد واستطاعة العفريت،
وفي الذي كان عنده علم من الكتاب، وما ذلك العلم،
وما تاويل قولهم كان عنده اسم الله الاعظم، وعبتني
بكتاب الارفاق والرياضات، وما القول في الارزاق
والانفاقات، وكيف اسباب التثمير والترقيح، وكيف
يجتلب التجار الحرفاء، وكيف الاحتيال للودايع،
وكيف التسبب الى الوصايا، وما الذي يوجب لهم
التعديل ويصرف اليهم باب حسن الظن، وكيف
ذكرنا غش الصناعات والتجارات، وكيف التسبب
الى تعرف ما قد ستروا، وكشف ما موهوا، وكيف
باب الاحتراس منه والسلامة من اهله ۝ وعبتني

٦

برسائلي، وبكل ما كتبت به الى اخواني وخلطائي
من مزح وجد، ومن افصاح وتعريض، ومن تغافل
وتوقيف، ومن هجاء لا يزال وسمه باقيا، ومديح لا
يزال اثره ناميا، ومن ملح تضحك، ومواعظ تبكي،
وعبتني برسائلي الهاشميات، واحتجاجي فيها،
واستقصائي معانيها، وتصويري لها في احسن
صورة، واظهاري لها في اتم حلية، وزعمت انّي
قد خرجت بذلك من حد المعتزلة الى حد الزيدية،
ومن حد الاعتدال في التشيع والاقتصاد فيه،
الى حد السرف والافراط فيه، وزعمت ان مقالة
الزيدية خطبة مقالة الرافضة، ومقالة الرافضة
خطبة مقالة الغالية، وزعمت ان في اصل القضية،
والذي جرت عليه العادة، ان كل كبير فاوله
صغير، وان كل كثير فانما هو قليل، وانشدت

قول الراجز ۝

قد يلحق الصغير بالجليل، وانما القرم من الافيل
وسحق النخل من الفسيل،

٧

اشارة الى مذهبه

جمع الى قليله

وانشدت قول الشاعر

رب كبير هاجه صغير ... وفي البحور تغرق البحور

وقلت وقال يزيد بن الحكم

واعلم بني فانه بالعلم ينتفع العليم

ان الامور دقيقها مما يهيج له العظيم

وقلت وقال الاخر

صار جداً ما مزحت به رب جد ساقه اللعب

وانشدت قول الشاعر (وهو عنترة)

٨

ما تنظرون بحق وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب

قد يبعث الامر الكبير صغيره حتى تظل له الدماء تصبب

وقالت كبشة بنت معدي كرب

جدعتم بعبد الله آنف قومه بني مازن ان سب راعي المخزم

وقال الاخر

أتبنا بأن قد نحج الفادح وأي جد بلغ المازح

وعبت كتابي ونقول العرب العصا من العصية وعبت كتابي

مثل

في خلق القرآن كما عبت كتابي في الرد على المشبهة

وعبت كتابي في اصول الفتيا والاحكام كما عبت

والاحكام

كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع

تركيبه وعبت معارضتي للزيدية وتفضيلي الاعتزال

على كل نحلة كما عبت كتابي في الوعيد وكتابي (الوعد؟)

على النصارى واليهود ثم عبت جملة كتبي

في المعرفة والتمست تهجينها بكل حيلة وصغرت

من شأنها وحططت من قدرها واعترضت على

٩

ناسخيها والمنتفعين بها وعبت كتاب الجوابات

وكتاب المسائل وكتاب الرد على اصحاب الالهام

وكتاب الحجة في تثبيت نبوة النبي صلى الله عليه

وسلم وكتاب الاخبار ثم عبت كتابي بصيرة

غنام المرتد وبصيرة كل جاحد وملحد وتفريعي (غنام)

بين اعتزام الغمد وبين استبصار المحق وعبت

كتاب الرد على الجهمية في الادراك وفي قولهم

في الجهالات وكتاب الفرق فيما بين النبي والمتنبي

والفرق بين الحيل والمخاريق وبين الحقائق الظاهرة

٥

والاعلام القاهرة ثم قصدت الى كتابي هذا

بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه والاعتراض

وصف الكتاب

على لفظه والتحقير لمعانيه فزريت على نحته وسبكه
كما زريت على معناه ولفظه ثم طعنت في الغرض الذي
اليه نزعنا والغاية التي اليها اجرينا وهذا كتاب
معناه انبه من اسمه وحقيقته آنق من لفظه وهو كتاب
يحتاج اليه المتوسط العامي كما يحتاج اليه العالم
الخاصي ويحتاج اليه الريض كما يحتاج اليه الحاذق
اما الريض فللتعلم والدربة وللترتيب والرياضة
وللتمرين وتمكين العادة اذ كان جليله يتقدم دقيقه
واذ كانت مقدماته مرتبة وطبقات معانيه منزلة
واما الحاذق فلكفاية المؤونة ولان كل من
التقط كتابا جامعا وبابا من امهات العلم مجموعا
كان له غنمه وعلى مؤلفه غرمه وكان له نفعه
وعلى صاحبه كده مع تعرضه لمطاعن البغاة
ولاعتراض المنافسين ومع عرضه عقله المكدود
على العقول الفارغة ومعانيه على الجهابذة
وتحكيمه فيه المتأولين والحسدة ومتى ظفر
بمثله صاحب علم وهجم عليه طالب فقه وهو وادع

رافه ونشيط جام ومؤلفه متعب مكدود فقد
كفي مؤونة جمعه وخزنه وتتبعه وطلبه واغناه
ذلك عن طول التفكير واستنفاد العمر وفل الحد
وادرك اقصى حاجته وهو مجتمع القوة وعلى ان له عند
ذلك ان يجعل هجومه عليه ضربا من التوفيق وظفره
به بابا من التسديد ۞ وهذا كتاب تستوي فيه رغبة
الامم وتتشابه فيه العرب والعجم لانه وان كان عربيا
اعرابيا واسلاميا جماعيا فقد اخذ من طرف
الفلسفة وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة
واشرك بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان
الحاسة واحساس الغريزة ويشتهيه الفتيان
كما يشتهيه الشيوخ ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه
الناسك ويشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه
الجدي ذو الحزم ويشتهيه الغفل كما يشتهيه
الاديب ويشتهيه الغبي كما يشتهيه الفطن ۞
وعبتني بحكاية قول العثمانية والضرارية وانت
تسمعني اقول في اول كتابي وقالت العثمانية

والضرارية وكما سمعتني اقول وقالت الرافضة
والزيدية فحكمت علي بالنصب لحكايتي قول العثمانية
فهلا حكمت علي بالتشيع لحكايتي قول الرافضة
وهلا كنت عندك من الغالية لحكايتي حجج الغالية
كما كنت عندك من الناصبة لحكايتي قول الناصبة
وقد حكينا في كتابنا قول الاباضية والصفرية
كما حكينا اقاويل الازارقة والنجدية وعلى هذه ١٢
الاركان الاربعة بنيت الخارجية وكل اسم سواها
فانما هو فرع ونتيجة واشتقاق منها ومحمول عليها
فهلا كنا عندك من المحكمة والخارجة كما صرنا
عندك من الضرارية والناصبة وكيف رضيت
بان تكون الشيعة الى اعراض الناس اسرع من
المارقة اللهم الا ان تكون وجدت حكايتي عن
العثمانية والضرارية اشبع واجمع واتم واحكم
واجود صنعة وابعد غاية ورأيتني قد تمنت
حق اولياءك بقدر ما قويت باطل اعدائك ولو كان
ذلك كذلك لكان سامدك من الكتاب حاضرا

وبتمامك على ما ادعيت واضحا وعبتني بكتاب
العباسية فهلا عبتني بحكاية مقالة من ادعى
وجوب الامامة ومن يرى الامتناع من طاعة
الائمة الذين زعموا ان ترك الناس سدى
بلا قيم اردّ عليهم وهملا بلا راع اربح لهم واجدر
ان يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل وغنيمة ١٧
الآجل وان تركهم نشرا لا نظام لهم ابعد لهم
من المفاسد واجمع لهم على المراشد بل ليس
ذلك بك ولكنه لما بهرك ما سمعت وملأ صدرك
الذي قرأت وابعلك وابطرك فلم تتجه للحجة
هي لك معرضة ولم تعرف المقاتل وهي لك
بادية ولم تعرف باب المخرج اذ جهلت باب المدخل
ولم تعرف المصادر اذ جهلت الموارد رأيت
ان سب الاولياء اشفى لدائك وابلغ في شفاء
سقمك ورأيت ان ارسال اللسان احضر لذة
وابعد من النصب ومن اطالة الفكرة ومن
الاختلاف الى ارباب هذه الصناعة ولو كنت

حين فطنت لعجزك، وصلت نقصك بتمام غيرك،
واستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك،
وحبيس على تقويم اشباهك، كان ذلك اذهب في
العاجل، واحق بالمثوبة في الآجل، وكنت ان اخطاتك
الغنيمة لم تخطئك السلامة، ولقد سلم عليك المخالف
بقدر ما ابتلي به منك الموافق، وعلى انه لم يبتل
منك الا بقدر ما الزمته من مؤونة تثقيفك،
والتشاغل بتقويمك، وهل كنت في ذلك الا كما قال
العربي وهل يضر السحاب نباح الكلاب، والا

مثل

كما قال الشاعر

هل يضر البحر امسى زاخرا ان رمى فيه غلام بحجر

وهل حالنا في ذلك الا كما قال الاول

ما ضر تغلب وائل اهجوتها ام بلت حيث تناطح البحران

وقال حسان

ما ابالي انب بالحزن تيس ام لحاني بظهر غيب لئيم

وما اشك انك قد جعلت طول احتمالنا عنك مطية
لك، ووجهت حلمنا عنك الى الخوف منك، وقد

١٤

قال زفر بن الحارث لبعض من لم يرع حق الصفح
فجعل العفو سببا الى سوء القول

ان عدت والله الذي فوق عرشه منحتك مسنون الغرارين ازرقا
فان دواء الجهل ان تضرب الطلى وان يغمس العريض حتى يغرقا

وقال الاول

وما نغني عنك قوما انت خابقهم كمثل وسمك جهالا بجهال
فاقعس اذا حدبوا واحدب اذا قعسوا ووازن الشر مثقالا بمثقال

١٥

وقال الاخر

وضغائن داويتها بضغائن حتى يمتن وبالحقود حقودا

واني وان لم يكن عندي سنان زفر بن الحارث
ولا معارضة ما ولا الشر بالشر والجهل بالجهل
والحقد بالحقد فان عندي ما قال المسعودي كثير

مسا تراب الارض منها خلقنا وفيها المعاد والمصير الى الحشر
ولا تعجبا ان ترجعا فتسلما فما حشي الاقوام شرا من الكبر
فلو شئت ادلى فيكما غير واحد علانية او قال عندي في ستر
فان انا لم آمر ولم انه عنكما ضحكت له حتى يلج ويستشري

وقال النمر بن تولب

جزى الله عني حمزة ابنة نوفل جزاء مغلٍّ بالامانة كاذبِ
بما خبّرت عني الوشاة ليكذبوا علي وقد اوليتها في النوائبِ

يقول اخرجت خبري الى من يشتهي ان اعاب عندها
ولو شئنا لعارضناك من القول بما هو افتح آثارا
وابقى وسمًا واصدق قيلا واعدل شاهدا او ليس
كل من ترك المعارضة فقد صفح كما انه ليس كل
من عارض فقد انتصر وقد قال الشاعر قولا ان
فهمته كفيتنا مؤونة المعارضة وكفيت نفسك
لزوم العار وهو قوله ۞

١٦

ان كنت لا ترهب ذمّي لما تعرف من صفحي عن الجاهلِ
فاخش سكوتي آذنًا منصتًا فيك لمسموع خنا القائلِ
فالسامع الذم شريك له كالمطعم المأكول للآكلِ
مقالة السوء الى اهلها اسرع من منحدرٍ سائلِ
ومن دعا الناس الى ذمّه ذمّوه بالحق وبالباطلِ
فلا تهج ان كنت ذا اربةٍ حرب اخي التجربة العاقلِ
فان ذا العقل اذا هجته هجت به ذا خبلٍ خابلِ
تبصر في عاجل شدّاته عليك غبّ الضرر الآجلِ

وقد يقال ان العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه
من الكريم وقد قال الشاعر ۞

والعفو عند لبيب القوم موعظة وبعضه لسفيه الرأي تدريبُ

فان كنا قد اسأنا في هذا التقريع والتوقيف فالذي لم
يأخذ فينا بحكم القرآن ولا بأدب الرسول ولم يفزع
الى ما في الفطر الصحيحة او الى ما توجبه المقاييس
المطّردة والامثال المضروبة والاشعار السائرة اولى
بالاساءة واحق باللائمة قال الله جل ثناؤه وابراهيم
الذي وفّى ان لا تزر وازرة وزر اخرى وقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تجن يمينك على شمالك
فهذا حكم الله جل وعز وادب رسوله والذي انزل
به الكتاب ودل عليه في حجج العقول فاما ما قالوا
في المثل المضروب رمتني بدائها وانسلّت واما
قول الشعراء وذم الخطباء لمن اخذ انسانا بذنب
غيره وما ضربوا في ذلك من الامثال كقول النابغة

وكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العرّ يكوى غيره وهو راتعُ

وكانوا اذا اصاب ابلهم العرّ كووا السليم ليذهب العرّ

١٧

مثل

عن السقيم فاستقموا الصحيح من غير ان يبرؤا
السقيم وكانوا اذا كثرت ابلهم فبلغت الالف فقؤا
عين الفحل فان زادت الابل على الالف فقؤا عينه
الاخرى فذلك المفقا والمعمى اللذان سمعت بهما
وكانوا يزعمون ان المفقا يطرد عنها العين والسواف

١٨

والغارة فقال الاول

فقات لها عين الفحيل تعيفا وفيهن رعلاء المسامع والحامي

الرعلاء التي تشق اذنها وتترك مدلاة لكرمها
وكانوا يقولون في موضع الكفارة والامنية كقول
الرجل اذا بلغت ابلي كذا وكذا او كذلك غنمي
ذبحت عند الاوثان كذا وكذا عتيرة من نسك
الرجبية والعتاير من الشاء فاذا بلغت ابل احدهم
وغنمه ذلك العدد استعمل التاويل وقال انما
قلت اني اذبح كذا وكذا شاة والظباء شاء كما ان
الغنم شاء فجعل ذلك القربان كله مما يصيد من
الظباء فلذلك يقول الحارث بن حلزة

عنتا باطلا وظلما كما تعتر عن حجرة الربيض الظباء

والعتيرة

ثانية أول

بعد ان قال

ام علينا جناح كندة ان يغنم غازيهم ومنا الجزاء

وكانوا اذا اوردوا البقر فلم تشرب اما لكدر الماء
واما لقلة العطش ضربوا الثور ليقتحم الماء لان
البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل وكما تتبع اتن
الوحش الحمار فقال في ذلك عوف بن الخرع

تمنت طيء جهلا وجبنا وقد خاليتهم فابوا خلائي
هجوني ان هجوت جبال سلمى كضرب الثور للبقر الظماء

وقال في مثل ذلك انس بن مدركة في قتله

١٩

سليك بن السلكة

اني وقتلي سليكا ثم اعقله كالثور يضرب لما عافت البقر
انفت للمرء اذ تغشى حليلته واذ يشد على وجعائها الثفر

وقال الهيبان الفهمي

كما ضرب اليعسوب ان عاف باقر وما ذنبه ان عافت الماء باقر

ولما كان الثور امير البقر وهي تطيعه كطاعة
اناث النحل لليعسوب سماه باسم امير النحل
وكانوا يزعمون ان الجن هي التي تصد الثيران

عن الماء حتى تمسك البقر عن الشرب حتى
تهلك ۝ وقال الأعشى

وإني وإن كلفتموني لربكم لأعلم من أمسى أحق وأحوبا
لكالثور والجني يضرب ظهره وما ذنبه أن عافت الماء مشربا
وما ذنبه أن عافت الماء باقر وما إن تعاف الماء إلا ليضربا

كأنه قال إذا كان يضرب أبدا لأنها عافت الماء
فكأنها إنما عافت الماء ليضرب وقال يحيى بن
منصور الذهلي ۝

لكالثور والجني يضرب وجهه وما ذنبه أن كانت الجن ظالمة

٢٠

وقال نهشل بن حري ۝

أتترك عارض وبنو عدي وتغرم دارم وهم براء
كداب الثور يضرب بالهراوى إذا ما عافت البقر الظماء
وكيف تكلف الشعرى سهيلا وبينهما الكواكب والسماء

وقال نويرة بن حصين حين أخذه الحكم بن
أيوب بذنب العطرق ۝

أبا يوسف لو كنت تعرف طاعتي ونصحي إذا ما بعتني بالمحلق
ولا ساق سراق العراقة صالح بني ولا كلفت ذنب العطرق

وقال خداش بن زهير حين أخذ بدماء بني
محارب ۝

أكلف قتلى معشر لست منهم ولا دارهم داري ولا نصرهم نصري
أكلف قتلى العيص عيص شواحط وذلك أمر لم تشعر له فذري

وقال الآخر ۝

إذا عركت عجل بنا ذنب طيئ عركنا بتيم اللات ذنب بني عجل

ولما وجد اليهودي أخا حنيص الضبابي في منزله
فخصاه فمات وأخذ حنيص بني عبس بجنايته

٢١

اليهودي قال قيس بن زهير إنا أخذنا بذنب
عيرنا وتسلنا العقل والقاتل يهودي من
أهل تيماء قال واسو لو قتله هيف الريح لودينوه
فقال قيس لبني عبس الموت في بني ذبيان
خير لكم من الحياة في بني عامر ثم أنشأ يقول

أكلف ذا الخصيين إن كان ظالما وإن كنت مظلوما وإن كنت شاطنا
خصاه امرؤ من أهل تيماء كاين ولا تعدم الأنسي والجن طابنا
فهلا بني ذبيان امك هابل رهنت بهيف الريح إن كنت راهنا
إذا قلت قد أفلت من شر حنيص أتاني بأخرى شره متباطنا

فقد جعلت اكبادنا تجتويكم • كما تجتوي سوق العضاه الكرازنا •

وَلمّا قتل لقمن بن عاد ابنته وهي صحر بنت لقمن
قال حين قتلها الست امرأة وذلك انه تزوج
عدة نساء كلهن خنه في انفسهن فلما قتل اخراهن
ونزل من الجبل كان اول من تلقاه صحر ابنته
فوثب عليها فقتلها وقال وانت ايضا امرأة
وكان قد ابتلي ايضا بان اخته كانت محمقة
وكذلك كان زوجها فقالت لاحدى نساء
لقمن هذه ليلة طهري وهي ليلتك فدعيني
انم في مضجعك فان لقمن رجل منجب فعسى
ان يقع علي فانجب فوقع على اخته فحملت
بلقيم فهو قول النمر بن تولب

لقيم بن لقمن من اخته • فكان ابن اخت له وابنما •
ليالي حمق فاستحصنت • عليه فغر بها مظلما •
فاحبلها رجل محكم • فجاءت به رجلا محكما •

فضربت العرب المثل بقتل لقمن بنته صحر
فقال خفاف بن ندبة

مطلب

وعباس يدب لي المنايا • وما اذنبت الا ذنب صحر •

وقال في مثل ذلك ابن اذينة

اتجمع تهياما بليلى اذا نات • وهجرانها ظلما كما ظلمت صحر •

وقال الحارث بن عباد

قربا مربط النعامة مني • لقحت حرب وائل عن حيال •
لم اكن من جناتها علم الله • واني بحرها اليوم صال •

وقال الشاعر واظنه ابن المقفع

فلا تلم المرء في شانه • فرب ملوم ولم يذنب •

وقال الآخر

لعل له عذرا وانت تلوم • وكم لائم قد لام وهو مليم •

وقالت العرب في قتل بعض الملوك سنمار
الرومي فانه لما علا الخورنق وراى بنيانا
لم ير مثله وراى ذلك المستشرف وخاف
ان هو استبقاه ان يموت فيبني مثل ذلك
البنيان لملك آخر فامر به فرمي من فوق
القصر فقال في ذلك الكلبي في شيء
كان بينه وبين بعض الملوك

جزاء سنمار

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان سبعين حجة يعلي عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى البنيان تم سحوقه وآض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
فظن سنمار به كل حبرة وفاز لديه بالمودة والقرب
فقال اقذفوا بالعلج من رأس شاهق فذاك لعمر الله من أعظم الخطب
وجاء المسلمون يروي خلف عن سلف وتابع
عن سابق وآخر عن أول انهم لم يختلفوا في
عيب قول الحجاج لآخذن السمي بالسمي
والولي بالولي والجار بالجار ولم يختلفوا

قول حجاج ٢٤

عن لعن شاعرهم حيث قال
اذا اخذ البريء بغير جرم تجنب ما يحاذره السقيم
وقيل لعمرو بن عبيد ان فلانا لما قدم رجلا
ليضرب عنقه فقيل له انه مجنون قال لولا
ان المجنون يلد عاقلا لخليت سبيله قال
فقال عمرو وما خلق الله النار الا بالحق
ولما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم في وقعة
البشر فض الله عمادك واطال سهادك واقل الله

رمادك فوالله ان قتلت الا نساء أسافلهن دمي
وأعاليهن ثدي فقال لمن حوله لولا ان تلد مثلها
لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن فقال ان
الجحاف جذوة من نار جهنم وقال وذم
رجل عند الأحنف الكمأة بالسمن فقال عند
ذلك الأحنف رب ملوم لا ذنب له فهذه السيرة
سيرة فينا وما أحسن ما قال سعيد بن عبد الرحمن

٢٥

ابن حسان حيث قال
وإن امرأ يمسي ويصبح سالما من الناس الا ما جنى لسعيد
وقلت وما بال أهل العلم والنظر وأصحاب العبر
والفكر وأرباب النحل والعلماء بمخارج الملل
وورثة الانبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب
الظرفاء والملحاء وكتب الفراغ والخلعاء وكتب
الملاهي والفكاهات وكتب اصحاب المراء والخصومات
وكتب اصحاب العصبية وحمية الجاهلية حتى
كأنهم لا يحاسبون أنفسهم ولا يوازنون بين ما
عليهم ولهم ولا يخافون تصفح العلماء ولا لائمة

الأدباء وشنف الأكفاء ومساءة الجلساء

فهلا أمسكت رحمك الله عن عيبنا والطعن علينا

وعن المشورة والموعظة وعن تخويف ما فيه سوء

العاقبة الى أن تبلغ حال العلماء ومراتب الاكفاء

فأما كتابنا هذا فانا سنذكر جملة المذهب فيه

وسنأتي بعد ذلك على التفسير له ولعل رأيك

عند ذلك ان يتحول وقولك ان يتبدل فتمنيت

أن تكون قد أخذت من التوقف بنصيب ان شاء

الله ۞ أقول ان العالم بما فيه من الأجسام

على ثلاثة أنحاء متفق ومختلف ومتضاد وكلها

في جملة القول جامد ونام وكان حقيقة القول

في هذه القسمة أن يقال نام وغير نام ولو

كانوا وضعوا لكل ما ليس بنام اسما كما وضعوه

للنامي لا تبعنا أثرهم وانما ننتهي الى حيث

انتهوا وما أكثر ما تكون دلالة قولهم جماد

كدلالة قولهم موات وقد يفترقان في مواضع

بعض الافتراق واذا أخرجت من العالم الافلاك

مقدمة في تقسيم الاجسام

26

14

والبروج والنجوم والشمس والقمر وجدها غير

نامية ولم تجدهم يسمون شيئا منها بجماد ولا موات

وليس لانها تتحرك من تلقاء أنفسها لم تسم جمادا

ولا مواتا ۞ وناس يجعلونها مدبرة غير مدبرة

ويجعلونها مختبرة غير مستخبرة ويجعلونها أحياء

من الحيوان انما تحيا باحيائها لها وبما تعطيها

وتعبرها وانما هذا منهم رأي والامم كلها على

خلافهم ۞ ونحن في هذا الموضع انما نعبر

عن لغتنا وليس في لغتنا الا ما ذكرنا ۞

والناس يسمون الارض جمادا وربما جعلوها

مواتا اذا كانت لم تنبت قديما فهي موات

الارض وذلك كقولهم من أحيا أرضا مواتا

فهي له ۞ وهم لا يجعلون الماء والهواء والنار

جمادا ولا مواتا ولا يسمونها حيوانا ما دامت

كذلك وان كانت لا تضاف الى النمو والحس

والارض أحد الاركان الاربعة التي هي الماء

والأرض والهواء والنار فهذان الاسمان

أركان الحيوان

27

عناصر

النامي قسمان

لا يتغاورن عندهم الا الارض ۞ ثم النامي
على قسمين حيوان ونبات ثم الحيوان على

الحيوان ٤

اربعة اقسام شيء يطير وشيء يعوم
وشيء ينساح وشيء يمشي الا ان كل
طائر يمشي وليس كل شيء يمشي فهو
طائر ۞ والنوع الذي يمشي على اربعة

ما يمشي ٤

اقسام ناس وبهائم وسباع وحشرات
والحشرات راجعة في الحقيقة والمعنى
الى مشاكلة طباع البهائم والسباع الا اننا
في هذا كله انما نتبع الاسماء القائمة المعروفة
البائنات بانفسها المتميزات عندنا معها
من اهل هذه اللغة واصحاب هذا اللسان فانما
نفرد ما افردوا ونجمع ما جمعوا ۞ والطير كله

الطير ٣

سبع وبهيمة وهمج والسباع من الطير على
ضربين فمنها العتاق والاحرار والجوارح ۞
ومنها البغاث وهو كل ما عظم من الطير
سبعا كان او بهيمة اذا لم يكن من ذوات

السلاح والمخاليب المعقفة كالنسور والرخم
والغربان وما اشبهها من لئام السباع ۞
ثم الخشاش وهو ما لطف جرمه وصغر شخصه
وكان عديم السلاح ولا يكون كالزرق واليؤيؤ
والباذنجان فاما الهمج فليس من الطير ولكنه
مما يطير ۞ والهمج فيما يطير كالحشرات
فيما يمشي والحيات من الحشرات واي
شيء ادخل في معنى السبعية من الافاعي
والثعابين فليس ذلك من اسمائها وان كانت
من ذوات الانياب واكالة اللحوم واعداء
الانس وجميع البهائم فلذلك ناكلها الاوعال
والخنازير والقنافذ والعقبان والشاهمرك
والسنانير وغير ذلك من البهائم والسباع
فمن جعل الحيات سباعا وسماها بذلك عند
بعض القول والسبب فقد اصاب ومن جعل
ذلك لها كالاسم الذي هو العلامة كالفهد
والكلب والذيب والاسد فقد اخطا ۞

ومن سباع الطير شكل يكون سلاحه المخالب
كالعقاب وما اشبهها وشكل يكون سلاحه
المناقير كالكراكي وما اشبهها ومنه ما يكون
سلاحه الاسنان كالبوم والوطواط وما اشبهها
ومنه ما يكون سلاحه الصياصي كالديكة
ومنها ما يكون سلاحه سلاحه كالحبارى
والثعلب ايضا كذلك والسبع من الطير
ما اكل اللحم خالصا والبهيمة من الطير ما اكل
الحب خالصا وفي الغرز الذي يجمعهما من
الخلق المركب والطبع المشترك كلام سناتي
عليه ان شا الله والمشترك عندهم كالعصفور
فانه ليس بذي مخلب معقف ولا منسر وهو يلقط
الحب وهو مع هذا يصيد النمل اذا طار ويصيد
الجراد وياكل اللحم ولا يزق فراخه كما يزق
الحمام بل يلقمها كما تلقم سباع الطير فراخها
واشباه العصافير من المشترك كثير وسنذكر
ذلك في موضعه ان شا الله وليس كل ما

طار بجناحين فهو من الطير قد تطير الجعلان
والجحلان والبعاسيب والذبان والعقارب
والجراد والنمل والفراش والبعوض والارضة
والنحل وغير ذلك ولا تسمى بالطير وقد يقال
ذلك لها عند بعض الذكر والسبب وقد يسمون
الدجاج طيرا ولا يسمون بذلك الجراد والجراد
اطير والمثل المضروب به اشهر والملائكة
تطير ولها اجنحة وليست من الطير وجعفر
ابن ابي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنة
حيث يشاء وليس جعفر من الطير واسم
طاير يقع على ثلثة اشياء صورة وطبيعة
وجناح وليس بالريش والقوادم والاباهر والخوافي
يسمى طايرا ولا بعدمه يسقط ذلك عنه
الا ترى ان الخفاش والوطواط من الطير وان
كانا امرطين ليس لهما ريش ولا زغب ولا شكير
ولا قصب وهما مشهوران بالحبل والولادة
وبالرضاع وبظهور حجم الاذان وبكثرة الاسنان

الحيوان البحري

والنعامة ذات ريش ومنقار وبيض وجناحين
وليست من الطير ۝ وليس ايضا كل عايم سمكة
وان كان مناسبا للسمك في كثير من معانيه
الا ترى ان في الماء كلب الماء وعنز الماء
وخنزير الماء وفيه الرق والسلحفاة وفيه
الضفدع والسرطان والبنبك والتمساح والدخس
والدلفين واللخم والبلبل وغير ذلك من
الاصناف والكوسج ولد اللخم وليس للكوسج
اب يعرف وعامة ما في الماء يبيت خارجا
عن الماء ويبيض في الشط ويبيض بيضا
له صفرة وقيض وغرقئ وهو مع ذلك
مما يكون مع الماء في السمك ۝ ثم لا يخرج
الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح
واعجم كذلك يقال في الجملة كما يقال الصامت
لما لم يصنع صمتا قط ولا يجوز عليه خلافه
والناطق لما لم يتكلم قط فيجعلون ما يرغو ويثغو
وينهق ويصهل ويشحج ويخور ويبغم

ويعوي وينبح ويزقو ويضغو ويهدر ويصفر
ويصرصر وينقق وينعب ويزئر ويئن ويكش
ويفح على نطق الانسان اذا جمع بعضه الى بعض
وكذلك اشباه كالذكور والاناث اذا اجتمعا
وكالعير التي تسمى لطيمة وكالظعن فان هذه
الاشياء اذا وجد بعضها مع بعض سميت باسم
النوعين ذكرا وافقوا هما والفصيح هو الانسان
والاعجم كل ذي صوت لا يفهم ارادته الا ما
كان من جنسه ولعمري انا نفهم عن الفرس
والحمار والكلب والسنور والبعير كثيرا
من حوائجه وارادته وقصده كما نفهم ارادة
الصبي في مهده ونعلم وهو من جليل العلم
ان بكاءه يدل على خلاف ما يدل عليه
ضحكه ۝ وحمحمة الفرس عند رؤية المخلاة
خلاف حمحمته عند رؤية الحجر ۝ ودعاء
الهرة الهر خلاف دعائها لولدها وهذا
كثير ۝ والانسان فصيح وان عبر عن

تغنيه بالفارسية أو بالهندية أو بالرومية
وليس العربي أسوأ فهما لطمطمة الرومي
من الرومي لبيان لسان العربي فكل انسان
من هذا الوجه يقال له فصيح فاذا قالوا فصيح
واعجم فهذا هو التاويل في قولهم اعجم واذا
قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح واعجم
فليس هذا المعنى يريدون انما يعنون انه
لا يتكلم بالعربية وان العرب لا تفهم عنه

٢٤

وقال كثير

فبورك ما اعطى ابن ليلى بنية وصامت ما اعطى ابن ليلى وناطقه

ويقال جاء بما صاء وصمت فالصامت
مثل الذهب والفضة وقوله صاء يعني الحيوان
كله ومعناه نطق وسكت والصامت كل
شيء سوى الحيوان ووجدنا كون
العالم بما فيه حكمة ووجدنا الحكمة على
ضربين شيء جعل حكمة وهو لا يعقل
الحكمة ولا عاقبة الحكمة وشيء جعل حكمة

الحكمة ٢

وهو يعقل الحكمة فاستوى بذلك الشيء العاقل
وغير العاقل في جهة الدلالة على انه حكمة
واختلفا من جهة ان احدهما دليل لا يستدل
والآخر دليل يستدل فكل مستدل دليل
وليس كل دليل مستدلا فشارك كل الحيوان
سوى الانسان جميع الجماد في الدلالة

٢٥

وفي عدم الاستدلال واجتمع للانسان
ان كان دليلا مستدلا ثم جعل للمستدل
سبب يدل به على وجوه استدلاله ووجوه
ما نتج له الاستدلال وسموا ذلك بيانا

البيان ٤
ذلك

وجعل البيان على اربعة اقسام لفظ وخط
وعقد واشارة وجعل بيان الدليل الذي
لا يستدل تمكينه المستدل من نفسه
واقتياده كل من فكر فيه الى معرفة
ما استخزن من البرهان وحشي من الدلالة
واودع من عجيب الحكمة فالاجسام الخرس
الصامتة ناطقة من جهة الدلالة ومعربة

من جهة صحة الشهادة على أن الذي فيهما من
التدبير والحكمة مخبر لمن استخبرهما وناطق
لمن استنطقهما كما يخبر الهزال وكسوف اللون
عن سوء الحال وكما ينطق السمن والنضرة
عن حسن الحال . وقد قال الشاعر وهو
نصيب .

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال الآخر .

متى تك في عدو أو صديق تخبرك العيون عن القلوب

وقد قال العكلي في صيد في شمة الذئب
وفي شدة حسه واسترواحه .

يستخبر الريح إذا لم يسمع . بمثل مقراع الصفا الموقع .

وقال عنترة وهو يصف نعيب غراب .

حرق الجناح كأن لحيي رأسه جلمان بالأخبار هش مولع .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه
سل الأرض فقل من شق أنهارك وغرس
أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجبك حوارا
أجابتك اعتبارا . فموضوع الجسم ونصبته
دليل على ما فيه وداعية إليه ومنبهة عليه .
فالجماد الأبكم الأخرس من هذا الوجه قد
شارك في البيان الإنسان الحي الناطق فمن
جعل أقسام البيان خمسة فقد ذهب أيضا
مذهبا له جواز في اللغة وشاهد في العقل
فهذا أحد قسمي الحكمة وأحد معنيي ما
استخزنها الله جل وعز صدور أصناف الحيوان
من صنوف المعارف وفطرها على غريب
الهدايات وسخر حناجرها بضروب النغم
الموزونة والأصوات الملحنة والمخارج الشجية
والأغاني المطربة فقد يقال إن جميع أصواتها
معدلة وموزونة موقعة ثم الذي سهل
لها من الرفق العجيب في الصنعة مما ذلله
لمناقيرها وأكفها وكيف فتح لها من باب
المعرفة على قدر ما هيأ لها من الآلة
وكيف أعطى كثيرا منها من الحس اللطيف

والقسمة الأخرى ما أودع

والصنعة البديعة عن غير تأديب وتثقيف
وعن غير تلقين وتفهيم وعن غير تدريج
وتمرين فبلغت بعفوها وبمقدار قوتها
فطنتها من البديهة والارتجال من الابتداء
والاقتضاب ما لا يقدر عليه حذاق رجال الرأي
وفلاسفة علماء البشر بيد ولا آلة بل لا يبلغ
ذلك من الناس أكملهم خصالاً وأتمهم خلالاً
٢٨ من جهة الارتجال والاقتضاب ولا من جهة
التعسف والاقتدار ولا من جهة التقديم فيه
والتأتي له والترتيب لمقدماته وتمكين الأسباب
المعينة عليه فصار جهد الإنسان الثاقب الحس
الجامع القوى المتصرف في الوجوه المتقدم
في الأمور يعجز عن عفو كثير منها وينظر
إذا نظر إلى ضروب ما يجيء منها كما أعطيت
العنكبوت وكما أعطيت السرفة وكما علم
النحل وعرف التنوط من بديع المعرفة ومن
غريب الصنعة في غير ذلك من أصناف

الخلق ثم لم يوجد بهم العجز في أنفسهم في أكثر
ذلك إلا عمّا قوي عليه الهمج والخشاش وصغار
الحشرات ثم جعل الإنسان ذا العقل والتمكين
والاستطاعة والتصريف وذا التكلف والتجربة
٢٩ وذا التأتي والمنافسة وصاحب الادخار والمتفقد
لشأن العاقبة متى أحسن شيئاً كان كل شيء
دونه في الغموض عليه أسهل وجعل سائر الحيوان
وإن كان يحسن أحد بما لا يحسن أحذق الناس
متى أحسن شيئاً عجيباً لم يمكنه أن يحسن ما هو
أقرب منه في الظن وأسهل منه في الرأي بل لا
يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة فلا الإنسان
جعل نفسه كذلك ولا شيء من الحيوان اختار
ذلك فما أحسنت هذه الأجناس بلا تعليم ما يمتنع
على الإنسان وإن تعلم فصار لا يحاوله إذ كان لا
يطمع فيه ولا يحسدها إذ كان لا يأمل اللحاق بها
ثم جعل تعالى وعز بهاتين الحكمتين أراء عيون
الناظرين وتجاه أسماع المعتبرين ثم حث على

التفكير والاعتبار وعلى الاتعاظ والانزجار
وعلى التعرف والتبين وعلى التوقف والتذكر
فجعلها مذكرة ومنبهة وجعل الفطر تنتشي
الخواطر وتجول باهلها في المذاهب ذلك رب
العالمين سبحان الله رب العالمين ۞ وهذا
كتاب موعظة وتعريف وتفقه وتنبيه
واراك قد عبته قبل ان تقف على حدوده
وتتفكر في فصوله وتتذكر آخره باوله
ومصادره بموارده وقد غلطك فيه بعض
ما رايت في اثنائه من مزح لم تعرف معانيه
ومن بطالة لم تدرك غورها ولم تدر لم اجتلبت
ولاي علة تكلفت واي معنى اريغ بها
ولاي جد احتمل ذلك الهزل ولاية رياضة
تجشمت تلك البطالة ولم تدر ان المزاح جد
اذا اجتلب لان يكون علة للجد وان البطالة
وقار ورزانة اذا تكلفت لتلك العاقبة ۞
ولما قال الخليل بن احمد لا يصل احد من

الرجوع الى وصف كتابه

٤٠

علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج
اليه ۞ قال ابو شمر اذا كان لا يصل الى ما
يحتاج اليه الا بما لا يحتاج اليه فقد صار ما لا
يحتاج اليه يحتاج اليه ۞ وذلك مثل كتابنا
هذا لانا ان حملنا جميع من يتكلف قراءة هذا
الكتاب على مر الحق وصعوبة الجد وثقل
المؤونة وحقيقة الوقار لم يصبر عليه مع طوله
الا من قد تجرد للعلم وفهم معناه وذاق
من ثمرته واستشعر من عزه ونال من
سروره على حسب ما يورث الطول من
الكد والكثرة من السآمة وما اكثر من
يقاد الى حظه بالسواجير وبالسوق العنيف
وبالاخافة الشديدة ۞ ثم لم ارك رضيت
بالطعن على كل كتاب لي بعينه حتى
تجاوزت ذلك الى ان عبت وضع الكتب
كيف ما دارت بها الحال وكيف تصرفت
بها الوجوه وقد كنت اعجب من عيبك البعض

٤١

المؤونة

وحقيقة

اوصاف الكتاب

بلا علم حتى عبت الكل بلا علم ثم جاوزت
ذلك الى التشنيع ثم جاوزت التشنيع الى
نصب الحرب فعبت الكتاب ونعم الذخر
والعقدة ونعم الجليس والعقدة ونعم النشرة
والنزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس
ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة
ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل
والكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشي
ظرفا واناء شحن مزاحا وجدا ان شيت كان
ابين من سحبان وايل وان شيت كان اعيا من
باقل وان شيت ضحكت من نوادره وان شيت
عجبت من غرايب فوايده وان شيت الهتك
نوادره وان شيت اشجتك مواعظه ومن لك
بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاتك
وناطق اخرس وبارد حار وفي البارد الحار
يقول الحسن بن هاني
قل لزهير اذا انتحى وشدا ... اقلل او اكثر فانت مهذار

سخنت من شدة البرودة حتى ... صرت عندي كانك النار
لا يعجب السامعون من صفتي ... كذلك الثلج بارد حار
ومن لك بطبيب اعرابي وبرومي هندي وبفارسي
يوناني وبقديم مولد وبميت ممتع ومن لك
بشيء يجمع لك الاول والاخر والناقص والوافر
والشاهد والغايب والرفيع والوضيع والغث
والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده
وبعد فمتى رايت بستانا يحمل في ردن وروضة
تنقلب في حجر وتنطق عن الموتى وتترجم كلام
الاحياء ومن لك بمونس لا ينام الا بنومك
ولا ينطق الا بما تهوى آمن من الارض واكتم
للسر من صاحب السر واضبط للوديعة من
ارباب الوديعة واحفظ لما استحفظ من الاميين
ومن الاعراب المعربين بل من الصبيان قبل
اعتراض الاشتغال ومن العميان قبل التمتع
بتمييز الاشخاص حين العناية تامة لم تنتقص
والاذهان فارغة لم تنقسم والارادة وافرة

لم تستصعب والطينة لينة فهي اقبل ما تكون
للطابع والغصن رطب فهو اقرب ما يكون من
العلوق حين هذه الخصال لم يلبس جديدها
ولم يبل غربها ولم تتفرق قواها وكانت كما
قال الشاعر

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ومن امثالهم التعلم في الصغر كالنقش في
الحجر وقال جران العود

تركن برجلة الروحاء حتى تنكرت الديار على البصير
كوحي في الحجارة او وشوم بايدي الروم باقية النؤور

النؤور شيء كان يعمل في الجاهلية مثل
الخضرة في الوشم وقال الشاعر

وان من ادبته في الصبى كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقا اخضرا بعد الذي ابصرت من يبسه

وقال اخر

يقوم من ميل الغلام المؤدب ولا ينفع التاديب والراس اشيب

وقال اخر

ادبت عرسي بعد ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

وقال ذو الرمة لعيسى بن عمر اكتب شعري
فالكتاب احب الي من الحفظ ان الاعرابي

لينسى الكلمة قد سهرت في طلبها ليلة فيضع
في موضعها كلمة في وزنها والكتاب لا ينسى
ولا يبدل كلاما بكلام وعبت الكتاب ولا
اعلم جارا ابر ولا خليطا انصف ولا رفيقا اطوع
ولا معلما اخضع ولا صاحبا اظهر كفاية ولا
اقل جناية ولا اقل ابراما واملالا ولا اقل
خلافا واجراما ولا اقل غيبة ولا ابعد من
عضيهة ولا اكثر اعجوبة وتصرفا ولا اقل
صلفا وتكلفا ولا ابعد من مراء ولا اترك
لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال
من كتاب ولا اعلم قرينا احسن مواتاة
ولا اعجل مكافاة ولا احضر معونة ولا اخف
مؤونة ولا شجرة اطول عمرا ولا اجمع امرا
ولا اطيب ثمرة ولا اقرب مجتنى ولا اسرع

ادراكا ولا اوجد فى كل ابان من كتاب
ولا اعلم نتاجا فى حداثة سنه وقرب ميلاده
ورخص ثمنه وامكان موجوده يجمع من التدابير
العجيبة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة
ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة
والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة ومن
الاخبار عن القرون الماضية والبلاد المتراخية
والامثال السايرة والامم البايدة ما يجمع
الكتاب وقد قال الله تبارك اسمه لنبيه
صلى الله عليه اقرأ وربك الاكرم الذى
علم بالقلم فوصف نفسه تعالى جده بان علم
بالقلم كما وصف نفسه بالكرم واعتد بذلك
فى نعمه العظام وفى اياديه الجسام وقد
قالت العلماء القلم احد اللسانين وقالوا كل
من عرف فضل النعمة فى بيان اللسان كان
بفضل النعمة فى بيان القلم اعرف ثم
جعل هذا الامر قرآنا ثم جعله فى أول

وصف القلم

٤٦

التنزيل ومستفتح الكتاب ثم اعلم رحمك
الله ان حاجة بعض الناس الى بعض صفة لازمة
لطبايعهم وخلقة قايمة فى جواهرهم وثابتة لا
تزايلهم ومحيطة بجماعتهم مشتملة على ادانيهم
واقاصيهم وحاجتهم الى ما غاب عنهم مما يعيشهم
ويحييهم ويأخذ بارماقهم ويصلح بالهم ويجمع
شملهم والى التعاون على درك ذلك والتوازر
عليه كحاجتهم الى التعاون على معرفة ما يضرهم
والتوازر على ما يحتاجون اليه من الارتفاق
فى امورهم التى لم تغب عنهم فحاجة الغايب
موصولة بحاجة الشاهد واختلال الادنى الى
معونة الاقصى معان متضمنة واسباب متصلة
وحبال منعقدة وجعل حاجتنا الى معرفة
اخبار من كان قبلنا كحاجة من كان قبلنا الى
اخبار من كان قبلهم وحاجة من يكون بعدنا
الى اخبارنا ولذلك تقدمت فى الكتب البشارات
بالرسل ولم يسخر لهم جميع خلقه الا وهم

فى لاحتياج الادنى الى معرفة الاقصى
واختلال الاقصى الى معرفة الادنى

٤٧

يحتاجون الى الارتفاق بجميع خلقه وجعل
الحاجة حاجتين احداهما قوام وقوت والاخرى
لذة وامتاع وازدياد في الالة وفي كل ما
اجذل النفوس وجمع لهم العتاد وذلك
المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة
حاجاتهم وشهواتهم وعلى قدر اتساع
معرفتهم وبعد غورهم وعلى قدر احتمال
طبع البشرية وفطرة الانسانية ثم لم
يقطع الزيادة عنهم الا لعجز خلقهم عن
احتمالها ولم يجز ان يفرق بينهم وبين
العجز الا بعدم الاعيان اذ كان العجز صفة
من صفات الخلق ونعتا من نعوت العبيد
ولم يخلق الله احدا يستطيع بلوغ حاجاته
بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له
فادناهم مسخر لاقصاهم واجلهم ميسر لادقهم
وعلى ذلك احوج الملوك الى السوقة في
باب واحوج السوقة الى الملوك في باب

ز احتاج بعض الخلق الى بعضه ١٢

وكذلك الغني والفقير والعبد وسيده
ثم جعل الله كل شيء للانسان خولا وفي
يده مذللا ميسرا اما بالاحتيال له والتلطف
في ارتغابه واستمالته واما بالصولة عليه
والفتك به واما ان يأتيه سهوا رهوا وعلى
ان الانسان لولا حاجته اليها لما احتال لها ولما
صال عليها الا ان الحاجة تفترق في الجنس
والجهة وفي الخبط والتقدير ثم تعبد الانسان
بالفكر فيها والنظر في امورها والاعتبار
بما يرى ووصل بين عقولهم وبين معرفة
تلك الحكم الشريفة وتلك الحاجات اللازمة
بالنظر والتفكير وبالتقليب والتنقير والتوقف
والتثبت ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم
اليها وتشاعرهم بمواضع الحكم فيها بالبيان
عنها وهو البيان الذي جعله الله سببا فيما
بينهم ومعبرا عن حقائق حاجاتهم ومعرفا
لمواضع سد الخلة ودفع الشبهة ومداواة

الحظ؟

الحيرة ولان اكثر الناس عن الناس افهم منهم
عن الاشباح المثول والاجسام الجامدة والاجرام
الساكنة التي لا يتعرف مما فيهما من دفاين
الحكم وكنوز الادب وينابيع العلم الا بالعقل
اللطيف الثاقب وبالنظر التام النافذ وبالاداة
الكاملة والاسباب الوافرة والصبر على مكروه
الفكر والاحتراس من وجوه الخدع والتحفظ
من دواعي الهوينا ولان الشكل افهم عن شكله ٥٠
واسكن اليه واصب به وذلك موجود في اجناس
البهايم وضروب السباع والصبي عن الصبي
افهم وله آلف واليه انزع وكذلك العالم
والعالم والجاهل والجاهل وقال الله جل وعز
لنبيه صلى الله عليه ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا لان الانسان عن الانسان افهم وطباعه
بطباعه آنس وعلى قدر ذلك يكون موقع
ما يسمع منه ثم لم يرض من البيان لهم
بصنف واحد بل جمع ذلك ولم يفرق وكثر

ولم يقلل واظهر ولم يخف فجعل اصناف البيان
التي بها يتعارفون معانيهم والترجمان الذي
اليه يرجعون عند اختلافهم في اربعة اشياء
وفي خصلة خامسة وان نقصت عن بلوغ هذه
الاربعة في جهاتها فقد تكمل بجنسها الذي ٥١
وضع له وصرف اليه وهذه الخصال الاربع
هي اللفظ والخط والاشارة والعقد والخصلة
الخامسة ما اوجد من صحة الدلالة وصدق
الشهادة ووضوح البرهان في الاجرام الجامدة
الصامتة والساكنة الثابتة التي لا تتبين ولا
تفهم ولا تحس ولا تتحرك الا بداخل دخل عليها
او عند ممسك خلي عنها بعد تقييده كان لها
ثم قسم الاقسام ورتب المحسوسات وحصل
الموجودات فجعل اللفظ للسامع وجعل الاشارة
للناظر واشرك بين الناظر واللامس في
معرفة العقد الا بما فضل الله به نصيب
الناظر في ذلك على نصيب اللامس وجعل

اقسام البيان اربعة
والخصلة خامسة

فضائل الخط

الخط دليلاً على ما غاب من حوائجه عنه، وسبباً
موصولاً بينه وبين أعوانه، وجعله خازناً لما لا
يأمن نسيانه مما قد أحصاه وحفظه وأتقنه وجمعه،
وتكلّف الإحاطة به، ولم يجعل للشآم والذابق
في ذلك نصيباً ۞ ولولا خطوط الهند لضاع من

خطوط الهند

الحساب الكثير البسيط، ولبطلت معرفة التضاعيف،
ولعدموا الإحاطة بالباورات وباورات الباورات
ولو أدركوا ذلك لما أدركوه إلا بعد أن تغلظ
المؤونة، وتنتقض المنّة، ولصاروا إلى حال
معجزة وحسور، وإلى حال مضيعة وكلال
حدّ مع التشاغل بأمور لولا فقد هذه الآلة
لكان أنبح لهم وأردّ عليهم أن يصرفوا ذلك الشغل
في أبواب من منافع الدين والدنيا، ونفع الحساب
معلوم، والخلّة في موضع فقده معروفة،
قال الله جل وعز: الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان
علّمه البيان، ثم قال: الشمس والقمر بحسبان،
وبالبيان عرف الناس القرآن، قال الله جل ثناؤه

هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً
وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب،
فأجرى الحساب مجرى البيان، وألحق البيان
بالقرآن، وبحساب منازل القمر عرفنا حالات
الجزر والمد، وكيف تكون الزيادات في الأهلّة
وأنصاف الشهور، وكيف يكون النقصان
في خلال ذلك، وكيف تلك المراتب، وتلك
الأقدار ۞ ولولا الكتب المدوّنة والأخبار
المخلّدة، والحكم المخطوطة التي تحصن الحساب
وغير الحساب، لبطل أكثر العلم، ولغلب
سلطان النسيان سلطان الذكر، ولما كان
للناس مفزع إلى موضع استذكار، ولو تمّ
ذلك لحُرمنا أكثر النفع، إذ كنا قد علمنا
أن مقدار حفظ الناس لعواجل حاجاتهم
وأواجلها لا يبلغ من ذلك مبلغاً مذكوراً، ولا
يغني فيه غناءً محموداً، ولو كُلّف عامة من
يطلب العلم، ويصطنع الكتب، أن لا يزال حافظاً

لفهرست كتبه لا عجزه ذلك ولكلّف شططاً
ولشغله ذلك عن كثير مما هو أولى به ففهمك
لمعاني كلام الناس ينقطع قبل انقطاع فهم
عين الصوت مجرّداً وأبعد فهمك لصوت
صاحبك ومعاملك والمعاون لك ما كان صياحاً
صرفاً وصوتاً مصمتاً ونداءً خالصاً ولا يكون
مع ذلك إلا وهو بعيد من المفاهمة وعطل من
المفاهمة فجعل الله جلّ وعزّ اللفظ لأقرب
الحاجات والصوت لأنفس من ذلك قليلاً
والكتاب للنازح من الحاجات ۝ فأما الإشارة
فأقرب المفهوم منها رفع الحواجب وكسر
الأجفان وليّ الشفاه وتحريك الأعناق
وقبض جلدة الوجه وأبعدها أن تلوى
بثوب على مقطع جبل تجاه عين الناظر
ثم ينقطع عملها ويدرس أثرها ويموت
ذكرها وتصير بعد كل شيء فضل
عن انتهاء مدة الصوت ومنتهى الطرف

ترتيب الاحتياج الى اسباب البيان

٥٦

في الحاجة إلى التفاهم بالخطوط والكتب فأي
نفع أعظم وأي مرفق أعون من الخط والحال
فيه كما ذكرنا ۝ وليس للعقد حظ الإشارة
في بعد الغاية ولا للإشارة حظ الخط في
بعد الغاية فلذلك وضع الله جلّ ثناؤه القلم
في المكان الرفيع ونوّه بذكره في المنصب
الشريف حين قال ن والقلم وما يسطرون
فأقسم بالقلم كما أقسم بما يخط بالقلم إذ كان
اللسان لا يتعاطى شأوه ولا يشق غباره
ولا يجري في حلبته ولا يتكلف بعد غايته
ولكن لما كانت حاجات الناس بالحضرة أكثر
من حاجاتهم في سائر الأماكن وكانت الحاجة
إلى بيان اللسان حاجة دائمة راكدة وراهنة
ثابتة وكانت الحاجة إلى بيان القلم أمراً
يكون في الغيبة وعند النائبة إلا ما خصت
به الدواوين فإن لسان القلم هناك أبسط
وأثره أعم فلذلك قدموا اللسان على

وصف القلم

٥٥

القلم. فاللسان لان اسمانو في منافع اليد والمرافق
التي فيها والحاجات التي تبلغها فمن ذلك حظها
وقسطها من منافع الاشارة ثم نصيبها في
تقويم القلم ثم حظها في التصوير ثم حظها
في الصناعات ثم حظها في العقد ثم حظها
في الدفع عن النفس ثم حظها في ايصال
الطعام والشراب الى الفم ثم التوضؤ والامتساح
ثم انتقاد الدراهم والدنانير ثم لبس الثياب وفي
الدفع عن النفس اصناف الرمي واصناف
الضرب واصناف الطعن ثم الضرب النقر
بالعود وتحريك الوتر ولولا ذلك لبطل
الطرب كله او عامته وكيف لا تكون كذلك
ولها ضرب الطبل والدف وتحريك الصفاقتين
وتحريك مخارق خروق المزامير وما في ذلك
من الاطلاق والحبس ولو لم يكن لليد الا
امساك العنان والزمام والخطام لكان ذلك
من اعظم الحظوظ وقد اضطربوا في الحكم

٥٦

بين العقد والاشارة ولولا ان مغزانا في
هذا الكتاب سوى هذا الباب لقد كان هذا
مما احب ان يعرفه اخواننا وخلطاؤنا
ولا ينبغي لنا ايضا ان ناخذ في هذا الباب
من الكلام الا بعد الفراغ مما هو اولى بنا
منه اذ كنت لم تنازعني ولم تعب كتبي من
طريق فضل ما بين العقد والاشارة ولا
في تمييز ما بين اللفظ وبينهما وانما قصدنا
بكلامنا الى الاخبار عن فضل الكتب
والكتاب هو الذي قيد على الناس كتب
علم الدين وحساب الدواوين مع خفة نقله
وصغر حجمه صامت ما اسكته وبليغ اذا
استنطقته ومن لك بمسامر لا يبتديك
في حال شغلك ويدعوك في اوقات نشاطك
ولا يحوجك الى التجمل له والتذمم منه
ومن لك بزائر ان شئت جعل زيارته غبًّا
وورده خمسًا وان شئت لزمك لزوم

٥٧

تعريف الكتب

ظلك فكان منك مكان بعضك ۞ والقلم مكتفٍ
بنفسه ولا يحتاج الى ما عند غيره ولا بد لبيان
اللسان من امورٍ منها اشارة اليد ولولا الاشارة
ما فهموا عنك خاص الخاص اذ كان اخص الخاص
قد يدخل في باب العام الا انه في ادنى طبقاته
وليس يكتفي خاص الخاص باللفظ عما اداه كاكتفاء ٥٨
عام العام والطبقات التي بينه وبين اخص
الخاص ۞ والكتاب هو الجليس الذي لا
يطريك والصديق الذي لا يغريك والصديق
الذي لا يملك والمستميح الذي لا يستزيدك
والجار الذي لا يستبطئك والصاحب الذي لا
يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك
بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ولا يحتال لك
بالكذب ۞ والكتاب هو الذي ان نظرت فيه
اطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك
وجود بنانك وفخم الفاظك وبجح نفسك
وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة

اوصاف الكتاب

الملوك وعرفت به في شهرٍ ما لا تعرفه من أفواه
الرجال في دهرٍ مع السلامة من الغرم ومن
كد الطلب ومن الوقوف بباب المتكسب بالتعليم
وبالجلوس بين يدي من انت افضل منه خلقا ٥٩
واكرم عرقا ومع السلامة من مجالسة البغضاء
ومقارنة الأغبياء والكتاب هو الذي يطيعك
بالليل كطاعته بالنهار ويطيعك في السفر
كطاعته في الحضر لا يعتل بنومٍ ولا يعتريه
كلال السهر وهو المعلم الذي ان افتقرت
لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع
عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك
وان هبت ريح اعاديك لم ينقلب عليك
ومتى كنت متعلقا منه بسبب او معتصما
بادنى حبلٍ لم تضطرك معه وحشة الوحدة
الى جليس السوء ولو لم يكن من فضله عليك
واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس
على بابك والنظر الى المارة بك مع ما في

ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن
فضول النظر ومن عادة الخوض فيما لا يعنيك
ومن ملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم
الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الرديه
وجهالاتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة
ثم الغنيمة وإحراز الأصل مع استفادة الفرع
٦٠
ولو لم يكن في ذلك إلا أن يشغلك عن سخف
المنى وعن اعتياد الراحة وعن اللعب وكل
ما أشبه اللعب لقد كان في ذلك على صاحبه
أسبغ النعمة وأعظم المنة ۝ وقد علمنا أن
أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب
الفكاهات ساعات ليلهم هو الشيء الذي لا
ترى له فيهم مع النبل أثراً في ازدياد تجربة
ولا في عقل ولا في مروءة ولا في صون عرض
ولا في إصلاح دين ولا في تثمير مال ولا في تربية
صنيعة ولا في ابتداء بإنعام ۝ قال أبو عبيدة
قال المهلب لبنيه في وصيته يا بني لا تقفوا

في الأسواق إلا على زرّاد أو ورّاق ۝ وحدثني
صديق لي قال قرأت على شيخ شامي كتاباً
فيه مآثر غطفان فقال لي ذهبت المكارم إلا
من الكتب ۝ وسمعت الحسن اللؤلؤي يقول
٦١
غبرت أربعين عاماً ما قلت ولا بت ولا اتكأت
إلا والكتاب موضوع على صدري ۝ وقال
ابن الجهم إذا غشيني النعاس في غير وقت نوم
وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة
قال فإذا اعتراني ذلك تناولت كتاباً من
كتب الحكم فأجد اهتزازي للفوائد والأريحية
التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة والذي
يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعز
التبيين أشد إيقاظاً من نهيق الحمير وهدة
الهدم ۝ وقال ابن الجهم إذا استحسنت الكتاب
واستجدته ورجوت منه الفائدة ورأيت ذلك
فيه فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظر كم
بقي منه من ورقة مخافة استنفاده وانقطاع

الظفر

المادة من قبله وإن كان المصحف عظيم الحجم
وكان الورق كثير العدد ۞ وذكر العتبي
كتابا لبعض القدماء فقال لولا طوله وكثرة
ورقه لنسخته قال ابن الجهم لكني ما رغبني
فيه إلا الشيء الذي زهدك فيه وما قرأت
كتابا قط كبيرا فأخلاني من فايدة وما أحصي
كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما
دخلت ۞ وقال العتبي ذات يوم لابن الجهم
ألا تعجب من فلان نظر في الإقليدس
مع جارية سلمويه في يوم واحد وساعة
واحدة فقد فرغت الجارية من الكتاب
وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة على أنه حر
مخير وتلك أمة مقصورة وهو أحرص على قراءة
الكتب من سلمويه على تعليم جاريته قال
ابن الجهم قد كنت أظن أنه لا يفهم منه شكلا
واحدا وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة قال
العتبي وكيف ظننت به هذا الظن كله وهو

إذا كبر الحجم كثر الفائدة

غريبة

رجل ذو لسان وأدب قال لأني سمعته يقول
لابنه كم أنفقت على كتاب كذا وكذا قال أنفقت
كذا وكذا قال إنما رغبني في العلم أني ظننت
أني أنفق قليلا وأكتسب كثيرا فأما إذا صرت
أنفق الكثير وليس في يدي منه إلا المواعيد
فإني لا أريد العلم بشيء والإنسان لا يعلم حتى
يكثر سماعه ولا بد من أن تصير كتبه أكثر
من سماعه ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى
يكون الإنفاق عليه من ماله ألذ عنده من الإنفاق
عليه من مال عدوه ومن لم تكن نفقته التي تخرج
في الكتب ألذ عنده من إنفاق عشاق القيان
والمستهترين بالبنيان لم يبلغ في العلم مبلغا رضيا
وليس ينتفع بإنفاقه حتى يؤثر اتخاذ
الكتب إيثار الأعرابي فرسه باللبن على
عياله وحتى يؤمل في العلم ما يؤمل الأعرابي
في فرسه ۞ وقال إبراهيم بن السندي مرة
وددت أن الزنادقة لم يكونوا حرصاء على

المغالاة بالورق النقي الابيض ولا على تخيّر
الحبر الاسود البراق وعلى استجادة الخط
والارغاب لمن يخط فاني لم ار كورق كتبهم ورقا
ولا كالخطوط التي فيها خطا واني غرمت مالا
عظيما مع حبي للمال وبغضي للغرم لان سخاء
النفس بالانفاق على الكتب دليل على تعظيم
العلم وتعظيم العلم دليل على شرف النفس
وعلى السلامة من سكر الافات فقلت لابرهيم
ان انفاق الزنادقة على الكتب كانفاق النصارى
على البيع ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكمة
وكتب فلسفة وكانت مقاييس وتبيين او
كانت كتبهم كتبا تعرف الناس ابواب الصناعات
او سبل التكسب والتجارة او كتب ارتفاق
ورياضات او بعض ما يتعاطاه الناس من
الفطن والادب او كان ذلك لا يقرب من
غنى ولا يباعد من مأثم لكانوا ممن قد يجوز
ان يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين

ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة وعلى طريق
تعظيم الملة فانما انفاقهم في ذلك كانفاق
المجوس على بيت النار وانفاق النصارى
على صلبان الذهب او كانفاق الهند على سدنة
البد ولو كانوا العلم ارادوا لكان العلم لهم معرضا
وكتب الحكمة لهم مبذولة والطرق اليها سهلة
معروفة فما بالهم لا يصنعون ذلك الا بكتب
دياناتهم كما تزخرف النصارى بيوت عباداتهم
ولو كان هذا المعنى مستحسنا عند المسلمين
وكانوا يرون ان ذلك داعية الى العبادة
وباعثة على الخشوع لبلغوا في ذلك بعفوهم
ما لا يبلغه النصارى بغاية الجهد وعندنا بهم
مسجد دمشق حين استجاز من الشبك
ملك من ملوكنا ومن راه فقد علم ان احدا
لا يرومه وان الروم لا تسخو انفسها به
فلما قام عمر بن عبد العزيز جلله بالجلال
وغطاه بالكرابيس وطبخ سلاسل القناديل

حتى ذهب عنها ذلك التلالؤ والبريق وذهب
إلى أن ذلك التصنيع مجانب لسنة الإسلام
وأن ذلك الحسن الرائع والمحاسن الدقاق
مذممة للقلوب مشغلة دون الخشوع وأن
الباب لا يكون مجتمعا وهناك شيء يفرقه
ويعترض عليه والذي يدل على ما قلنا
أنه ليس في كتبهم مثل سائر ولا خبر
طريف ولا صنعة أدب ولا حكمة غريبة ولا
فلسفة ولا مسألة كلامية ولا تعريف صناعة
ولا استخراج آلة ولا تعليم فلاحة ولا تدبير
حرب ولا مقارعة عن دين ولا مناضلة عن
نحلة وجلّه ذكر النور والظلمة وتناكح
الشياطين وتسافد العفاريت وذكر الصنديد
والتهويل بعمود السنخ والإخبار عن شقلون
وعن الهامة والهمامة وكله هذر وعي
ودعوى وخرافة وسخف وتكذب لا
ترى فيه موعظة حسنة ولا حديثا مونقا

٦٦

مضمون كتب الزنادقة

ولا تدبير معاش ولا سياسة عامة ولا ترتيب
خاصة فأي كتاب أجهل وأي تدبير أفسد
من كتاب يوجب على الناس الطاعة والبخوع
بالديانة على جهة الاستبصار والمحبة وليس
فيه صلاح معاش ولا تصحيح دين والناس لا
يحبون إلا دينا أو دنيا فأما الدنيا فإقامة
سوقها وإحضار نفعها وأما الدين فأقل ما
يطمع في استجابة العامة واستمالة الخاصة
أن يصور في صورة مغلطة ويموه تمويه
الدينار البهرج والدرهم الزائف الذي يغلط
فيه الكثير ويعرف حقيقته القليل فليس
إنفاقهم عليها من حيث ظننت وكل دين
يكون أظهر اختلافا وأكثر فسادا يحتاج
من الترقيع والتمويه ومن الاحتشاد له
والتغليظ فيه إلى أكثر من غيره وقد علمت
أن النصرانية أشد انتشارا من اليهودية
تعبدا فعلى حسب ذلك يكون تزيدهم

٦٧

في توكيده واحتفالهم في اظهار تعظيمه
وقال بعضهم كنت عند بعض العلماء فكنت
اكتب عنه بعضا وادع بعضا فقال لي اكتب
كل ما تسمع فان اخس ما تسمع خير من مكانه
ابيض وقال الخليل بن احمد تكثر من
العلم لتعرف وتقلل منه لتحفظ وقال
ابو اسحق القليل والكثير للكتب والقليل ٦٨
وحده للصدر وانشد قول ابن بشير
اما لو اعي كل ما اسمع واحفظ من ذاك ما اجمع
ولم استفد غير ما قد جمعت لقيل هو العالم المقنع
ولكن نفسي الى كل نوع من العلم تسمعه تنزع
اشاهد بالعين في مجلسي وعلمي في البيت مستودع
فلا انا احفظ ما قد جمعت ولا انا من جمعه اشبع
ومن يك في علمه هكذا يكن دهره القهقرى يرجع
اذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للعلم لا ينفع
قال ابو اسحق كلف ابن بشير الكتب
ما لبس عليها ان الكتب لا تحيي الموتى ولا

تحول الاحمق عاقلا ولا البليد ذكيا وذلك
ان الطبيعة اذا كان فيها ادنى قبول فالكتب
تشحذ وتفتق وترهف وتشفي ومن اراد
ان يعلم كل شيء فينبغي لاهله ان يداووه ٦٩
فان ذلك انما تصور له لشيء اعتراه فمن
كان عاقلا ذكيا حافظا فليقصد الى شيئين
او ثلثة اشياء فلا ينزع عن الدرس والمطارحة
ولا يدع ان يمر على سامعه وعلى بصره وعلى
ذهنه ما قدر عليه من سائر الاصناف فيكون
عالما بخواص ويكون غير غفل من سائر
ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه ومن كان
مع الدرس لا يحفظ شيا الا نسي اكثر منه
فهو من الحفظ من افواه الرجال ابعد وحدثني
موسى بن يحيى قال ما كان في خزانة كتب يحيى
وفي بيت مدارسه كتاب الا وله فيه ثلاث
نسخ وقال ابو عمرو بن العلاء ما دخلت
على رجل قط ولا مررت ببابه فرايته ينظر

في دفترٍ وجليسه فانه البذ الا اعتقدت انه
اعقل منه وافضل ۞ قال ابو عمرو وقيل لنا
ان في دار فلانٍ ناسا قد اشتملوا على سوءة
فهم جلوس على خمرٍ قبلهم وعندهم طنبور قال
فدمرنا عليهم في جماعة من رجال الحي فاذا فتى
جالس في وسط الدار واذا اصحابه حوله
واذاهم بيض اللحى واذا هو يقرا عليهم كتاب
شعرٍ فقال الذي كان سعى بهم السوءة
في ذلك البيت وان دخلتموه عثرتم بها قال
قلت والله لا كشف فتى اصحابه شيوخ وفي
يده دفتر علمٍ ولو كان في ثوبه دم يحيى
ابن زكريا ۞ قال وانشد رجل يونس النحوي
قوله ۞

استودع العلم قرطاسا فضيعه فبئس مستودع العلم القراطيس

قال فقال يونس قاتله الله ما اشد صبابته
بالعلم واحسن صيانته له ان علمك من روحك
وما لك من بدنك فضعه منك بمكان

٧٠

الروح وضع مالك بمكان البدن ۞ وقيل لابن
داحة واخرج كتاب ابي الشمقمق واذا هو
في جلودٍ كوفية ودفتين طائفيتين وبخطٍ
عجيب فقيل له لقد ضيع درهمه من تجود
لشعر ابن الشمقمق قال لا جرم والله ان العلم
ليعطيكم على حساب ما تعطونه ولو استطعت
ان اودعه سويداء قلبي واجعله محفوظا
على ناظري لفعلت ولقد دخلت على اسحق
ابن سليمان في امرته فرايت السماطين بين
يديه والرجال مثولا كان على رؤوسهم
الطير ورايت فرشته وبزته ثم دخلت
عليه وهو معزول واذا هو في بيت كتبه وحواليه
الاسفاط والرقوق والقماطر والدفاتر والمساطر
والمحابر فما رايته قط افخم ولا انبل ولا اهيب
ولا اجزل منه في ذلك اليوم الا انه جمع مع
المهابة المحبة ومع الفخامة الحلاوة ومع السؤدد
الحكمة ۞ وقال ابن داحة كان عبد الله

٧١

ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
لا يجالس الناس ونزل مقبرة من المقابر
وكان لا يكاد يرى الا وفي يده كتاب يقرؤه
فسيل عن ذلك وعن نزوله المقبرة فقال
لم ار اوعظ من قبر ولا امتع من كتاب ولا
اسلم من الوحدة فقيل له فقد جاء في الوحدة
ما قد جاء فقال ما افسدها للجاهل واصلحها
للعاقل وضروب من الخطوط بعد ذلك
تدل على قدر منفعة الخط قال الله جل ذكره
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال
في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي
سفرة وقال فاما من اوتي كتابه بيمينه
وقال واما من اوتي كتابه وراء ظهره
وقال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا ولو لم تكتب اعمالهم لكانت محفوظة
لا يدخل ذلك الحفظ نسيان ولكنه علم تعالى
وعرّان الكتاب المحفوظ ونسخه اوكد وابلغ

ضروب الخط

٧٢

في الانداد والتحذير والمهيب في الصدور
وخط آخر وهو خط الحازي والعراف والزاجر
وكان منهم حلبس الخطاط الاسدي ولذلك
قال الشاعر في هجائهم

٧٣

فانتم عضاريط الخميس اذا غدوا ... غنيا وكم تلك الاخاطيط في الترب
وخطوط اخر تكون مستراحا للاسير والمهموم
والمفكر كما يعتري النادم من قرع السن
والغضبان من تصفيق اليد وتحبيط العين
وقال تأبط شرا
لتقرعن علي السن من ندم ... اذا تذكرت يوما بعض اخلاقي
وفي خط الحزين في الارض بيده يقول
ذو الرمة
عشية ما لي حيلة غير انني ... بلقط الحصى والخط في الدار مولع
اخط وامحو الخط ثم اعيده ... بكفي والغربان في الدار وقع
وذكر النابغة صنيع النساء وفزعهن الى
ذلك اذا سبين واغتربن وفكرن فقال
يخططن بالعيدان في كل منزل ... ويخبان رمان الثدي النواهد

وقد يفزع الى ذلك الخجل والمتعلل كما يفزع
اليه المهموم وهو قول الغنيم بن امية بن ابي
الصلت

لا ينقرون الارض عند سؤالهم لتلمس العلات بالعيدان

وقال الحزين الكناني وذكر رجلا سألوه حاجة
فاعتراه العبث باسنانه

وأراض بكفه يحتك ضرس شانئ بنانه وجع بغير سن

ورب ما اعترى بما ولا عدد الحصى اذا كانوا في
موضع حصى ولم يكونوا في موضع تراب وهو
قول امرئ القيس

ظللت ردائي فوق راسي قاعدا اعد الحصى ما تنقضي عبراتي

وقال امية بن ابي الصلت

نهزنا جاديا وبنينا علينا نعترى المعتفين فضل ندا كا
فى نواح من المكارم جزل لم تعلل لهم بلقط حصا كا

وقال الاخر وهو يصف امراة قتل زوجها
فهي محزونة تلتقط الحصى

وبيضاء مكسال كأن وشاحها على ام احوى المقلتين خذول
عقلت لها من زوجها عدد الحصى مع الصبح او في جنح كل اصيل

يقول لم اعطها عقلا ولم اودها الا الهم
الذي دعاها الى لقط الحصى يخبر انه لم ينعته
لا يوصل منه الى عقل ولا قود ومما قالوا
في الخط مما انشدنا هشام بن محمد بن السائب
الكلبي في قصيدة له يمدح فيها الوليد بن
يزيد

كالخط في كتب الغلام اجاده بمداده وأشد من اقلامه
فلم تخن طوم الحمامة مائل مستحفظ للعلم من علامه
يتيم الحروف اذا تشابه امرها لبيانها بالنقط من ارشامه
من صوفة نفث المداد سخامه حتى تغير لونها بسخامه
يجفى فيقصم من شعيره وانفه كقلامة الاظفور من مقلامه
وبانفه شق تلاءم فاستوى شقى المداد فزاد في تلامه
مستعجم وهو الفصيح بكل ما نطق اللسان به على استعجامه
وله تراجمة بالسنة لهم ببيان ما يتلون من ترجامه
ما خط من شيء به كتابه ما ان يبوح به على استكتامه
وهجاؤه قاف ولام بعدها ميم معلقة باسفل لامه

ثم قال

قالت جاريتها الغزيل إذ رأت وجه المقنع من وراء لثامه
قد كان أبيض فاعترته أدمة فالعين تنكره من ابن همامه
كم من ثوى يزل عامها مهرية تسرج اليدين ومن ثوى يزل عامه
وهب الوليد برحلها وزمامها وكذاك ذاك برحله وزمامه
وفتى يزيح أعد لنبة لبن اللقوح فعاد مل حزامه
عند
وهب الوليد بسرجها ولجامها وكذاك ذاك بسرجه ولجامه
أهدى المقنع للوليد قصيدة كالسيف أرهف حده بحسامه
٧٦
وله المآثر في قريش كلها وله الخلافة بعد موت هشامه

وقال الحسين بن جماعة الجذامي في الخط

إليك بسري بات يرقل عاملا أصم الصدا مخلوف السر طايع
بصير بما يوحى إليه وما له لسان ولا أذن بها هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره لديه إذا ما حركته الأصابع
له ريقة من غير فرث ثمده ولا من ضلوع ضمنتها الأضالع

وقال الطائي يمدح محمد بن عبد الملك

ومنه صفة القلم
وما برحت صور إليك نوازعا أعنتها مذ راسلتها الرسائل
لك القلم الأعلى الذي بشباته يصاب من الأمر الكلى والمفاصل

٤
له الخلوات اللاي لولا نجيها لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأري الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابل
فصيح إذا استنطقته وهو راكب وأعجم إن خاطبته وهو راجل
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل
إذا استغزر الذهن الجلي وأقبلت أعاليه في القرطاس وهي أسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
رأيت جليلا شانه وهو مرهف ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل
أتى ابن أبي مروان أما لقاؤه فدان وأما حكمه فهو عادل

وكانوا يجعلون الكتاب نقرا في الصخور ونقشا في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان فربما
٧٧
كان الكتاب هو الناتي وربما كان الكتاب هو الحفر إذا كان ذلك تاريخا لأمر جسيم أو عهدا لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو إحياء شرف يريد وا تخليد ذكره أو تطويل مدته كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب

القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود
مارب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق
الفرد وعلى باب الرهاء يعمدون الى المواضع
المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون الخط
في ابعد المواضع من الدثور وامنعها من الدروس
واجدر ان يراها من مر بها ولا تنسى على وجه
الدهر ☙ واقول ولولا الخطوط لبطلت العهود
والشروط والسجلات والصكاك وكل اقطاع
وكل انفاق وكل امان وكل عهد وعقد
وكل جوار وحلف ولتعظيم ذلك والثقة به
والاستناد اليه كانوا في الجاهلية يدعون من
يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيما للامر
وتبعيدا له من النسيان ولذلك قال الحارث بن
حلزة في شان بكر وتغلب ☙

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي ولا ينقض ما في المهارق الاهواء

والمهارق ليس يراد بها الصحف والكتب ولا

خامسة اول

يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين او
كتب عهود وميثاق وايمان ☙ وليس بين الرقوم
والخطوط فرق ولولا الرقوم لهلك اصحاب البز
والغزل واصحاب الساج وعامة المتاجر ☙
وليس بين الوسوم التي تكون على الحافر كله
وعلى الخف كله والظلف كله وبين الرقوم
فرق ولا بين العقود وبين الرقوم فرق ولا
بين العقود والخطوط فرق وكلها خطوط وكلها
كتاب او في معنى الخط والكتاب ولا
بين الحروف المجموعة والمصورة من الصوت
المقطع في الهواء وبين الحروف المجموعة
والمصورة من السواد في القراطيس فرق ☙
واللسان يصنع في جوبة الفم وهوائه الذي
في جوف الفم وخارجه وفي لهاته وباطن
اسنانه مثل ما يصنع القلم في المداد واللبقة
والهواء والقراطيس وكلها صور وعلامات
وخلق موائل ودلالات تعرف ما كان منها

مصورة من تلك الصور لكثرة ترددها
على الاسماع وتعرف ما كان منها مصورا من
الالوان لطول تكرارها على الابصار كما
استدلوا بالضحك على السرور وبالبكا على
الالم وعلى مثل ذلك عرفوا معاني ضروب
صور الاشارات وصور جميع الهيات كما عرف
المجنون لقبه والكلب اسمه وعلى مثل ذلك
فهم الصبي الزجر والاغراء وردع المجنون
الوعيد والتهدد وبمثل ذلك اشتد حضر
الدابة مع رفع السوط نعم حتى اذا راى
سايسه حمحم واذا راى الحمام القيم عليه
للقط الحب قبل ان يلقي له ما يلتقط ولولا
الوسوم ايضا ونقوش الخواتيم لدخل على الاموال
الخلل الكثير وعلى خزاين الناس الضرر الشديد
وليس في الارض امة بها طرق او بها مسكة
ولا جيل لهم قبض وبسط الا ولهم خط
فاما اصحاب الملك والمملكه والسلطان والجباية

والديانة والعبادة فهناك الكتاب المتقن
والحساب المحكم ولا يخرج الخط من الجزم
والمسند والمسون كيف كان قال ذلك
الهيثم بن عدي وابن الكلبي قال ابو
عبيدة كل امة تعتمد في استبقا ماثرها
وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل
من الاشكال فكانت العرب في جاهليتها
تحتال في تخليدها بان تعتمد في ذلك على الشعر
الموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديوانها
وعلى ان الشعر يفيد فضيلة البيان على
الشاعر الراغب والمادح الطالب وفضيلة المأثرة
على السيد المرغوب اليه والممدوح به قال
وذهبت العجم الى ان تقيد ماثرها بالبنيان
فبنوا مثل كرد بنداذ وبنا اردشير البيضا
باصطخر وبيضاء المداين والحضر والمدن
والحصون والقناطر والجسور والنواويس
قال ثم ان العرب احبت ان تشارك العجم

في البنيان وتفردوا بالشعر فبنوا غمدان وكعبة
نجران وقصر مارب وقصر مارد قالوا تمرد
مارد وعز الابلق وغير ذلك من البنيان ٥
قالوا ولذلك لم تكن الفرس تبيح شريف البنيان
كما لا تبيح شريف الاسماء الا لاهل البيوتات
كصنيعهم في النواويس والحمامات والقباب
الخضر والشرف على الحيطان في الدور ٥
وكالعقد على الدهاليز وما اشبه ذلك
فقال بعض من حضره كتب الحكماء وما دونت
العلماء من صنوف البلاغات والصناعات
والآداب والارفاق من القرون السالفة والامم
البائدة ومن له بقية ومن لا بقية له ابقى ذكرا
وارفع قدرا واكثر ردا لان الحكمة انفع
لمن ورثها من جهة الانتفاع بها واحسن في
الاحدوثة لمن احب الذكر بالجميل والكتب
بذلك اولى من بنيان الحجارة وحيطان المدر
لان من شان الملوك ان يطمسوا على اثار من

٨٢

قبلهم وان يميتوا ذكر اعدائهم فقد هدموا
بهذا السبب اكثر المدن واكثر الحصون
في الجاهلية كذلك كانوا ايام العجم وايام الجاهلية
وعلى ذلك هم في ايام الاسلام كما هدم عثمن صومعة
غمدان وكما هدم الآطام التي كانت بالمدينة
وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر
وكما هدم اصحابنا مدن الشامات لبني مروان ٥
واما الشعر فحديث الميلاد صغير السن اول من
انهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس
ومهلهل بن ربيعة وكتب ارسطاطاليس ومعلمه
افلاطون ثم بطلميوس وديمقراطس وفلان
وفلان قبل بدو الشعر بالدهور قبل الدهور
والاحقاب قبل الاحقاب ويدل على حداثة
ميلاد الشعر قول امرئ القيس ٥
ان بني عوف ابتنوا حسنا ضيعه الدخلول اذ غدروا
ادوا الى جارهم خفارته ولم يضع بالمغيب من نصروا
لا حميري وفى ولا عدس ولا است عير يحكها الثفر

اول قائل الشعر

٨٢

لكن عوبر وفى بذمته لا قصر غاية ولا عوز

فانظر كم كان عمر زرارة وكم كان بين موت
زرارة وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا استظهرنا للشعر وجدنا له الى ان جا الله
بالاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا
له غاية الاستظهار فمائتي عام ۝ وقال
وفضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى
من تكلم بلسان العرب والشعر لا يستطاع
ان يترجم ولا يجوز عليه النقل ومتى حول
تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه
وسقط موضع التعجب منه وصار كالكلام
المنثور والكلام المنثور المبتدا على ذلك احسن
واوقع من المنثور الذي تحول عن الموزون
قال وجميع الامم يحتاجون الى الحكم في الدين
والحكم في الصناعات الى كل ما اقام لهم
المعاش وبوب لهم ابواب الفطن وعرفهم
وجوه المرافق حديثهم كقديمهم واسودهم

١٤

كاحمرهم وبعيدهم كقريبهم والحاجة الى ذلك
شاملة لهم ۝ قال وقد نقلت كتب الهند وترجمت
حكم اليونانية وحولت آداب الفرس فبعضها
ازداد حسنا وبعضها انتقص شيئا ولو حولت
حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن
مع انهم لو حولوها لم يجدوا في معانيهم شيئا لم
تذكره العجم في كتبهم التي وضعوها لمعاشهم
وفطنهم وحكمهم وقد نقلت هذه الكتب من امة
الى امة ومن قرن الى قرن ومن لسان الى
لسان حتى انتهت الينا وكنا آخر من ورثها
ونظر فيها فقد صح ان الكتب ابلغ في تقييد
المآثر من البنيان والشعر ۝ ثم قال بعض من
ينصر الشعر ويحوطه ويحتج له ان الترجمان
لا يؤدي ابدا ما قال الحكيم على خصائص
معانيه وحقائق مذاهبه ودقائق اختصاراته
وخفيات حدوده ولا يقدر ان يوفيها حقوقها
ويؤدي الامانة فيها ويقوم بما يلزم الوكيل

١٥

الترجمة

ويجب على الجرير. وكيف يقدر على أدائها
وتسليم معانيها والإخبار عنها على حقها
وصدقها إلا أن يكون في العلم بمعانيها
واستعمال تصاريف ألفاظها وتأويلات مخارجها
مثل مؤلف الكتاب وواضعه. فمتى كان
رحمك الله ابن البطريق وابن ناعمة وأبو قرة
وابن فهريز وهيلى وابن المقفع مثل ارسطوطاليس.
ومتى كان خالد مثل أفلاطون. ولا بد للترجمان
أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن
علمه في نفس المعرفة. وينبغي أن يكون
أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى
يكون فيهما سواء وغاية. ومتى وجدناه أيضا
قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما.
لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى
وتأخذ منها وتعترض عليها. وكيف يكون تمكن
اللسان منهما مجتمعين فيه كتمكنه إذا
انفرد بالواحدة. وإنما له قوة واحدة فإن

١٦

تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة وإن
تكلم بلغتين انقسمت القوة عليهما وكذلك
إن تكلم بأكثر من لغتين. وعلى حساب ذلك
تكون الترجمة لجميع اللغات. وكلما كان الباب
من العلم أعسر وأضيق. والعلماء به أقل كان
أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه. ولن تجد
البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء. هذا
قولنا في كتب الهندسة والتنجيم والحساب
واللحون. فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين
وإخبار عن الله جل وعز بما يجوز عليه مما لا
يجوز حتى يريد أن يتكلم على تصحيح الطبائع.
ويكون ذلك معقودا بالتوحيد. ويتكلم في
وجوه الإخبار واحتمالاته للوجوه. ويكون ذلك
مضمنا بما يجوز على الله جل ثناؤه مما لا
يجوز. وبما يجوز على الناس مما لا يجوز. وحتى
يعرف مستقر العام والخاص والمقابلات
التي تلقى الأخبار العامية المخرج منها فيجعلها

١٧

خاصية حتى يعرف من الخبر ما يخصه الخبر
الذي يتواتر مما يخصه الخبر الذي يتوفر ان
مما يخصه العقل مما يخصه العادة او الحال
الزائدة له عن العموم وحتى يعرف ما يكون من
الخبر صدقا او كذبا وما لا يجوز ان يسمى بصدق
ولا كذب وحتى يعرف اسم الكذب والصدق
على كم معنى يشتمل وعند فقد اي معنى
ينقلب ذلك الاسم وكذلك معرفة المحال
من الصحيح واي شيء تاويل المحال وهل يسمى
المحال كذبا ام لا يجوز ذلك واي القولين
أفحش المحال او الكذب وفي اي موضع يكون
المحال افظع والكذب اشنع وحتى يعرف
المثل والبديع والوحي والكناية وفصل ما
بين الخطل والهذر والمقصور والمبسوط
والاختصار وحتى يعرف ابنية الكلام
وعادات القوم واسباب تفاهمهم والذي
ذكرنا قليل من كثير ومتى لم يعرف

ذلك المترجم اخطأ في تاويل كلام الدين
والخطأ في الدين اكبر من الخطأ في بعض
الصناعة والرياضة والفلسفة والكيمياء
وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم
واذا كان المترجم لا يكمل لذلك اخطأ على قدر
نقصانه من الكمال وما علم المترجم بالدليل
من سنة الدليل وما علمه بالاخبار النجومية
وما علمه بالحدود الخفية وما علمه باصلاح
سقطات الكلام واسقاط الناسخين للكتب
وما علمه ببعض الخطرفة لبعض المقدمات
وقد علمنا ان المقدمات لا بد من ان تكون
اضطرارية ولا بد من ان تكون مرتبة وكالخيط
الممدود وابن البطريق وابو قرة لا يفهمان
هذا موصوفا منزلا ومرتبا مفصلا من معلم
رفيق ومن حاذق صبور فكيف بكتاب
قد تداولته اللغات واختلاف الاقلام واجناس
خطوط الملل والامم ولو كان الحاذق بلسان

اليونانيين يومي بذلك الى الحاذق بلسان
العربية ثم كان العربي مقصرا عن مقدار
بلاغة اليوناني لم يجد المعين والرافد بدا
من التقصير ولم يجد اليوناني الذي لم يرض
مقدار بلاغته في لسان العربية بدا من
الاغتفار والتجوز ثم يصير الى ما يعرض
من الآفات لاصناف الناسخين وذلك ان
نسخته لا يعدمها الخطا ثم ينسخ له من تلك
النسخة من يزيده في الخطا ولا ينقص منه
ثم يعارض بوله من يترك ذلك المقدار من
الخطا على حاله اذ كان ليس في طاقته اصلاح
السقط الذي لا يجده في نسخته ولربما اراد
مؤلف الكتاب ان يصلح تصحيفا او كلمة ساقطة
فيكون انشاء مقدار عشر ورقات من حر
اللفظ وشريف المعاني اسهل عليه من اتمام
ذلك النقص حتى يرده الى موضعه من
اتصال الكلام فكيف يطيق ذلك المعارض

المستاجر والحكيم نفسه قد اعجزه هذا الباب
واعجب من ذلك انه ياخذ بكراء من قد اصلح
الفاسد وزاد الصالح صلاحا ثم يصير هذا
الكتاب بعد ذلك نسخة لانسان اخر فيسير
فيه الوراق الثاني سيرة الوراق الاول فلا
يزال الكتاب تتداوله الايدي الجانية والاعراض
المفسدة حتى يصير غلطا صرفا وكذبا مصمتا
فما ظنكم بكتاب يتعاقبه المترجمون بالافساد
ويتعاوره الخطاط بشر من ذلك او بمثله
وهو كتاب متقادم التوليد دهري الصنعة
قالوا فكيف تكون هذه الكتب انفع لاهلها
من الشعر المقفى ه قال الاخر احسبوا
الامر على ما قلتم والشان على ما نزلتم اليس
معلوما ان شيئا هذا بقيته وفضلته وسؤره
وصبابته وهذا مبلغ صبره على شدة الضيم
وثبات قوته على نهك الفساد وتداول
النقص حري بالتعظيم وحقيق بالتفضيل

على البنيان والتقييد على شعر إن حرك تهافت • ونفعه مقصور على أهله • وهو يعد من الأدب المقصور ليس بالمبسوط • ومن المنافع الاصطلاحية ليست بحقيقية بينة • وكل شيء في العالم من الصناعات والإرفاق والآلات فهي الموجودات في هذه الكتب دون الأشعار • وهاهنا كتب هي بيننا وبينكم مثل كتاب أقليدس • ومثل كتاب الجالينوس • ومثل المجسطي • مما تولاه الحجاج • وكتب كثيرة لا تحصى فيها بلاغ للناس وإن كانت مختلة مظلومة ومفسدة منقوصة • فالباقي كاف شاف • والغايب منها كان تكميلا لتلك الطبايع الكاملة •

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ومنتهى نفعه إلى حيث انتهى به القول •

ذكر العلوم والصنايع

وفي أيدي الناس كتب الحساب • والطب والمنطق • والهندسة ومعرفة اللحون • والفلاحة والتجارة • وأبواب الأصباغ والعطر • والأطعمة • والآلات • وهم أتوكم بالحكمة وبالمنفعة التي في الحمامات •

والأصطرلابات • والقرسطونات • وآلات معرفة الساعات • وصنعة الزجاج والفسافسا • والشطرنج والزنجفر • واللازورد • والأشربة والأنبجات والفسفاذجات • وكالمينا والنوشادر والشبه • وتعليق الحيطان والأساطين • ورد ما مال منها إلى التقويم • وكصب الزرنيخ • واستخراج النشاستج وتعليق الخيش • واتخاذ الجمازات • وعمل الخرافات • واستخراج شراب الداذي • وعمل الزرياب • وكان الحجاج أول من أجرى في البحر السفن المقيرة المسمرة غير المخروزة • والمدهونة والمسطحة • وغير ذوات الجآجئ • وكان أول من عمل المحامل

وقال بعض رجاز الأكرياء •

أول عبد عمل المحاملا • أخزاه ربي عاجلا وآجلا •
عبد ثقيف ذاك أزلا آزلا •

وقال آخر •

شيب أصداغي فهن بيض • محامل لقدهما نقيض •

وقال آخر •

شبت أصداغي فهن بيض ۔ محامل فيها رجال قبض

لو يبكون سنة لم يغرضوا ۔

وقال القوم ولولا ما عرفوكم من أبواب الحملانات
لم تعرفوا صنعة الشبه ولولا غضائر الصين على وجه
الدهر لم تعرفوا الغضائر على أن الذي علمتم ظاهر
فيه التوليد منقوص المنفعة عن تمام الصيني
وعلى أن الشبه لم تستخرجوه وإنما ذلك
من الأمور التي وقعت اتفاقا بسقوط الناطف
من يد الأجير في الصفر المذاب فخفتم إفساده
فلما رأيتم ما أعطاه من اللون عملتم في الزيادة
والنقصان وكذلك جميع ما تهيأ لكم من
طريق الاتفاق ۔ ولستم تخرجون في ذلك
من أحد أمرين إما أن تكونوا استعملتم الاشتقاق
من علم ما ورثوكم وإما أن يكون ذلك
تهيأ لكم من طريق الاتفاق ۔ قد علمتم أن
أول شأن الجمازات أن أم جعفر أمرت
الرحالين أن يزيدوا في شبر البختية التي

كانت عليها وخافت فوت الرشيد فلما حركت
مشت ضروبا من المشي وضروبا من المرفوع
فجمزت في خلال ذلك ووافقت امرأة تحسن
الاختبار وتفهم الأمور فوجدت لذلك الجمز
راحة ومع الراحة لذة فأمرتهم أن يسيروها
تلك السيرة فما زالوا يقربون ويبعدون
ويخطئون ويصيبون وهي مع ذلك تصوبهم
وتخطئهم على قدر ما عرفت حتى سددوا
من معرفة ذلك سددا ثم إنها فرغتهم
لإتمام ذلك حتى تم واستوى وكذلك
جميع أموركم لا تخلوا من أن يكون اتفاقا أو
اتباع أثر ۔ ثم ترجع بنا القول إلى الترغيب
في اصطناع الكتب والاحتجاج على من زرى
على واضع الكتب فأقول إن على من شكر
المعرفة بمغاوي الناس ومراشدهم ومضارهم
ومنافعهم أن يحتمل ثقل مؤونتهم في تعريفهم
وأن يتوخى إرشادهم وإن جهلوا فضل ما

يُسدى اليهم ولن يُصان العلم بمثل بذله
ولن تُستبقى النعمة فيه بمثل نشره على
أنّ قراءة الكتب ابلغ في ارشادهم من تلاقيهم
اذ كان مع التلاقي يشتدّ التصنّع ويكثر
التظالم وتفرط العصبيّة وتقوى الحميّة وعند
المواجهة والمقابلة يشتدّ حبّ الغلبة وشهوة
المباهاة والرياسة مع الاستحياء من الرجوع
والأنفة من الخضوع وعن جميع ذلك تحدث
الضغائن ويظهر التباين فاذا كانت القلوب
على هذه الصفة وعلى هذه الهيئة امتنعت
من التعرّف وعميت عن مواضع الدلالة
وليست للكتب علّة تمنع من درك البغية
واصابة الحجّة لأنّ المتوحّد بدرسها والمنفرد
بفهم معانيها لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله
وقد عدم من له يباهي ومن اجله يغالب
والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدّم مؤلّفه
ويرجح قلمه على لسانه بأمور منها أنّ الكتاب

يُقرأ بكلّ مكان ويظهر ما فيه على كلّ لسان
ويوجد مع كلّ زمان على تفاوت ما
بين الأعصار وتباعد ما بين الامصار وذلك
أمر يستحيل في واضع الكتاب والمنازع
بالمسألة والجواب ومناقلة اللسان وهدايته
لا يجوزان مجلس صاحبه ومبلغ صوته وقد يذهب
الحكيم وتبقى كتبه ويفنى العقل ويبقى أثره
ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وخلّدت
من عجيب حكمتها ودوّنت من انواع سيرها
حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كلّ
مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم
وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد خسّ
حظّنا من الحكمة وضعف سببنا الى المعرفة
ولو أُلجئنا الى قدر قوّتنا ومبلغ خواطرنا
ومنتهى تجربتنا لما تدركه حواسّنا وتشاهده
نفوسنا لقد قلّت المعرفة وقصرت الهمّة
وانتقضت المنّة وعاد الرأي عقيمًا والخاطر

فاستبدأوا تكلف الجد وتبلدوا العقل واكثر من كتبهم
نفعا واشرف منها خطرا واحسن موقعا كتب
الله التي فيها الهدى والرحمة والاخبار عن
كل عبرة وتعريف كل سيئة وحسنة
وما زالت كتب الله في الالواح والصحف والمهارق
والمصاحف وقد قال الله جل ثناوه الم ذلك
الكتاب وقال ما فرطنا في الكتاب من
شيء ويقال لاهل التوراة والانجيل
اهل الكتاب وينبغي ان تكون سبيلنا لمن
بعدنا كسبيل من قبلنا فينا على انا قد وجدنا
من العبرة اكثر مما وجدوا كما ان من بعدنا
يجد من العبرة اكثر مما وجدنا فما ينتظر
العالم باظهار ما عنده وما يمنع الناصر للحق
من القيام بما يلزمه وقد امكن القول وصلح
الدهر وخوى نجم التقية وهبت ريح العلماء
وكسد العي والجهل وقامت سوق البيان
والعلم والانسان لن يجد في كل حال

انسانا يبدد نفسه ويعوقه ما يثقفه والصبر على افهام
الريض شديد وصرف النفس عن مغالبة العالم
اشد منه مما والمتعلم يجد في كل مكان
الكتاب عتيدا وبما يحتاج اليه قائما وما اكثر
من فرط في التعلم ايام خمول ذكره وايام حداثة
سنه ولولا جياد الكتب وحسنها ومبينها ومختصرها
لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب
الادب وانفت من حال الجهل وان تكون في غمار
الحشو ولدخل على هؤلاء من الضرر والمضرة والجهل
وسوء الحال ما عسى ان لا يمكن الاخبار عن
مقداره الا بالكلام الكثير ولذلك قال عمر رحمة
الله عليه تفقهوا قبل ان تسودوا وقد تجد الرجل
يطلب الآثار وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء
خمسين سنة ولا يعد فقيها ولا يجعل قاضيا
وما هو الا ان ينظر في كتب ابي حنيفة واشباه
ابي حنيفة ويحفظ كتب الشروط في مقدار
سنة او سنتين حتى تمر ببابه فتظن انه باب

بعض العمال وبالحري ان لا يمر عليه من الايام
الا اليسير حتى يصير حاكما على مصر من الامصار
او بلدة من البلدان ۝ وينبغي لمن كتب كتابا ان
لا يكتبه الا على ان الناس كلهم له اعداء وكلهم
عالم بالامور وكلهم متفرغ له ثم لا يرضى
بذلك حتى يدع كتابه يغب ويختمر ولا يثق
بالراي الفطير فان لابتداء الكتاب فتنة وعجبا
فاذا سكنت الطبيعة وهدات الحركة وتراجعت
الاخلاط وعادت النفس وافرة اعاد النظر
فيه ويتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن
طمعه في السلامة انقص من وزن خوفه من
العيب ويتفهم معنى قول الشاعر ۝
ان الحديث تغر القوم خلوته حتى يكون لهم عي واكثار
ويقف عند قولهم في المثل كل مجر في الخلاء
يسر فيخاف ان يعتريه ما يعتري من اجرى
فرسه وحده او خلا بقلمه عند فقد خصومه
واهل المرتبة من اهل صناعته وليعلم ان

التحري في التاليف

١٠٠

صاحب القلم يعتريه ما يعتري المؤدب عند
ضربه وعقابه فما اكثر من يعزم على عشرة
اسواط فيضرب مائة لانه ابتدا الضرب وهو
ساكن الطباع فاراه السكون ان الصواب في الاقلال
فلما ضرب تحرك دمه فاشاع فيه الحرارة وزاد
في غضبه فاراه الغضب ان الراي في الاكثار
وكذلك صاحب القلم فما اكثر من يبتدئ
الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب
عشرة والحفظ مع الاقلال امكن وهو مع
الاكثار ابعد ۝ واعلم ان العاقل ان لم يكن
بالمتتبع فكثيرا ما يعتريه من ولده ويحسن
في عينه منه القبيح في عين غيره فليعلم ان
لفظه اقرب اليه نسبا من ابنه وحركته امس
به رحما من ولده لان حركته شيء احدثته
من نفسه وبذاته ومن عين جوهره فصلت
ومن نفسه كانت وانما الولد كالمخطة يتمخطها
وكالنخامة يقذفها ولا سواء اخراجك من

١٠١

نفسك شيئاً لم يكن منك واظهار حركة
لم تكن حتى كانت ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره
وفتنته بكلامه وكتبه فوق فتنته بجميع نعمته
وليس الكتاب الى شيء احوج منه الى
افهام معانيه حتى لا يحتاج السامع بما فيه
الى الروية فيه ويحتاج من اللفظ الى مقدار
يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشو ويحطه عن
غريب الاعراب ووحشي الكلام وليس له ان
يهذبه جدا وينقحه ويصفيه ويروقه حتى
لا ينطق الا باللب وبالسر وباللفظ الذي قد حذف
فضوله وتعرق زوائده حتى عاد خالصا لا
شوب فيه فانه ان فعل ذلك لم يفهم عنه الا
بان يجدد لهم افهاما وتكرارا لان الناس كلهم
قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت
افهامهم لا تزيد على عاداتهم الا بان تعطش
عليها وتوخذ بها الا ترى ان كتاب المنطق
الذي قد وسم بهذا الاسم لو قراته على جميع

منك

١٠٢

خطباء الامصار وبلغاء الاعراب لما فهموا
اكثره وفي اقليدس كلام يدور وهو عربي
وقد صفي ولو سمعه بعض الخطباء لما فهمه
الا بان يفهمه من يريد تعليمه لانه يحتاج
الى ان يكون قد عرف جهة الامر وتعود
اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام
وقد قال معاوية بن ابي سفيان لصحار العبدي
ما الايجاز قال ان تجيب فلا تبطئ وتقول
فلا تخطئ قال معاوية او كذلك تقول
قال صحار اقلني يا امير المومنين لا تخطئ
ولا تبطئ فلو ان سائلا سالك عن الايجاز
فقلت لا تخطئ ولا تبطئ وبحضرتك خالد
ابن صفوان لما عرف بالبديهة وعند اول وهلة
ان قولك لا تخطئ متضمن بالقول وقولك
لا تبطئ متضمن بالجواب وبهذا حديث كما ترى
فدارت نصوه وزوره ولو ان قائلا قال لبعضنا
ما الايجاز لظننت انه كان سيقول الاختصار

١٠٢

والايجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف
واللفظ وقد يكون الباب من الكلام من اتى عليه
فيما يتسع بطن طومار فقد اوجز وكذلك
الاطالة وانما ينبغي ان يحذف بقدر ما لا
يكون سببا لاغلاقه ولا يردد وهو يكتفي ١٠٤
في الافهام بشطره فما فضل عن المقدار فهو
الخطل ۞ وقلت لابي الحسن الاخفش انت
اعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة
كلها وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها
وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض
المفهوم قال انا رجل لم اضع كتبي هذه لله
وليست هي من كتب الدين ولو وضعتها هذا الوضع
الذي تدعوني اليه قلت حاجتهم الي فيه وانما
غايتي المنالة فانا اضع بعضها هذا الوضع المفهوم
لتدعوهم حلاوة ما فهموا الى التماس فهم ما لم
يفهموا وانا قد كسبت في هذا التدبير اذ كنت
الى التكسب ذهبت ولكن ما بال ابرهيم النظام

وفلان وفلان يكتبون الكتب لله بزعمهم ثم
ياخذها مثلي في موافقته وحسن نظره وشدة
عنايته فلا يفهم اكثرها ۞ واقول لو ان ١٠٥
يوسف السمتي كتب هذه الشروط ايام جلس
سليمان بن ربيعة شهرين للقضاء فلم يتقدم
اليه رجلان والقلوب سليمة والحقوق على اهلها
موفرة لكان ذلك خطلا ولغوا ولو كتب في دهرنا
شروط دهر سليمان لكان ذلك غرارة ونقصا
وجهلا بالسياسة وما يصلح كل دهر ۞ ووجدنا
الناس اذا خطبوا في صلح بين العشائر اطالوا
واذا انشدوا الشعر بين السماطين في مديح
الملوك اطالوا فللاطالة موضع وليس ذلك
بخطل وللاقلال موضع وليس ذلك من
عجز ولولا اني اتكل على انك لا تمل باب
القول في البعير حتى تخرج الى الفيل وفي
الذرة حتى تخرج الى البعوضة وفي العقرب
حتى تخرج الى الحية وفي الرجل حتى تخرج

الى المراة وفي الذبان والنحل حتى تخرج الى
الغربان والعقبان وفي الكلب حتى تخرج
الى الديك وفي الذيب حتى تخرج الى الضبع
وفي الظلف حتى تخرج الى الحافر وفي الحافر
حتى تخرج الى الخف وفي الخف حتى تخرج
الى البرثن وفي البرثن حتى تخرج الى المخلب
وكذلك القول في الطير وعامة الاصناف
لرايت ان ذلك يوجب الملال وبعثت الفترة
المانعة من البلوغ في الفهم وتعرف ما يحتاج
منه الى التعرف فرايت ان جملة الكتاب
وان كثر عدد ورقه ان ذلك ليس مما يمل
من كثرة قراءته ابدا وتعتد علي فيه بالاطالة
لانه وان كان كتابا واحدا فانه كتب كثيرة
وكل مصحف منها ام على حدة فان اراد قراءة
الجميع لم يطل عليه الباب الاول حتى يهجم على
الثاني ولا الثاني حتى يهجم على الثالث
فهو ابدا مستفيد ومستطرف وبعضه يكون

١٠٦

جماما للبعض ولا يزال نشاطه زائدا ومتى خرج
من آي القرآن صار الى اثر ومتى خرج من اثر
صار الى خبر ثم يخرج من الخبر الى شعر ومن
الشعر الى نوادر ومن النوادر الى حكم عقلية
ومقاييس شداد ثم لا يترك هذا الباب فلعله ان
يكون اثقل والملال اليه اسرع حتى يفضي به
الى مزح وفكاهة والى سخف وخرافة ولست
اراه سخفا اذ كنت انما استعملت سيرة الحكماء
وآداب العلماء ورأينا الله تعالى وعز اذا
خاطب العرب والاعراب اخرج الكلام مخرج
الاشارة والوحي والحذف واذا خاطب
بني اسرائيل او حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد
في الكلام فاصوب العمل اتباع آثار العلماء
والاحتذاء على مثال القدماء والاخذ بما
عليه الجماعة وقال ابن يسير في صفة الكتب
في كلمة له

اقبلت اهرب لا آلوا مباعدة في الارض منهم فلم يحصني الهرب

١٠٧

بقصر أو بين فما والت خنادقه الى النواويس فالماخور فالخرب
فأيما موئل منها اعتصمت به فمن ورائي حثيثا منهم الطلب
لما رأيت بأني غير معجزهم فوتا ولا هربا قربت أحتجب
وصرت في البيت مسرورا به جذلا جار البراءة لا شكوى ولا شغب
فردا تحدثني الموتى وتنطق لي عن علم ما غاب عني منهم الكتب
هم مونسون وألاف غنيت بهم فليس لي في انيس غيرهم ارب
لله من جلساء لا جليسهم ولا عشيرهم للسوء مرتقب
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
ابقوا لنا حكما تبقى منافعها أخرى الليالي على الايام وانشعبوا
فأيما أدب منهم مددت يدي يوما اليه فدان من يدي كثب
ان شئت من محكم الآثار يرفعها الى النبي ثقات خيرة نجب
او شئت من عرب علما بأولها في الجاهلية انبتني به العرب
او شئت من سير الاملاك من عجم تنبي وتخبر كيف الراي والادب
حتى كأني قد شاهدت عصرهم وقد مضت دونه من دهرهم حقب
يا قائلا قصرت في العلم نهيته أمسى الى الجهل فيما قال ينتسب
ان الأوائل قد بانوا بعلمهم خلاف قولك قد ماتوا وقد ذهبوا
ما مات منا امرؤ ابقى لنا ادبا يكون منه اذا ما مات مكتسب

وقال ابو وجزة وهو يصف صحيفة كتب له
فيها بستين وسقا
راحت بستين وسقا في حقيبتها ما حملت حملها الأدنى ولا السددا
ولا رأت قلوصا قبلها حملت ستين وسقا ولا جابت بها بلدا

وقال الراجز

تعلمن ان الدواة والقلم تبقى ويفني حادث الدهر الغنم

يقول كتابك الذي تكتبه على يبقى فتأخذني
به وتذهب غنمي فيما يذهب ومما يدلك على
نفع الكتاب انه لولا الكتاب لم يجز ان يعلم اهل
الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة
وحدث بالكوفة في بياض يوم فتكون الحادثة
بالكوفة غدوة فيعلمها اهل البصرة قبل المساء
وذلك مشهور في الحمام الهدى اذا جعلت بردا
قال الله جل وعز وذكر سليمن وملكه الذي لم
يؤت احد مثله فقال وتفقد الطير فقال مالي
لا ارى الهدهد الى قوله او لياتيني
بسلطان مبين فلم يلبث ان قال الهدهد

وجئتك من سبإ بنبإ يقين إني وجدت امرأة تملكهم
وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ۝
قال سليمان اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم وقد
كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها من
عفريت ومن بعض من عنده علم من الكتاب
فرأى أن الكتاب أبهى وأنبل وأكرم وأفخم
من الرسالة عن ظهر لسان وإن أحاط بجميع ما
في الكتاب ۝ وقالت ملكة سبإ يا أيها الملأ
إني ألقي إلي كتاب كريم فهذا مما يدلك على قدر
اختيار الكتب وقد يريد بعض الجلة الكبار وبعض
الأدباء والحكماء أن يدعو بعض من يجري مجراه
من سلطان أو أديب إلى مأدبة أو ندام أو خروج
إلى متنزه أو بعض ما يشبه ذلك فلو شاء أن
يبلغه الرسول إرادته ومعناه لأصاب من يحسن
الأداء ويصدق في الإبلاغ فيرى أن الكتاب
في ذلك أسرى وأنبه وأبلغ ۝ ولو شاء النبي
صلى الله عليه وسلم أن لا يكتب الكتب إلى كسرى

وقيصر والنجاشي والمقوقس وإلى بني الجلندى
وإلى العباهلة من حمير وإلى هوذة بن علي وإلى
الملوك العظماء والسادة النجباء لفعل ولوجد
المبلغ المعصوم من الخطإ والتبديل ولكنه عليه
السلام علم أن الكتاب أشبه بتلك الحال وأليق
بتلك المراتب وأبلغ في تعظيم ما حواه الكتاب
ولو شاء الله أن يجعل البشارات على الألسنة
بالمرسلين ولم يودعها الكتب لفعل ولكنه
تعالى وعز علم أن ذلك أتم وأكمل وأجمع
وأنبل وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان
أو ديانة إلى بعض من يشاكله أو يجري مجراه
فلا يرضى بالكتاب حتى يخزمه ويختمه
وربما لم يرض بذلك حتى يعنونه ويعظمه
قال الله جل وعز أم لم ينبأ بما في صحف موسى
وإبراهيم الذي وفى فقد ذكر صحف موسى
الموجودة وصحف إبراهيم البائدة المعدومة
ليعرف الناس مقدار النفع والمصلحة في

الكتب ۞ قالوا وكانت فلاسفة اليونانية تورّث
البنات العين وتورّث البنين الدين وكانت
تصل العجز بالكفاية والمؤونة بالكلفة وكانت
تقول لا تورّثوا الابن من المال الا ما يكون عونا
له على طلب المال واغذوه بحلاوة العلم واطبعوه
على تعظيم الحكمة ليصير جمع العلم اغلب عليه
من جمع المال وليرى انه العدة والعتاد وانه
اكرم مستفاد ۞ وكانوا يقولون لا تورّثوا
الابن من المال الا ما يسدّ الخلة ويكون له
عونا على درك الفضول ان كان لا بد من
الفضول فانه ان كان فاسدا زادت تلك الفضول
في فساده وان كان صالحا كان فيما اورثتموه
من العلم ويبقيتم له من الكفاية ما يكسبه
الحال فان الحال افضل من المال ولان المال
لم يزل تابعا للحال وقد لا يتبع الحال المال
وصاحب الفضول بعرض فساد وعلى شفا
اضاعة مع تمام الحنكة واجتماع القوة فما

كلام حكمت

ظنكم بها مع غرارة الحداثة وسوء الاختيار
وقلة التجربة ۞ وكانوا يقولون خير ميراث
ما اكسبك الاركان الاربعة واحاط باصول
المنفعة وعجّل لك حلاوة المحبة وبقى لك
الاحدوثة الحسنة واعطاك عاجل الخير وآجله
وظاهره وباطنه وليس يجمع ذلك الا كرائم
الكتب النفيسة المشتملة على ينابيع العلم
والجامعة لكنوز الادب ومعرفة الصناعات
وفوائد الارفاق وحجج الدين الذي بصحته
وعند وضوح برهانه تسكن النفوس وتثلج
الصدور ويعود القلب معمورا والعز راسخا
والاصل فسيحا وهذه الكتب هي التي تزيد
في العقل وتشحذه وتداويه وتصلحه وتهذبه
وتنفي الخبث عنه وتفيدك العلم وتصادق
بينك وبين الحجة وتعودك الاخذ بالثقة
وتجلب الحال وتكسب المال ۞ ووراثة الكتب
الشريفة والابواب الرفيعة منبهة للمورّث

وكنز عند الوارث الا انه كنز لا تجب فيه الزكاة
ولا حق السلطان وإذا كانت الكنوز جامدة ينقصها
ما اخذ منها كان ذلك الكنز مايعا يزيده ما
اخذ منه ولا يزال بها المورث مذكورا في الحكماء
ومنوها باسمه في الاسماء واماما متبوعا
وعلما منصوبا فلا يزال الوارث محفوظا ومن
اجله محبوبا ممنوعا ولا تزال تلك المحبة نامية
ما كانت تلك الفوائد قائمة ولن تزال
فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة
ولن يزال من تعظيمها في القلوب اثر ما
كان من فوائدها على الناس اثر ۞
وقالوا متى ورثته كتابا واودعته علما
فقد ورثته ما يغل ولا يستغل وقد
ورثته الضيعة التي لا تحتاج الى اثارة
ولا الى سقي ولا الى اسجال بايغار
ولا الى شرط ولا تحتاج الى اكار ولا
الى ان تثار وليس عليها عشر ولا للسلطان

١١٤

عليها خراج وسواء افدته علما او ورثته
آلة علم وسواء دفعت اليه الكفاية او ما
يجلب الكفاية وانما تجري الامور وتتصرف
الافعال على قدر الامكان فمن لم يقدر
الا على دفع السبب لم يجب عليه احضار
المسبب فكتب الاباء تحبيب للاحياء ومحيي
لذكر الموتى ۞ وقالوا ومتى كان الاب
جامعا بارعا وكانت مواريثه كتبا بارعة
وآدابا جامعة كان الولد اجدر ان يرى
التعلم حظا واجدر ان يسرع التعليم اليه
ويرى تركه خطأ واجدر ان يجري من
الادب على طريق قد انهج له ومنهاج قد
وطئ له واجدر ان يسري اليه عرق من
نجله وسقي من غرسه واجدر ان يجعل
بدل الطلب للكتب النظر في الكتب فلا
ياتي عليه من الايام مقدار الشغل بجمع
الكتب والاختلاف في سماع العلم الا وقد

١١٥

بلغ بالكفاية غاية الحاجة وانما تفسد الكفاية
من تمت آدابه وتوافت اليه اسبابه فاما الحدث
الغرير والمنقوص الغمر فخير مواريثه الكفاية
الى ان يبلغ التمام ويكمل للطلب فخير ميراث
ورثت كتب وعلم وخير الموروثين من اورثت
ما يجمع ولا يفرق ويبصر ولا يعمي ويعطي
ولا ياخذ ويجود بالكل دون البعض ويدع لك
الكنز الذي ليس للسلطان فيه حق والركاز
الذي ليس للفقراء فيه نصيب والنعمة التي ليس
للحاسد فيها حيلة ولا للصوص فيها رغبة وليس
للخصم عليك فيه حجة ولا على الجار فيه مؤونة
واما ابقراط فانه قال ينبغي ان يعرف انه لا
بد من ان يكون لكل كتاب علم وضعه احد
من الحكماء ثمانية اوجه منها الهمة والمنفعة
والنسبة والصحة والصنف والتاليف والاسناد
والتدبير فاولها ان يكون لصاحبه همة وان
يكون فيما وضع منفعة وان يكون له نسبة

ينسب اليها وان يكون صحيحا وان يكون على
صنف من اصناف الكتب معروفا به وان يكون
مؤتلفا من اجزاء خمسة وان يكون مسندا
الى وجه من وجوه الحكمة وان يكون له تدبير
موصوف ۞ فذكر ان ابقراط قد جمع
هذه الثمانية الاوجه في هذا الكتاب
وهو كتابه الذي يسمى افوريسموا تفسيره
كتاب الفصول ۞ وقولك وما بلغ من قدر
الكلب مع لوم اصله وخبث طبعه وسقوط
قدره ومهانة نفسه ومع قلة خيره وكثرة
شره واجتماع الامم كلها على استسقاطه
واستفساله ومع ضربهم المثل في ذلك
كله به ومع حاله التي يعرف بها من
العجز عن صولة السباع واقتدارها ومن
تمنعها وتشردها وتوحشها وقلة اسماحها
وعن مسالمة البهائم وموادعتها والتمكين
من اقامة مصلحتها والانتفاع بها اذ لم يكن

ذكر الكلب

فمن طبعها دفع السباع عن انفسها ولا الاحتيال
لمعايشها ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من
المواضع المخوفة ولان الكلب ليس بسبع
تام ولا بهيمة تامة حتى كانه من الخلق المركب
والطبايع الملفقة والاخلاط المجتلبة كالبغل
المتلون في اخلاقه الكثير العيوب المتولدة عن
مزاجه وشر الطبايع ما تجاذبته الاعراق
المتضادة والاخلاق المتفاوتة والعناصر
المتباعدة كالراعبي من الحمام الذي ذهبت
عنه هداية الحمام وشكل هديره وسرعة
طيرانه وبطل عنه عمر الورشان وقوة جناحه
وشدة عصبه وحسن صوته وشجا حلقه وشكل
لحونه وشدة اطرابه واحتماله لوقع البنادق
وجرح المخالب وفي الراعبي انه مسرول
منتقل وحدث له عظم بدن وثقل وزن لم يكن
لابيه ولا لامه ۝ وكذلك البغل خرج من
بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ويعيش

حكمة في البغل

١١٨

البغل

نتاجهما ويبقى بقاءهما وهو لا يعيش له ولد وليس
بعقيم ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر فلو
كان البغل عقيما والبغلة عاقرا لكان ذلك
ازيد في قوتهما واتم لشدتهما فمع البغل
من الشبق والنعظ ما ليس مع ابيه ومع
البغلة من الشبق وطلب السفاد ما ليس
مع امها وذلك كله قادح في القوة ونقص في
البنية وخرج غرموله اعظم من غراميل اعمامه
واخواله فترك شبههما ونزع الى شي ليس
له في الارض اصل وخرج اطول عمرا من ابويه
واصبر على الاثقال من ابويه ۝ او كالخنثى
المذكرة من النساء والمونث من الرجال
فانه يكون اخبث نتاجا من البغل وافسد اعراقا
من السمع واكثر عيوبا من العسبار ومن
كل خلق خلق اذا تركب من ضد ومن كل
شجرة مطعمة بخلاف وليس يعتري مثل ذلك
الخلاسي من الدجاج ولا الورداني من الحمام

١١٩

وكل ضعف دخل على الخلقة وكل رقة عرضت
للحيوان فعلى قدر جنسه وعلى وزن مقداره
وتمكنه يظهر العجز والعيب ۞ وزعم الاصمعي
انه لم يسبق الحلبة فرس اصم قط ۞ وقال
محمد بن سلام لم يسبق الحلبة ابلق قط ولا بلقاء
والهداية في الحمام والقوة على بعد الغاية
انما هي للمصمتة من الخضر ۞ وزعموا ان الشيات
كلها ضعف ونقص والشية كل لون دخل
على لون ۞ وقال الله جل وعز انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي
الحرث مسلمة لا شية فيها ۞ وزعم عثمن
ابن الحكم ان ابن المذكرة من المؤنثة ياخذ
اسوا خصال ابيه واردا خصال امه فتجتمع
فيه عظام الدواهي واعيان المساوي وانه
اذا خرج كذلك لم ينجع فيه ادب ولا يطمع
في علاجه طبيب وانه راى في دور ثقيف
فتى اجتمعت فيه هذه الخصال فما كان في

الارض يوم الا وهم يتحدثون عنه بشيء
يصغر في جنبه اكبر ذنب كان ينسب اليه
وزعمت ان الكلب في ذلك كالخنثى الذي
هو لا ذكر ولا انثى او كالخصي الذي لما قطع
منه ما صار به الذكر فحلا خرج من حد كمال
الذكر بفقدان الذكر ولم يكمل لان يصير انثى
للغريزة الاصلية وبقية الجوهرية ۞ وزعمت
انه يصير كالنبيذ الذي يفسده افراط الحر
فيخرجه من حد الخل ولا يدخله في حد
النبيذ ۞ وقال مرداس بن خذام ۞

سقينا عقالا بالثوية شربة ۞ فمالت بلب الكاهلي عقال
فقلت اصطحبها يا عقال فانما ۞ هي الخمر خيلنا لها بخبال
رميت بام الخل حبة قلبه ۞ فلم ينتعش منها ثلاث ليال

فجعل الخمر ام الخل قد يتولد عنها وقد يتولد
عن الخل اذا كان خمرا امرة الخمر ۞ وقال سعيد
ابن وهب ۞

ملا وانت بماء وجهك تشتهي ۞ رد الشباب وقبل شعر العارض

الخصي

فالآن حين بدت تحرك لحيته ذهبت بملحه مثل كف القابض
مثل السلافة فعاد خمرا عصيرا بعد اللذاذة خل خمر حامض
ويصير ايضا كالشعر الوسط والغناء الوسط
والنادرة الفاترة التي لم تخرج من الحر الى البرد
فتضحك السن ولم تخرج من البرد الى الحر
فتضحك السن

باب ذكر ما يعتري
الانسان بعد الخصاء
وكيف كان قبل الخصاء

قالوا كل ذي ريح منتنة وكل ذي دفر
وصنان كريه المشممة كالتيس وما اشبهه فانه
متى خصي نقص نتنه وذهب صنانه غير الانسان
فان الخصي يعود انتن وصنانه احد ويتم ايضا
خبث العرق سائر جسده حتى توجد لاجسادهم
رائحة لا تكون لغيرهم فهذا هذا وكل شيء
من الحيوان يخصى فان عظمه يدق فاذا دق
عظمه استرخى لحمه وتبرأ من عظمه وعاد

رخصا رطبا بعد ان كان عصلا صلبا والانسان اذا
خصي طال عظمه وعرض فخالف ايضا جميع
الحيوان من هذا الوجه ويعرض لهم ايضا
طول اقدام واعوجاج في اصابع اليد والتواء
في اصابع الرجل وذلك من اول طعنهم في
السن ويعرض لهم سرعة التغضن والتبدل
والانقلاب من حد الرطوبة والبضاضة وملاسة
الجلد وصفاء اللون ورقته وكثرة الماء وبريقه
الى التكرش والكمود والى التقبض والتخدد
والى الهزال وسوء الحال فهذا الباب يعرض
للخصيان ويعرض ايضا لمعالجي النبات من
الاكرة من اهل الزرع والنخل لانك ترى
الخصي وكان السيوف تلمع في لونه وكانه
مرآة صينية وكانه وذيلة مجلوة وكانه
جمارة وكانه قضيب فضة قد مسه ذهب
وكان في وجناته الورد ثم لا يلبث كذلك
الا سنيات غير كثيرة حتى يذهب ذلك

ذماً بالا يعود وان كان ذا خصبٍ وفي عيشٍ رغدٍ
ومع فراغ بالٍ وقلة نصبٍ ۞ وكان من طرف ما
يقص به عبد الاعلى القاص قوله في الخصي
وكان من غلبة السلامة عليه يتّهم عليه الغفلة
وهو الذي ذكر العقبر في قصصه مرةً فقال
العقبر من قتله سلقة ومن داوه علقة وخبزته
فلقة وسمكته سلقة وازاره خرقة ۞ قالوا
ثم ذكر الخصي فقال اذا قطعت خصيته قويت
شهوته وسخنت معدته ولانت جلدته وانجردت
شعرته واتسعت فقحته وكثرت دمعته ۞
وقالوا الخصي لا يصلع كما لا تصلع المرأة
واذا قطع العضو الذي كان به فحلا تاماً اخرجه
ذلك من اكثر معاني الفحول وصفاتهم فاذا
اخرجه من ذلك الكمال صيّره كالبغل الذي
ليس بحمار ولا فرس وتصير اخلاقه مقسومة
على طباع الذكر والانثى وربما لم يخلص له
الخلق ولم يصف حتى يصير كالخلو من اخلاق

الرجال او يلحق بمثله من اخلاق النساء ولكنه
يقع ممزوجاً مركباً فيخرج الى ان يكون مذبذباً
لا الى هو ولا الى هاولا وربما اخرجته النتيجة
وما يولده التركيب من مقدار معاني الابوين
كما يجوز عمر البغل عمر ابويه وكذلك ما عددنا
في صدر الكلام ۞ قالوا وللانسان قوى معروفة
المقدار وشهوات مصروفة في وجوه حاجات
النفوس مقسومة عليها لا يجوز تعطيلها وترك
استعمالها ما كانت النفوس قائمة بطباعها ومزاجها
وحاجاتها وباب المنكح من اكبرها واقواها واعمها
ويدخل في باب المنكح ما في طبايعهم من طلب
الولد وهو باب من ابوابها عظيم فمنهم من يطلبه
للكثرة والنصرة وللحاجة الى العدد والقوة
ولذلك استلاطت العرب الرجال واغضت
على نسب المولود على فراشه وقد احاط علمه
بانه من الزوج الاول ولذلك قال الاشهب
ابن رميلة ۞

قال الاقارب لا تغررك كثرتنا واغن نفسك عنا ايها الرجل
علم بني بنيه يشتد الله عظمهم والنبع ينبت قضبانا فيكتهل

وقال الاخر ۞

ان بني صبية صيفيون ۞ افلح من كان له ربعيون

بنشوا كما ترى صغر السن وضعف الاسر
ومما اكثر ما يطلب الرجل الولد نفاسة بماله على
بني عمه او لاشفاقه من ان تليه القضاة وترتع
فيه الامناء فيصير ملكا للاوصياء ويقضى
به القاضي الذمام ويصطنع به الرجال ۞ وربما
لم يطلب الرجل الولد لبقاء الذكر وللرغبة في
العقب او على جهة طلب الثواب في مباهاة
المشركين والزيادة في عدد المسلمين او
للكسب والكفاية او للمدافعة والنصرة او
للامتاع والانسة بل لما طبع الله جل وعز عليه
بني ادم من حب الذرء وكثرة النسل كما
طبع الحمام والسنانير وان كان اذا جاءه الولد
زاد في همه ونصبه وفي بخله وجبنه ۞

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة
مجبنة مجهلة فيحتمل في الولد المؤن المعروفة
والهموم الموجودة لغير شيء قصد له وليس
في ذلك اكثر من طلب الطباع ونزاع النفس
الى ذلك ۞ وذكر ابو الاخزر الحماني
عير العانة بخلاف ما عليه اصحاب الزواج
من الحيوان فقال عند ذكر سفاده ۞

لا مبتغي الضنء ولا بالعازل

لان الانسان من بين الحيوان المزاوج اذا
كره الولد عزل والمزاوج من اصناف
الحيوان انما غايتهم طلب الذرء والولد كذلك
سخرت وله هيئت لما اراد الله من اتمام
حوائج الانسان ۞ والحمار لا يطلب الولد
فيكون افراغه في الاتان لذلك ولا اذ
كان لا يريد الولد عزل كما يعزل الانسان
فخبر ان غايته قضاء الشهوة فقط وليس
يخطر على باله ان ذلك الماء يخلق منه شيء

وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة
قال ليس في البهائم شيء يعمل عمل قوم لوط
الا الحمار ۝ وعامة انفاق الرجال وكسبهم
وهمتهم وتصنعهم وتخنثهم وتخصيبهم لما
يملكون انما هو مصروف الى النساء والاسباب
المتعلقات بالنساء ولو لم يكن الا التمشط والتطيب
والتطوس والتعرس والتخضب والذي
يعد لها من الطيب والصبغ والحلي والكسي
والفرشة والآنية لكان في ذلك ما كفى
ولو لم يكن منه الا الاهتمام بحفظها وحراستها
وخوف العار من جنايتها والجناية عليها لكان
في ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة
فاذا بطل العضو الذي من اجله يكون اشتغال
النفس بالاصناف الكثيرة من اللذة والالم
فبالاضطرار تعلم ان تلك القوى لم تبطل من
التركيب ولم تعدمها الخلقة وانما سدوها
بسد وادخل عليها حجاب فلا بد لها اذا كانت

موجودة من عمل لان عمل كل جوهر لا يعدم
ذاته فاذا صرفت من جهة فاضت في جهة ولا
سيما اذا جمعت ونازعت فلا بد لها اذا زخرت
وطغت وطمت من ان تفيض او تفتح لنفسها
بابا وليس بعد المنكح باب له موقع كموقع
المطعم فاجتمعت تلك القوى التي كانت للمنكح
ولما يشتمل عليه باب المنكح الى القوة التي كانت
عنده للمطعم فاذا اجتمعت القوتان في باب واحد
صار الخصي آكل من اخيه لابيه وامه وعلى
قدر شهوته يكون هضمه وعلى قدر حاجة طبعه
وحركة نفسه والحرارة المتولدة عن الحركة
يكون الاستمراء والحركة من اعظم ابواب
الحرارة ۝ ودوام الاكل في الاناث اعم
منه في الذكور كذلك الحجر دون الفرس
وكذلك الرمكة دون البرذون وكذلك
النعجة دون الكبش وكذلك النساء في
البيوت دون الرجال ۝ وما اشك ان الرجل

يأكل في المجلس الواحد ما لا تأكله المرأة ولكنها
تستوفي ذلك المقدار وتربي عليه مقطعا غير
منظوم وهي بدوام ذلك فيها يكون حاصل
طعامها أكثر ومن هاهنا يشبه الصبيان في هذا
الوجه لأن طبع الصبي سريع الهضم سريع
الطلب قصير مدة الأكل قليل مقدار
الطعم وللمرأة كثرة معاودتها ثم تبين
بكثرة مقدار المأكول فيصير للخصي نصيبان
نصيبه من شبه النساء ونصيبه من شبه
الرجال ثم اجتماع قوى شهوتيه في باب
واحد أعني شهوة المنكح التي تحولت شهوة
المطعم ۞ قال وقيل لبعض الأعراب أي
شيء آكل قال برذونة رغوث ۞
ولشدة نهم الإناث صارت اللبؤة أشد
عراما وأنزق من الأسد إذا طلبت الإنسان
لتأكله ولذلك المعنى صارت إناث الأجناس
الصائدة أصيد كالإناث من الكلاب والبزاة

١٢٠

حكمة

وما أشبه ذلك وأحرص ما تكون عند ارتضاع
أجرائها من أطبائها حتى صار ذلك منها سببا
للحرص والنهم في كل حال ۞ ويعرض للخصي
عند قطع ذلك العضو تغير الصوت حتى لا
يخفى على من سمعه من غير أن يرى صاحبه
أنه خصي وإن كان الذي يخاطبه ويناقله
الكلام أخاه أو ابن عمه أو بعض أترابه من
فحولة جنسه ۞ وهذا المعنى يعرض لخصيان
الصقالبة أكثر مما يعرض للخراسانية والسودان
من السند والحبشان وما أقل ما تجده ناقصا
عن هذا المقدار إلا وله بيضة أو عرق وليس
نحتاج في صحة تمييز ذلك ولا إلى دقة الحس
فيه إلى حذق بقيافة بل تجد ذلك شائعا في
طباع السفلة والحشو وفي أحساس الصبيان
والنساء ۞ ومتى خصي قبل الإنبات لم ينبت
وإذا خصي بعد استحكام نبات الشعر في
مواضع الشعر تساقط كله عنه إلا شعر العانة

١٢١

فانه وان نقص من غلظه ومقدار عدده فان الباقي
كثير ولا يعرض لشعر الراس لان شعر الراس
والحاجبين واشفار العينين يكون مع الولاد
وانما يعرض لما يتولد من فضول البدن وقد
زعم ناس ان حكم شعر الراس خلاف حكم شعر
اشفار العينين والحاجبين وقد ذكرنا ذلك
في موضعه من باب القول في الشعر وهذه
الخصال من اماكن الشعر النساء والخصيان
والفحولة فيها سواء وانما يعرض لسوى ذلك
من الشعر الحادث الاصول الزايد في النبات
الا ترى ان المراة لا تصلع فما اشبهها الخصي
من هذا الوجه فان عرض له عارض فانما هو
من القرع لا من جهة النزع والجلح والجله والصلع
فكذلك النساء في جميع ذلك فالمراة
ربما كان في قصاص مقاديم شعرها ارتفاع
وليس ذلك بنزع ولا جلح اذ لم يكن ذلك حادثا
مما يحدثه الطعن في السن ويكون مقاطع

١٢٧

شعر راسه ومنتهى حدود قصاصه كمقاطع شعر
المراة ومنتهى قصاصها وليس شعر بما كلما دنا
من موضع الملاسة والانجراد يكون ادق حتى
يدق ويضمحل ولكنه ينبت في مقدار ذلك
الجلد على نبات واحد ثم ينقطع عند منتهاه
انقطاعا واحدا ه والمراة ربما كانت سبلاء
ويكون لها شعرات رقيقة زغبية كالعذار
موصولة باصداغها ولا يعرض ذلك للخصي
الا من علة في الخصاء ولا ينبت ابدا بعد
مقطع الشعر من صدغه شيا من الشعر
لا من رقيقه ولا من كثيفه ه وقد توجد المراة
ذات لحية وقد رايت ذلك واكثر ما رايته
في عجايز الدهاقين وكذلك الغنم والشام
قد يعتريها ذلك وليست في راي العين
بخنثى بل تجدها انثى تامة الا ان تكون
لم تضرب في ذلك بالنصيب الذي يقوى
حتى يظهر في غير ذلك المكان ولا تعرض

١٢٧

كون المرأة ذات لحية

غريبة

اللحى للنساء الاضداد بتفاع الحيض ولبس
يعرض ذلك للخصي ۞ وقد ذكر اهل بغداذ
انه كان لبنت من بنات محمد بن راشد الخناق
لحية وافرة وانها دخلت مع نساء الى عرس
لتري العروس في جلوتها ففطنت امراة
للحيتها فصاحت رجل والله فاقبل النساء
والخدام عليها بالضرب حتى كادت تموت
فلم تكن لها حيلة الا ان تكشف عن فرجها
فكففن عنها ۞ ويفضل ايضا الخصي المراة
في الانجراد والزعر بان تجد المراة زباء
الذراعين والساقين وتجد ركب المراة
في الشعر كعانة الرجل ويعرض لها الشعر
في ابطها وفي غير ذلك المكان ولا يعرض
ذلك للخصي ۞ ويعرض للديك اذا خصي
ان يذبل عرفه ولحيته والخصاء
ينقص من شدة الاسر وينقص من القوى
ويرخي معاقد العصب ويقرب من الهرم

في نقص الخصاء من القوى

والبلى ۞ ويعرض للخصي ان يشتد وقع رجليه
على ارض السطح حتى لو تفقدت وقع قدمه
وقدم اخيه الفحل الذي هو اعبل منه لوجدت
لوقعه ووطيه شيئا لا تجده لاخيه فكان
العضو الذي به يشتد توتير النسا ومعاقد
الوركين ومعاليق العصب لما بطل وذهب
الذي كان يمسكه ويرفعه فيخف لذلك وقع
رجله صار كالذي لا يتماسك ولا يحمل بعضه
بعضا ۞ ويعرض له ان اخوين صقلبيين لاب
وام بل لو كان احدهما توام اخيه انه متى خصي
احدهما خرج الخصي منهما اجود خدمة
وافطن لباب المعاطاة والمناولة به اليق وهو
بها اليق ويجده ايضا اذكى عقلا عند المخاطبة
فيخص بذلك كله ويبقى اخوه على عثارة
فطرته وعلى غباوة غريزته وعلى بله
الصقلبية وعلى سوء فهم العجمية ۞
وبعد الانسان لا يكون ابدا الا خرقاء ولا

تصير صناعًا ما لم تكن المعرفة ثقافًا لها ۞
واللسان لا يكون ابدا ذا بيانا في طرق البيان
متصرفًا في الألفاظ إلا بعد أن تكون المعرفة
متخللة به متغلغلة له واضعة له في مواضع
حقوقه وعلى أماكن حظوظه وموغلة له
في الأماكن العميقة ومصرفة له في المواضع
المختلفة ۞ فأول ما صنع الخصاء بالصقلبي
تذكية عقله وإنما فتق حده وشحذ طبعه
وتحريك نفسه فلما عرف كانت حركته تابعة
لمعرفته وقوته على مقدار ما هيجه ۞ فأما
نساء الصقالبة وصبيانهم فليس إلى تحويل
طبائعهم ونقل خلقهم إلى الفطنة الثاقبة
وإلى الحركة الموزونة وإلى الخدمة الواقعة
بالموافقة سبيل وعلى حسب الجهل يكون
الخرق وعلى حسب المعرفة يكون الحذق
هذا جملة القول في نسائهم وعلى أنهن لا
حظوظ لهن عندنا الخلوة ولا نفاذ لهن في صناعة

احوال الصقالبة وخصالهم عند الخصا

١٢٦

أذكى قد تمهر فهم المعاطاة ومعرفة المناولة
والخصيان مع جودة آلاتهم ووفارة طبائعهم في
معرفة أبواب الخدمة وفي استواء حالاتهم في
باب المعاطاة لم نر أحدًا منهم نفذ في صناعة
تنسب إلى بعض المشقة أو تضاف إلى شيء
من الحكمة مما يعرف ببعد الروية والغوص
بإدامة الفكرة إلا ما ذكر وامن نفاذ ثقيف في
تحريك الأوتار فإنه كان في ذلك مقدمًا فقيهًا
مذكورًا إلا أن الصبي من صباه يحسن صنعة
الدبوق ويجيد دعاء الحمام الصوان وما
شبه من صغار الصناعات وقد زعم البصريون
أن حديجا الخصي خادم مثنى بن زهير كان
يجري مجرى مثنى بن زهير في البصر
بالحمام وفي صحة الفراسة وإتقان المعرفة
وجودة الرياضة وسنذكر حاله في باب القول
في الحمام إن شاء الله ۞ هذا قولهم فيمن خصي
من الصقالبة وملوكنا العقول خصيان خراسان

١٢٧

ذكر صبيح الخصي

خصيان السند

الحبشي والنوبي

١٢٨

أحمد وتم قليل فلذلك لم يات من أمرهم شيء
مشهور ولا أمر مذكور ۞ وأما السند فلم يكن
فيهم أيضا من الخصاء إلا النفر الذين كان
خصاهم موسى بن كعب وقد رأيت أنا بعضهم
وزعم لي أنه كان خصي أربعة مواحدتهم ورأيت
الخصاء قد جذبه إلى حب الحمام وعمل التكك
والهراش بالديوك وهذا شيء لم يجر منه على
عرق وإنما قاده إليه قطع ذلك العضو ۞ فأما
الخصيان من الحبشان والنوبة وأصحاب أولئك
السودان فإن الخصاء يأخذ منهم ولا يعطيهم
وينقصهم ولا يسويهم ويحطهم على مقادير
أخوتهم لأن الحبشي متى خصي سقطت نفسه
وثقلت حركته وذهب نشاطه ولا بد من أن
يعرض له فساد لأنه متى استقصي جبابه
لم يتماسك بوله وسلس مخرجه واسترخت
قوى التمسك له فإنهم لم يستقصوا جبابه
فإنما يدخل الرجل منزله من له نصف ذلك العضو

ثامنة اول

١٢٩

وعلى أنك لا تجد منهم خصيا أبدا إلا وبشرته نجرة
ونفخة شنيعة وذلك عيب شديد وهو ضرب من
العتق مع قبحه في العين وشنعته في الذكر
وكل ما قبح في العين فهو مولم وكل ما شنع في
النفس فهو موذ وما أكثر ما تجد فيهم الالطع
وذلك فاش في باطن شفاههم ومتى كانت
الشفاه هدلا وكانت المناخر منقلبة كان أظهر
للطع وهو ضرب من البرص ۞ والبياض الذي
يعرض لغراميل الحبل وخصاهما ضرب آخر من
البرص وربما عرض مثل ذلك لحشفة قضيب
المجبوب إما لطبع الحديد وإما لقرب عهده بالاحداد
وسقي الماء إلا أن ذلك لا يبعد وامكانه وكلما
عظمت الحشفة انبسط ذلك البياض على قدر
الزيادة فيها وإنما ذلك كالبياض الذي يعرض من
حرق النار وتشييطها وكالذي يعرض للصقالبة
من النعالج بالكي وربما اشتد بياضه حتى يفحش
ويرديه إلا أنه لا يفشو ولا ينتشر إلا بقدر ما

يبسط مكانه بنخول صاحبه رجلا بعد أن كان
صبيا ولبس كالذي يعرض من البلغم والمرة
وبعض البرص يذهب حتى كأنه لم يكن والذي
لا يذهب لا يقف بل لا يزال يتفشى ويتبقع حتى
ربما سلخه فلا يذهب إلا بأن يذهب به نبي
فيكون ذلك له علامة ۞ ومن البهق الأبيض
ما يكاد يلحق بالبرص ولكن الذي هو أمره
الذي يبرؤون من كثرة برء الناس منه ۞

ضروب الخصاء

ثم الخصاء يكون على ضروب ويكون في ضروب
فمن ذلك ما يعرض بعد الكبر للأحزان كما يعرض
للعبيد وللعرب كما يعرض للعجم كلما خصي بعض
عباهلة اليمن علقمة بن سهل الخصي وإنما قيل

ذكر علقمة وقصته

لعلقمة بن عبدة الفحل حين وقع على هذا
اسم الخصي وكان عبدا صالحا وهو كان جلب
الجديل وداعر الفحلين الكريمين إلى عمان
وكان من نازلها وهو كان أحد الشهود على قدامة
ابن مظعون في شرب الخمر وهو الذي قال

لعمر رحمه الله أتقبل شهادة الخصي قال أما
شهادتك فأقبل وهو علقمة بن سهل بن عبادة
فلما سموه الخصي قالوا لعلقمة بن عبدة الفحل
وعلقمة الخصي الذي يقول ۞

لن يعدم البانون قبرا يجنني ولن يعدم الميراث مني مواليا
حراص على ما كنت أجمع قبلهم هنيئا لهم جمعي وما كنت آليا
ودليت في زوراء ثمت أعنقوا لشأنهم قد أفردوني وشانيا
فأصبح مالي من طريف وتالد لغيري وكان المال بالأمس ماليا

وكلما عرض للدلال ونومة الضحى من خصاء

وكما (ظ)

عثمن بن حيان المري والي المدينة لهما بكتاب

قصة قراءة أحص بالخاء المنقوط

هشام بن عبد الملك فمن بني مروان من يدعي
أن عامل المدينة صحف لأنه رأى في الكتاب
أحص من قبلك من المخنثين فقرأها أخص من قبلك
وذكر الهيثم عن الكاتب الذي تولى قراءة ذلك
الكتاب أنه قال وكيف يقولون ذلك ولقد كانت
الخاء معجمة بنقطة كأنها سهيل أو تمرة صيحانية
فقال البقطري وما وجه كتاب هشام في

احصاء عدد المخنثين بهذا ما لا معنى له وما كان
الكتاب الا بالخصاء دون الاحصاء وذكر
عن مشايخ من اهل المدينة انهم حكوا عنهم انهم
قالوا الان حين تأنث النساء بالحق كان الامر لو كان
البهم لاختاروا وان يكونوا نساء وذكر انهم
خرجوا بالخصلتين من الخصاء والتخنيث من
فنون الكلام ولين المفاصل والعظام ومن التفكك
والتثني الى مقدار لم ير واحد بلغه لا من مخنثي
النساء ولا من مؤنثي الرجال وكما عرض لابي
تمام السنوط من استرخاء اللحم مذاكيره وخصيته
اصابه ذلك في البحر سمكة في بعض المغازي
فسقطت لحيته ولقب بالسنوط وخرج ذلك
له بهما وشبههما وقال ذات يوم لو كان النخل
بعضه لا يحمل الا الرطب وبعضه لا يحمل الا التمر
وبعضه لا يحمل الا المنصف وبعضه لا يحمل الا
البسر وبعضه لا يحمل الا الخلال وكنا متى تناولنا
من الثمر اخ بسرة خلق الله مكانها بسرتين

عنهما انهما قالا صح

البهما لاختارا صح

ذكر السنوط

١٤٢

ما كان بذلك باس ثم قال استغفر الله لو كنت
تمنيت ان يكون بدل النواة في التمرة زبدة
كان اصوب ومنه ما يعرض من جهة الاوجاع
التي تعرض للمذاكير والخصى حتى ربما
استأصلهما طبيب وربما قطع احداهما وربما سقطتا
جميعا من انفسهما والعوام يزعمون ان الولد انما
يكون من البيضة اليسرى وقد زعم لي ناس
من آل سليمن بن علي ومواليهم ان ولد داود بن
جعفر الخطيب المعتزلي انما ولد له بعد ان
نزعت بيضته اليسرى لامر كان عرض له
والخصي الطحان الذي كان في مسجد ابن رغبان
ولد له غلام وليس له الا البيضة اليمنى فجاء
اشبه به من الذباب بالذباب والغراب بالغراب
ولو ابصره اجهل خلق الله بعرافة وابعدهم من
قيافة ومن مخالطة النخاسين او مجالسة الاعراب
لعلم انه سلالته ونضاحته لا يحتاج فيه الى
مجزز المدلجي ولا الى ابن كرز الخزاعي

١٤٣

ومن اهل الملل من يخصي ابنه ويقفه على بيت
العبادة ويجعله سادنا كصنيع الروم الا انهم
لا يحدثون في القضيب حدثا ولا يعرضون الا
للانثيين كانهم انما كرهوا الاولاد واحبال نسائهم
وزواهيهم فقط فاما قضاء الوطر وبلوغ اللذة فقد
يزعمون انهم يبلغون من ذلك مبلغا لا يبلغه الفحول
كانهم يذهبون الى انه يستقصي جميع ما عندها
ويستجليه بفرط قوته على المطاولة وكل خصاء
في الدنيا فانما اصله من قبل الروم ومن العجب
انهم نصارى وهم يدعون من الرافة والرحمة
ومن رقة الكبد والقلب ما لا يدعيه احد من
جميع الاصناف وحسبك بالخصاء مثلة وحسبك
بصنيع الخاصي قسوة ولا جرم انهم يعتوا على
انفسهم من الخصيان من طلب الطوايل وتذكر
الاحقاد ما لم يظنوه عندهم ولا خافوه من قبلهم
فلا هم ينزعون ولا الخصيان ينكلون لان الرهابنة
فيهم فاشية فان كان الخصي اسوارا ابلغ منهم

بل هو حدث عظيم على القضيب

١٤٤

وان جمع مع الرماية الثروة واتخذ بطرسوس
وباذنة الضياع واصطنع الرجال واتخذ العقد
المغلة فمضرة كل واحد منهم عليهم تفي
بمضرة قايد ضخم ولم نر عداوة قط تجوز مقدار
عداوتهم لهم ومن ابدت على فرط الرغبة في النساء
وعلى شهوة شديدة للمباضعة وعلى انهم قد
عرفوا مقدار ما فقدوا وهذه خصلة كريمة
مع طلب المثوبة وحسن الاحدوثة ه واما
الصابئون فان العابد منهم ربما خصى نفسه
فهو في هذا الموضع قد تقدم الرومي في ما
اظهر من حسن النية وانتحل من الديانة والعبادة
بخصاء الوالد الولد التام وبادخاله النقص على
النسل التام كما فعل ذلك ابو المبارك الصابي
وما زال خلفاونا وملوكنا يبعثون اليه ويسمعون
منه ويسمر عندهم للذي يجدون عنده من
الفهم والافهام وطرف الاخبار ونوادر الكتب
وكان قد اربى على المائة ولم اسمع قط بالغزل

الصابئون تختصي تعبدا

١٤٥

حكاية

منه وإن كان قد كان يصدق عن نفسه فما كان في
الأرض أزنى منه ۞ وحدثني محمد بن عباد قال
سمعته يقول وجرى ذكر النساء ومحلهن
من قلوب الرجال حتى زعموا أن الرجل كلما
كان عليهن أحرص كان أدل على تمام الفحلة فيه
وكان أذهب له في الناحية التي هي في خلقته
ومعناه وطبعه إذ كان قد جعل رجلا ولم يجعل
امرأة ۞ قال ابن عباد فقال لنا ألستم تعلمون
أني قد أوفيت على المائة فينبغي لمن كان كذلك
أن يكون وهن الكبرة ونفاد الذكرة وموت
الشهوة وانقطاع ينبوع النطفة قد أمات حنينه
إلى النساء وتفكيره في الغزل قال قلنا صدقت
قال وينبغي أن يكون من عود نفسه تركهن
زمنا أو تخلى منهن سنين ودهرا أن تكون العادة
وتمرين الطبيعة وتوطين النفس قد حط من
ثقل منازعة الشهوة ودواعي الباه وقد علمتم
أن العادة التي هي الطبيعة الثانية قد تستحكم

العادة طبيعة ثانية

١٤٦

ببعض عمره هجرانا لملابسة النساء قال قلنا
صدقت ۞ قال وقد ينبغي أن يكون من لم يذق
طعم الخلوة بهن ولم يجالسهن متبذلات ولم
يسمع خلابتهن للقلوب واستمالتهن الأهواء
ولم يرهن منكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم
له ذلك مع طول الترك ألا يكون بقي معه
من دواعيهن شيء قال قلنا صدقت ۞
قال وينبغي أن يكون من قد علم أنه مجبوب
وأن سببه إلى خلاطهن محسوم أن يكون
اليأس من أمتن أسبابه إلى الزهد والسلوة
وإلى موت الخاطر قال قلنا صدقت ۞ قال
وينبغي أن يكون من دعاة الزهد في الدنيا
في ما تحويه من النساء مع جمالهن وفتنة
النساك بهن واتخاذ الأنبياء لهن إلى خصاء
نفسه ولم يكرهه عليه أب ولا عدو ولا سباه
ساب أن يكون مقدار ذلك الزهد هو المقدار
الذي يميت الذكر ويستوي عنده فقدهن

١٤٧

ووجود بهن وينبغي لمن كان في إمكانه أن ينشئ
العزم ويختار الإرادة التي يصير بها إلى قطع
هذا العضو الجامع لكبار اللذات وإلى ما فيه
من الألم ومع ما فيه من الخطار وإلى ما فيه
من المثلة والنقص الداخل على الخلقة أن تكون
الوساوس في هذا الباب لا تعتريه والدواعي
لا تطوره قال فقلنا صدقت ۞ قال وينبغي
لمن سخت نفسه عن النسل وعن الولد وعن
أن يكون مذكورا بالعقب الصالح أن يكون قد
نسي هذا الباب إذ كان مرة منه على ذكر هذا
وأنتم تعلمون أني شملت عنيني يوم خصيت
نفسي فقد نسيت كيفية الصورة وكيف
تنزع وجهلت المراد منها وكيف تراد فما كان
من كان كذلك حريا أن تكون نفسه ساهية
لاهية مشغولة بالباب الذي له احتمل هذه
المكاره قال فقلنا صدقت ۞ قال أو ليس
لو لم أكن هرما ولم يكن بنا طول اجتناب

المثلة صح

١٤٨

وكانت الآلة قائمة إلا أني لم أذق حبوا أنا
منذ ثمانين سنة ولم تمتل عروقي من
الشراب مخافة الزيادة في الشهوة والنقصان
من العزم لكان في ذلك ما يقطع الدواعي
ويسكن حركة إن هاجت قال فقلنا صدقت
قال فإني بعد جميع ما وصفت لكم لا أسمع
نغمة المرأة فأظن مرة أن كبدي قد ذابت
وأظن مرة أنها قد انصدعت وأظن مرة أن
عقلي قد اختلس ولربما نزا فؤادي عند
ضحك إحداهن حتى أظن أنه قد خرج من
فمي فكيف اللوم عليهن غيري ۞ فإن كان
حفظك الله قد صدق على نفسه في تلك
الحال بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال فما
ظنكم بهذا قبل هذا الوقت بستين سنة أو
سبعين سنة وما ظنك به قبل الخصاء وبساعة
وليس في الاستطاعة ولا في صفة الإمكان
أن يحتجز محتجز عن إرادة النساء ومعه من

١٤٩

الحاجة إليهن والشهوة لهن بهذا المقدار الله
أرحم بخلقه وأعدل على عباده من أن يكلفهم
هجران شيء وقد وصله بقلوبهم بهذا الوصل
وأكده هذا التأكيد ۞ وقد خصى نفسه من
الصابئين رجال قد عرفناهم بأسمائهم وأنسابهم ١٥٠
وصفاتهم وأحاديثهم وفي الذي ذكرنا كفاية إن
شاء الله ۞ وقد كان عثمن بن مظعون استأذن
النبي صلى الله عليه وسلم في السياحة فقال
سياحة أمتي الجماعة واستأذنه في الخصاء
فقال خصاء أمتي الصيام وقال الصيام
وجاء ۞ فهذا خصاء الديانة فأما من خصى
الجلب على جهة التجارة فإنه يجب القضيب
ويمتلخ البيضتين إلا أن يقلص إحداهما إفراط
الفزع فتصير إلى موضع لا يمكنه ردها إلى
مكانها إلا بعلاج طويل فللخاصي عند ذلك
ظلم لا يفي به ظلم وظلم يربي على الظلم الأول
وعلى كل ظالم لأنه عند ذلك لا يحفل بفوت

المنقلعين ويقطع ما ظهر له فإذا برأ وهو مجبوب
القضيب ذو بيضة واحدة فقد تركه لا رجلا ١٥١
ولا امرأة ولا خصيا وهو حينئذ ممن تخرج لحيته
ولا يدعه الناس في دورهم ومواضع الخاص
من بيوتهم فلا يكون مع الخصيان مقربا مكرما
وخصيب العيش منعما ولا هو إذا رمي به مع
الفحول كان له ما للفحول من لذة غشيان
النساء ومن لذة الإنسال والتمتع بشم الأولاد
فلا يزال عند الفحول مستضعفا محقرا وعند
الخصيان مخرجا مطرودا فهو أسوأ حالا من
السديم المعنى فلا أعلم قتلة إذا كان القتل
قتلة سريحة مريحة إلا أصغر عند الله وأسهل
على هذا المظلوم من طول التعذيب والله
لهم بالمرصاد ۞ وأما خصاء البهائم فمنه
الوجاء وهو أن يشد عصب مجامع الخصية
من أصل القضيب حتى إذا ندرت البيضة
وحفظت الخصية وجأهما حتى يرضهما فهي

خصاء البهائم

عند ذلك تذبل وتحشف وتذوى وتستدق
حتى تذهب قواهما وتنسد المجارى اليها ويسرى
ذلك الفساد الى موضع تربية النطفة فيمنعها
من ان تكثر او تعذب او تخثر ۝ ومنها ما يكون
بالشد والعصب وبشدة التخريق والعقد بالخيط
الشديد المتوتر الشديد الفتل فاذا تركه على
ذلك عمل فيه وجرح واكل ومنعه ان يجرى
اليه الغذاء فلا يلبث ان ينقطع فيسقط ۝ ومنه
الامتلاخ وهو امتلاخ البيضتين فان للخاصى حديدة
من هيئة محماة وهى الحاسمة وهى القاطعة
وقال ابو زيد يقال خصيت الدابة اخصيه
خصاء ووجأته اجؤه وجاء ويقال برئت
اليك من الخصاء والوجاء ولا يقال ذلك الا
لما كان قريب العهد لم يبرأ منه فاذا برأ لم يقله
اما الخصاء فهو سل الخصيتين والوجاء ان
توجأ العروق والخصيتان على حالهما ۝
والمعصوب من التيوس الذى تعصب خصيتاه

نوع منه — ١٥٢ — نوع آخر — المعصوب

حتى تسقط الخصيتان ويقال خصيان
والواحدة خصية ويقال ملست الخصيتين
املسهما ملسا ومتنتهما امتنهما متنا وذلك
ان يشق عنهما الصفن فيستلهما بعروقهما
والصفن جلدة الخصيتين ۝ والخصاء في
احداث البهائم وفي الغنم خاصة يدع اللحم
رخصا ونديا عذبا فان خصاه بعد الكبر لم
يقو خصاؤه بعد استحكام القوة على قلب
طباعه واجود الخصاء ما كان في الصغر وهو
الذى يسمى بالفارسية ترنخت يعنى بذلك
انه خصى رطبا والخصى من فحولها احمل
للشحم لعدم التهيج والنعظ وخروج قواه مع
ماء الفحلة واكثر الفساد يورث الضعف
والهزال في جميع الحيوان ۝ وذكر لمعوية
كثرة الجماع فقال ما استهتر به احد الا
رأيت ذلك في منته ۝ والديك يخصى ليرطب
لحمه ويطيب ويحمل الشحم وكانت العرب تخصى

١٥٢ — ترنخت بالفارسية — في خصاء الديك

فحولة الابل لئلا يأكل بعضها بعضًا وتستبقي ما
كان اجود ضرابًا واكثر نسلًا وكلما كان مئناثًا وكان
شآتًا ولم يكن مذكارًا كان أحمد فهم يسمّون الاذكار
154
المحوّ الخنفي ۝ وما كان منها عياياء طباقاء فمنها
يجعل السّيم المعنّى ۝ واذا كان الفحل لا يتجه
للضراب شدّ وابتله شدًّا شديدًا وتركوه يهدّ
ويتقبقب في الهجمة ولا يصل اليهن وان ازدنه
فاذا طبن الفحل يحي ويجيء يفحل فيبس ويقولون
لقوة لاقت قبيسًا والقبيس من الجمال السريع
الالقاح واللقوة الناقة السريعة القبول ۝

نادرة في الوقائع

وشكت امرأة زوجها وخبّرت عن جهله باتيان
النساء وعيّه وعجزه وانه اذا سقط عليها
انطبق والنساء يكرهن وقوع صدور الرجال
على صدورهن فقالت زوجي عياياء طباقاء
وكل داءٍ له داء ۝ وقال جميل ۝
طباقاء لم يشهد خصومًا ولم ينخ ركابًا الى اكوارها حين تعكف
وكانوا يخصون الخيل لئلا تشبّه بذلك ولقائل

صهيلها ليلة البيات واذا كمنوا الكمناء أو كانوا
مرّابًا ويزعم من لا علم له ان الخنذيذ من الخيل
هو الخصيّ وكيف يكون ذلك كما قال مع قول
خفاف بن ندبة ۝ وخناذيذ خصية وفحولا
155
وقال بشر بن ابي خازم ۝
وخنذيذ ترى الغرمول منه كطيّ الزقّ علّقه التجار
وليس من اراد بشر انما اراد الزمان والغزو
والحال التي تعتري الخيل فيها هذا المعنى كما
قال جدّ الأحيمر ۝
لا اعق ولا احوب ولا اغير على مضر
لكنما غزوي اذا اضحج المطي من الدبر
وانما فخر بالغزو في ذلك الزمان ۝ واما
الخنذيذ فالكريم التام وربما وصفوا به الرجل
قال كثيّر ۝
على كل خنذيذ الضحى متمطّر وخيفانة قد هذّب الجري آلها
وقال القطامي ۝
على كل خنذيذ السراة مقلّص تخبّب منه لحمه المتكاوش

والجبيبة الشريحة من اللحم وتخبب اي تفرق
ومن الدليل على انهم ربما جعلوا الرجل اذا امدحوه
خنذيذا قول بعض القيسيين من قيس بن ثعلبة
دعوت بني سعد الي فشمرت خناذيذ من سعد طوال السواعد
وقال عبيد الله بن الحر وكتب بها الى عبد الملك
ابن مروان حين فارق مصعبا
بأي بلاء ام باية نعمة يقدم قبلي مسلم والمهلب
ويدعى ابن منجوف امامي كانه خصي دنا للماء من غير مشرب
قال فقلت ليونس اقوى قال الاقواء خير منه
قال فلما اخذته قيس نصبوه فجعلوا يرمونه
بالنبل ويقولون اذات مغازل ترى يريدون
بيت ابن الحر
الم تر قيسا قيس عيلان برقعت لحاها وباعت نبلها بالمغازل
قال فلما اتي مصعب براسه قال لسويد يا ابا
المنهال كيف ترى قال ايها الامير هو والله
الذي اتى الماء من غير مشرب
وقال اعشى همدان

مطلب
١٥٦

وابو بريذعة الذي حدثتنه فبنا اذل من الخصي الديزج
ويعرض للخصي سرعة الدمعة وذلك من عادات
طبايع الصبيان ثم النساء فانه ليس بعد الصبيان
اغزر دمعة من النساء وكذلك بالشيوخ الهرمى
ويعرض للخصي العبث واللعب بالطين وما اشبه
ذلك وذلك من اخلاق النساء وهو من اخلاق
الصبيان ويعرض له الشره عند الطعام
والبخل عليه والشح الغالب في كل شيء وذلك
من اخلاق الصبيان ثم النساء وقال الشاعر
كان ابان وما ان قيسا اذا غدا خصي براذين يقاد نهبص
له معدة لا يشتكي الدهر ضعفها وحنجرة بالدورقين قموص
ويعرض للخصي سرعة الرضا والغضب وذلك من
اخلاق الصبيان ثم النساء ويعرض له حب النميمة
وضيق الصدر بما اودع من السر وذلك من اخلاق
الصبيان ثم النساء ويعرض له دون اخيه لامه وابيه
ودون ابن عمه ودون جميع رهطه البصر بالرفع
والوضع والكنس والرش والطرح والبسط

خصال الخصي
١٥٧

والصبر على الخدمة وذلك يعرض للنساء ويعرض
له الصبر على طول الركوب والقوة على كثرة
الركض حتى يجاوز في ذلك الرجال الاتراك
وفرسان الخوارج ومتى دفع اليه مولاه دابته ودخل
الى الصلاة او يغتسل في الحمام او ليعود مريضا
لم يترك ان يجري تلك الدابة ذاهبا وجائيا الى
رجوع مولاه اليه ويعرض له حب الرمي بالنشاب
للذي يجد في نفسه من حب غزو الروم
ويعرض له المحبة لان تملكه الملوك على ان لا نفقة
له الا القوت ويكون ذلك احب اليه من ان
تملكه النسوان وان الحقته بعيش الملوك

في المخنث

ومن العجب انهم مع خروجهم من شطر طبايع
الرجال الى طبايع النساء لا يعرض لهم التخنيث
وقد راينا غير واحد من الاعراب مخنثا متفككا
ومؤنثا يتبذل تبذلا ورايت عدة مجانين مخنثين
ورايت ذلك في الزنج والافحاج وخبرني من
راى كرديا مخنثا وما سمعت به ولا ادري كيف

١٥٨

ذلك الامر ولا اعرف المانع منه ولو كان الامر
في ذلك الى ظاهر الراي لقد كان ينبغي ان يكون
ذلك فيهم عاما ومما يزيد في التعجب من
هذا الباب كثرة ما يعرض لهم من الحلاق مع قلة
ما يعرض لهم من التخنيث ومع مفارقتهم لشطر
معاني الرجال الى شبه النساء ويزعم كثير
من الشيوخ المعمرين من اهل التجربة المميزين
انهم اعتبروا اعمار ضروب الناس فوجدوا طول
الاعمار في الخصيان اعم منه في مثل اعدادهم
من جميع اجناس الرجال وانهم تفقدوا اعمامهم
واعمام اخوتهم وبني اعمامهم الذين لم يخصوا
فوجدوا طول العمر في الخصيان اعم ولم يجدوا
مع عموم طول العمر فيهم واحدا نادرا كهلان
وفلان من الفحول وزعموا انهم لم يجدوا لطول
اعمارهم علة الا عدم النكاح وقلة استنزاف
النطف لقوى اصلابهم قالوا ولذلك لم نجد
فيما يعاين الناس في ذويهم وضباعهم من

١٥٩

الخيل والحمير والابل والبقر والغنم ومن الكلاب
والدجاج والحمام والديكة والعصافير اطول
اعمارا من البغال قالوا ولذلك وجدنا اقلها
اعمارا العصافير وليس ذلك الا لكثرة سفاد
العصافير وقلة سفاد البغال وجعل ماولا القوم
زيادة عمر البغل على عمر ابويه دليلا على ان
قول الناس لا يعيش احد فوق عمر ابويه خطأ
واوليك انما عنوا الناس دون جميع الحيوان
وقالوا وقد وجدنا غرمول البغل اعظم من
غرمول الحمار والفرس والبرذون وهما ولا
اعمامه واخواله فقد وجدنا بعض النتاج
المركب وبعض الفروع المستخرجة اعظم
من الاصل ووجدنا الحمام الراعبي اعظم من
الورشان الذي هو ابوه ومن الحمامة التي
هي امه ولم نجده اخذ من عمر الورشان
شيا وخرج صوته من تقدير اصواتهما كما خرج
شحيج البغل من نهيق الحمار وصهيل الفرس

وخرج الراعبي مسرولا ولم يكن ذلك في
ابويه وخرج مثقلا شبيه الهداية وللورشان
هداية وان كانت دون هداية الحمام وجاء
اعظم جثة من ابويه ومقدار النفس من
ابتداء هديله الى منقطعه اضعاف نفس
ابويه ۞ قالوا وفوالج البخت اذا ضربت في
اناث البخت لم تخرج الحوار الا اذن قصير
العنق لا ينال كلا ولا ماء الا بان يرفعا
اليه فيصير لمكان نقصان خلقه جزور لحم
ولا يكون من العملات ولا من السابحة ولو عالوه
وكفوه مؤونة تكلف المآكل والمشارب
ثم بلغ الى ان يصير جملا يمكنه الضراب لم
يمكنه الضراب وكذلك الانثى التي هي
الحابل الى ان تصير ناقة فلو القحها ذلك
الفحل لجاء ولدهما اقصر عنقا من الفيل
الذي لو لم يجعل الله له خرطوما يتناول
طعامه وشرابه لمات جوعا وهزلا وليس

كذلك العراب فاذا ضربت الفوالج في العراب
جاءت هذه الجوامز والبخت الكريمة التي تجمع
عامة خصال العراب وخصال البخت فيكون ما
يخرجه التركيب من هذين الجنسين افخم واكرم
وانفس واثمن ومتى ضربت فحول العراب
في اناث البخت جاءت هذه الابل البهونية
وهي الصرصرانية فتخرج اقبح منظرًا من
ابويها واشد أسرًا من ابويها وقال الراجز

ولا بهونيٍّ من الاباعر

وبعد فان هذه الشهرية الخراسانية تخرج
لها ابدان فوق ابدان امهاتها وابائها من الخيل
والبراذين وتأخذ من عتق الخيل ومن وثاجة
البراذين وليس نتاجها كنتاج البرذون خالصًا
والعربي خالصًا وما اشبه قرابة الحمار بالرمكة
والحجر من قرابة الجمل الفالج البختي بقرابة
القلوص من الاعرابية ويقال ان الحمير
الوحشية وبخاصة الأخدرية اطول الحمير

اعمارًا وانما هي من نتاج الأخدري فرس كان
لاردشير بن بابك صار وحشيًا فحمى عدة عانات
فضرب فيها فجاء اولاده منها اعظم من سائر
الحمير واحسن وخرجت اعمارها عن قدر اعمار
الخيل وسائر الحمير اعني حمير الوحش فان اعمارها
تزيد على الاهلية مرارًا عدة ولا يعرفون حمارًا
اهليًا عاش اكثر وعمر اطول من عير ابي سيارة
عميلة بن اعزل فانهم لا يشكون انه دفع عليه
باهل الموسم اربعين عامًا قال الاصمعي واسمه
عبد الملك بن قريب الاصمعي من ولد مالك
ابن مسمع السدوسي لم يكن عيرًا وانما كان
اتانًا وزعموا وكذلك هو في كتبهم ان ملوك
فارس كانت لهجة بالصيد الا ان بهرام جور
هو المشهور بذلك في العوام وهم يزعمون
ان فيروز بن قباذ الح في طلب حمار أخدري
فطاوله فلج به الاعتزام واخرجته الحفيظة الى
ان آلى ان لا يأخذه الا اسيرًا ولا يطارده الا فردًا

اصل الفرس الوحشي

حمار معمر

طرايف

قصة بهرام وصيد ملوك الاعجام

فحمل فرسه عليه فحطه في خبار فجمع جراميزه
وهو على فرسه ووثب فاذا هو على ظهره فقمص
به فضمه فخذيه فحطم بعض اضلاعه ثم اقبل الى
معظم الناس وهو راكبه ۞ قالوا فكان الملك
منهم اذا اخذ عيرا أخدريا او غير ذلك فاذا اراه
فتيا وسمه باسمه وأرّخ في وسمه يوم صيده
ثم ارسله فكان كثيرا ما اذا اصطاده الملك الذي
يقوم بعده سار فيه مثل تلك السيرة وخلى سبيله
فعرف آخرهم صنيع اولهم وعرفوا مقادير اعمارها
ولولا ان ناسا من كل جيل وخصائص من كل
امة يلهجون ويكلفون بتعرف معاني آخرين
ولعل كثيرا ممن لا يزري على اولئك ويعجب
الناس من تفرغهم لما لا يجدي وتركهم التشاغل
بما يجدي فالذي حبب الى هذا ان يرصد عمر
حمار او ورشان او حية او ضب هو الذي حبب
الى الآخر ان يكون صياد أفاع يبيعها للدرياقات
وسخر هذا لان يكون من سواس الاسد والنمور

والببور وترك من تلقاء نفسه ان يكون راعي غنم
والذي فرق هذه الاقسام وسخر هذه الاجسام
وسخر هذه النفوس وصرف هذه العقول لاستخراج
هذه العلوم من مدافنها وهذه المعاني من مخابيها
هو الذي سخر بطلميوس مع ملكه وفلانا وفلانا
للتفرغ للامور السماوية وللرعاية للنجوم واختلاف
سير الكواكب وكل ميسر لما خلق له لتتم النعمة
وتكمل المعرفة وانما ابى التيسير للمعاصي ۞
فاما الصناعات فقد تقصر بعض الاسباب بعض
الناس على ان يصير حائكا وتقصر بعضهم على ان
يصير صيرفيا فهي وان قصرته على الحياكة
فلم تقصره على خلف المواعيد وعلى ابدال الغزل
وعلى تشقيق العمل دون الاحكام والصدق
واداء الامانة ولم تقصر الصيرفي على التطفيف
في الوزن والتغليط في الحسابات وعلى دس
المموه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ۞ ولو
كان امر النتاج وما يحدث بالتراكيب وتخرج

من التزاوج الى تقدير الرأي وما هو اقرب
الى الظن لكانت الاظلاف تجري مجرى الحوافر
والاخفاف ۞ ألا ترى أن قرابة الضأن من
الماعز كقرابة البخت من العراب والخيل من
الحمير وسبيل نتاج الظلف على خلاف ذلك
لأن التيس مع شدة غلمته لا يعرض للنعجة الا
بالقليل الذي لا يذكر وكذلك ما يحدث
بينهما من الولد فانه إما أن لا يتم خلقه وإما أن
لا يعيش وكذلك الكبش والعنز فضلا عن
أن يكون بينهما نتاج لأنه قد يضرب الجنس
في الجنس الذي لا يلقحه ولا يكون اللقاح الا
بعد ضراب ۞ وقد تجاسر ناس على توليد
ابواب من هذا الشكل فادعوا امورا ولم يحفلوا
بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان
زعموا أن الزرافة خلق مركب من بين الناقة
من نوق الوحش وبين البقرة الوحشية وبين
الذيخ وهو ذكر الضباع وذلك انهم لما رأوا

١٦٦

الزرافة

أن اسمها بالفارسية اشتر كاو بلنك وتأويل
اشتر بعير وتأويل كاو بقرة وتأويل بلنك
الضبع لأن الضباع عرج كذلك الذكر والانثى
يكون بهما خماع كما عرض للذيب القزل وكل
ذيب أقزل وكما أن كل غراب يحجل كما يحجل
المقيد من الناس وكما أن العصفور لا يمشي
ومشيه أن يجمع رجليه ابدا معا في كل حركة
وسكون وقولهم للزرافة اشتر كاو بلنك اسم
فارسي والفرس تسمي الاشياء بالاشتقاقات
كما تقول للنعامة اشتر مرغ فكأنهم في التقدير
قالوا هو طائر وجمل فلم نجد هذا الاسم اوجب
لأن تكون النعامة نتاج ما بين الابل والطير
ولكن القوم لما شبهوها بشيئين متفاوتين
سموها بذينك الشيئين وهم يسمون الشيء
المر ترش شيرين وهو في التفسير حلو
حامض فجسر القوم ووضعوا لتفسير اسم
الزرافة حديثا وجعلوا الخلقة ضربا من التراكيب

١٦٧

اشتر مرغ

فقالوا قد يعرض الذيخ في تلك البلاد للناقة
من الوحوش فيستفدها فتلقح بولد يجي خلقه
بين خلق الناقة والضبع فان كانت انثى فقد
يعرض لها الثور الوحشي فيضربها فيصير
الولد زرافة وان كان ولد الناقة ذكرا عرض للمهاة
فالقحها فتلد زرافة فمنهم من جحد البتة
ان تكون الزرافة الانثى تلقح من الزرافة
الذكر فزعموا ان كل زرافة في الارض
فانما هي من النتاج الذي ذكروا وزعموا ان
ذلك مشهور في بلاد الحبشة واقاصي اليمن
وقال آخرون ليس كل خلق مركب لا
ينسل ولا يبقى نجله ولا يتلاقح نسله على
ما حكينا من شان الورداني والراعبي وما
اشباههم يفسدون العلم ويتهمون الكتب
ويغرهم كثرة اتباعهم ممن تجده مستهترا
بسماع الغرايب ومغرما بالطرايف والبدايع
ولو اعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت

١٦٨

نصيبا والتوقي حظا سلمت الكتب من كثير
من الفساد وانا رايت طايرا له صوت غير
حسن فسالت عنه فقال لي صاحب الطيور
انه من نتاج ما بين القمري والفاختة
وقناص الطير ومن ياتي كل اوقة وغيضة
في التماس الصيد يزعمون ان اجناسا من
الطير من الاوابد والقواطع تلتقي على المياه
فتتسافد وانهم لا يزالون يرون اشكالا
لم يروها قط فيقدرون انها من تلاقح تلك
المختلفة وقال ابو زيد النحوي وذكر
عن من لقي من الاعراب انهم زعموا ان
ذكر ام حبين الحرباء قال وسمعت اعرابيا
من قيس يقول لام حبين حبينة والحبينة
هو اسمها قال وقيس تسمي ذكر العظاة
العضرفوط وقال يحيى الاغر سمعت
اعرابيا يقول لا خير في العظاءة وان
كان ضبا مكونا فاذا سام ابرص والورل

١٦٩

والوحر والضب والحلكاء كلها عنده عظاءة
وزعم يحيى بن نجيم ان الثعلب يسفد الهرة الوحشية
فيخرج من بينهما ولد وانشد قول حسان
ابن ثابت ۝ ١٧٠
ابوك ابوك وانت ابنه فبئس البني وبئس الاب
وامك سوداء نوبية كأن اناملها العنظب
يبيت ابوك بها معتدا كما ساور الهرة الثعلب
وانشد ابو عبيدة قول عبد الرحمن بن ام الحكم
الا ابلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل اليماني
اتغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال ابوك زان
فاشهد ان رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان
قال كيسان ولأي شيء قال كرحم
الفيل من ولد الاتان انما كان ينبغي ان يقول
كرحم الفيل من ولد الخنزير قال ابو عبيدة
اراد هو التبعيد وانت تريد ما هو اقرب ۝
وزعم بعض المفسرين واصحاب الاخبار ان اهل
سفينة نوح كانوا تأذوا بالفار فعطس الاسد

وجود السنور

عطسة فرمى من منخريه بزوج سنانير
فلذلك السنور اشبه شيء بالاسد وسلح
الفيل زوج خنازير فلذلك الخنزير اشبه
شيء بالفيل ۝ قال كيسان فينبغي
ان يكون ذاك السنور هو آدم السنانير
وتلك السنورة حواء السنانير ۝ قال ابو
عبيدة لكيسان وضحك منه اولم تعلم انت
ان لكل جنس من الحيوان آدم وحواء
وضحك فضحك القوم ۝ ولما رأى ابو قردودة
سعد القرقرة اكل عند النعمن مسلوخا
بعظامه فقال في ذلك ۝ ١٧١
بين النعام وبين الكلب منبته وفي الذياب له ظئر واخوال
يقول ان سعدا قد ضرب في اعراقه نجل
النعام الذي يلتهم الجمر ويلتقم الحجارة
فيطفئ الجمر ويميع الصخر وضرب في اعراقه
الكلب الذي يرض كل عظم ولا يقبض عليه

بعكده الا وهو على ثقة من فيه ولا يبتلعه الا
وهو على ثقة من استمرائه ما كان يمكنه ان
يأكل في مقعده ما اكل ۝ فاما الذئب فانه لا
يرد وهم بعكبه شيئا الا ابتلعه بغير معاناة
عظما كان ام غيره مصمتا كان ام اجوف
ولذلك قال الراجز ۝
اطلس يخفي شخصه غباره ۝ في شدقه شفرته وناره
وابو فردودة لم يرد ان الذئب والكلب خالاه
وان النعام نجله وانما قال ذلك على المثل
والتشبيه ولم يرد ان له ظئرا من الكلاب
وخالا من الذئاب وليس ذلك على تأويل
قول امير المومنين لبعض الناس يا نطف
الخمار ونزائع الظؤورة واشباه الخؤولة
وعلى شبيه بذلك قال سلم بن قتيبة
لبعض من نكره ذكره وهو عند سليمن
ابن علي ايها الامير ان آل فلان اعلاج خلق
الله واوباشه لئام غدر شر ابون يا نعج

ثم هذا بعد في نفسه نطفة خمار في رحم
صناجة ۝ وقال لي ابو اسحق قال لي ابو
العباس وابو العباس هذا كان ختن ابرهيم
على اخته وكان رجلا يكذب بالنجوم ولا يقر
بشيء من الحوادث الا بما تجري على
الطباع قال ابو اسحق قال لي مرة اتعرف
موضع الحظوة في خلوة النساء من جميع
الاجناس قال قلت لا والله ما اعرفه قال بلى
اعلم انه لا يكون الحظ الا في نتاج شكلين
متباينين فالتقاويهما هو الاكسير المودي
الى الخلاص وهو ان تزاوج بين هندية وخراساني
فانهما لا يلدان الا الذهب الابريز ولكن احرس
ولدهما ان كان الولد انثى واحذر عليها من شدة
لواط رجال خراسان وزناء نساء الهند واعلم
ان شهوتها للرجال على قدر حظوتها عندهم
واعلم انها تساحق النساء على اعراق
الخراسانية وتزني بالرجال على اعراق الهند

واعلم ان مما يزيد في ذنابها وسخفها معرفتها
بالحظوة عند الرجال وبالحظ عند النساء ۝
وقالوا في الخلق المركب بعضه من بعض من الحق والباطل
ومن الصدق والكذب فمن الباطل زعمهم
ان الشبوط ولد الزجر من البني وان الشبوط
لا يخلق من الشبوط وانه كالبغل في تركيبه
وانساله وقد رووا ذلك عن ابي واثلة اياس
ابن معاوية بن قرة وزعموا ان ام جعفر
بنت جعفر بن المنصور حصرت في حوض لها
منه او بركة عظيمة عددا كثيرا من الزجر
والبني وانها لم تخلط بهما غيرهما فمات اكثره
وبقيت بقية كانت الصميم في القوة وفي احتمال
تغير المكان فلم تحمل لتبيض حينا ثم انها
حملت بالشبابيط ۝ وزعم حريث انه كان
بايذج فاذا سحابة دهماء طخياء وطفاء تكاد
تمس رؤوسهم وانهم سمعوا فيها كاصوات
المجانين وكهدير الفحول في الاشوال ثم انها

غريبة

١٧٤

غريبة

دفعت باشد مطر رأى او سمع به حتى
استسلموا للغرق ثم دفعت بالضفادع
العظام ثم دفعت بالشبابيط السمان الجداد
فاطبخوا واشتووا وملوا وملحوا وادخروا
ورووا عن ابي واثلة انه زعم ان من الدليل
على ان الشبوط كالبغل ان الناس لم يجدوا
في طول ما اكلوا الشبابيط في جوفها بيضا قط
فان كان هذا الخبر عن هذا الرجل المذكور بشدة
العقل المنعوت بثقوب الفراسة ودقة الفطنة
صحيحا فما اعظم المصيبة علينا فيه وما اخلق الخبر
ان يكون صحيحا وذلك اني سمعت له كلاما
كثيرا في تصنيف الحيوان واقسام الاجناس يدل
على ان الرجل حين احسن في اشياء ظن من
العجب بنفسه انه لا يروم شيا فيمتنع عليه
وغره من نفسه الذي غر الخليل بن احمد
حين احسن في النحو والعروض ظن انه يحسن
الكلام وتاليف اللحون فكتب فيهما كتابين لا

١٧٥

الشبوط

يُبشّر بهما ولا يدلّ عليهما الا المرّة المحترقة ولا
يؤدّي الى مثل ذلك الا خذلان الله فان الله
لا يعجزه شيء ۞ الشبّوط حفظك الله جنس
كثير الذكورة قليل الاناث ولا يكدن ايضا يجمعن
البيض واذا جمعن فلو جمعت بيض عشرٍ منهنّ
لما كان كشطر بيض بنيّة واحدة وقد رأيت
بيض الشبّوط مرارًا وذقته للتعرّف فوجدته
غير طائل ولا معجب وكل صيّاد يسئله فهو
ينبئك ان له بيضا ولكنه اذا كان ضئيلا
قليلا وان الشبابيط في اصل العدد اقلّ السمك
وكذلك الجنس اذا كانت الانثى منه مذكارًا
على انه ربّ نهرٍ يكون اكثر سمكه الشبّوط
وذلك قليل كنهر رامهرمز ۞ والشبّوط لا
يتربّى في البحار ولا يسكن الا في الاودية
والانهار ويكره الماء الملح ويطلب الاعذب
فالاعذب ويكون في الماء الجاري ولا يكون
في الساكن وسنذكر شأنه في موضعه من

هذا الكتاب ان شاء الله ولم يصب ابو وائلة
وكذبوا على امّ جعفر ۞ واذ قالوا في الزرافة
ما قالوا فلا نأمنهم على ما يودونه وان كان
من كذب على الموتى واستشهد الغيب احذق
فصاحب الزرافة قد استعمل بعض هذه الحيلة
وصاحب الشبّوط يكذب على الاحياء ويستشهد
الحضور وان كان الذي دعا الى القول في
الزرافة تركيب اسمه فجعلوا تركيب الاسم
دليلا على تركيب الخلق فالجاموس بالفارسية
كاوماش كانه قال ضأنٌ بقريّ لانهم وجدوا
فيه شبه الكبش وكثيرا من مشابه الثور
ليس ان الكباش ضربت في البقر فجاءت بالجواميس
وتزعم الفرس ان الحيوان كله الذي يلد حيوانا
مثله مما يمشي على اربع قوائم لا تخلو اجناسها
من المعز والضأن فالجواميس عندهم ضأن البقر
والبخت عندهم ضأن الابل والبراذين عندهم
ضأن الخيل ۞ والناس يقولون في الابل

اقاويل عجيبة فمنهم من يزعم ان فيها عرقا
من سفاد الجن وذهبوا الى الحديث انهم كرهوا
الصلاة في اعطان الابل لانها خلقت من اعنان
الشياطين وان على ذروة كل بعير شيطانا
فجهلوا المثل والمجاز وحملوا الكلام على غير
جهته ۞ وقال ابن ميادة

فلما اتاني ما تقول محارب تغنت شياطيني وجن جنونها

قال الاصمعي المأثور من السيوف الذي يقال
ان الجن عملته وهم يسمون الكبر والخنزوانة
والنعرة التي تضاف الى انف المتكبر شيطانا كما
قال عمر رحمه الله حتى انزع شيطانه كما
قال حتى انزع النعرة التي في انفه ويسمون
الحية اذا كانت داهية شيطانا وهو قولهم شيطان
الحماطة وقال الشاعر ۞

تعالج مثنى حضرمي كانه تعمج شيطان بذي خروع قفر

شبه الزمام بالحية وعلى مثل ذلك
قال الشاعر ۞

شناحية فيها شناح كانه حباب بكف الشاو من اسطع حشر

والحباب الحية الذكر وكذلك الايم وقد نهى
عن الصلاة عند غيبوبة القرص وعند طلوع
القرص الى ان يتتام ذلك وفي الحديث
لانه يطلع بين قرني شيطان ۞ فللعرب امثال
واشتقاقات وابنية وموضع كلام يدل
عندهم على معانيهم وارادتهم ولتلك الالفاظ
مواضع اخر ولها حينئذ دلالات اخر فمن لم
يعرفها جهل تاويل الكتاب والسنة والشاهد
والمثل فاذا نظر في الكلام او في ضروب من
العلم وليس من اهل هذا الشان هلك واهلك
وزعم ناس ان للابل وحشا وكذلك الخيل
وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير والحمام
وغير ذلك فزعموا ان تلك الابل تسكن
ارض وبار لانها غير مسكونة ولان
الحيوان كلما اشتدت وحشيته كان للخلاء
اطلب ۞ قالوا وربما خرج الجمل منها لبعض

ما يعرض فيضرب في اذني هجمة من الابل
الاملية قالوا فالابل المهرية من ذلك النتاج
وقال اخرون هذه الابل الوحشية من الحوش
وهي من بقايا ابل وبار فلما اهلكهم الله كما
اهلك الامم مثل عاد وثمود والعماليقة وطسم
وجديس وجاسم بقيت ابلهم في اماكنهم التي
لا يطورها انسي فان سقط الى تلك الجيرة
بعض الخلعاء او بعض من اضل الطريق
حبته الجن في وجهة فان لحخبلته فضربت
هذه الحوش في العمانية فجاءت هذه
المهرية ومن العسجدية التي تسمى
الذهبية واسندني سعدان المكفوف عن
ابي العميثل الراجز
ما ذم ابلي عجم ولا عرب جلودها مثل طواويس الذهب
وقال الاخر
اذا اصطكت بضيق حجرتاها تلاقي العسجدية واللطيم
والعسجد من اسماء الذهب قالوا وانما

سميت صاحبة يزيد بن الطثرية حوشية
على هذا المعنى وقال ذو الرمة
جرت رحانا من بلاد الحوش
واما الذي زعم انهم مطروا الشبوط فانه
لما ظن ان الضفادع التي تصاب بعقب
المطر بحيث لا ماء ولا وحل ولا عين
ولا شريعة وانهم ربما راوها وسط الدو
والدهناء والصمان ولم يشك انها كانت
في السحاب وعلم انها تكون عند الامطار
ومنافع الانهار من الذكر والانثى قاس
على ذلك الظن السمك ثم جسر فجعل
السمك شبوطا وتلك الضفادع انما
هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع
المطر والهواء والزمان وتلك التربة على
مقادير ومقابلات على ما اجرى الله عليه
نشء الخلق وقد نعرف القرابة التي
تكون في راي العين بين الشكلين من

في صح

الحيوان فلا يكون بينهما تسافد ولا تلاقح
كالفأر والجرذان والضان والمعز فليس
بالعجب في البقر والجواميس ان يكون
ذلك ٥ وقد رأينا الخلاسي من الدجاج
والديكة وهو الذي يخلق من بين المولدات
والهنديات وهي تجمع اللحم والشحم وزعم
لي مسعود بن عثمن انه اهدى الى عمرو
ابن مسعدة دجاجة وزن فيها سبعة
عشر رطلا بعد طرح الاسقاط واخراج
الحشوة ٥ ورأينا الخلاسي من الناس
وهو الذي يخلق بين الحبشي والبيضاء
والعادة من هذا التركيب انه يخرج اعظم
من ابويه واقوى من اصلبه ومنبتيه ٥
ورأينا البيسري من الناس وهو الذي
يخلق من بين البيض والهند لا يخرج ذلك
النتاج من مقدار ضخم الابوين وقوتهما
ولكنه يجيء احسن واملح وهم يسمون

وزن دجاجة

١٨٢

الماء اذا خالطته الملوحة بيسرا قياسا
على هذا التركيب الذي حكيناه من البيض
والهنديات ٥ ورأينا الخلاسي من الكلاب
وهو الذي يخلق من بين السلوقي وكلب
الراعي ولا يكون ذلك من الزيني والخلاسي
من كلاب الدور والحراسين وسنقول
في السمع والعسبار وفي غيرهما من الخلق
المركب ان شاء الله ٥ وذكروا انهم وجدوا
طول اعمار الناس في ثلثة مواضع اولها
سرو حمير ثم فرغانة ثم اليمامة وان في
الاعراب لاعمارا على ان لهم في ذلك كذبا
كثيرا والهند لهم بحث عليهم في هذا المعنى
كما تقول علماء العرب ٥ وكان عثمن
ماشن وبذلك وجد غان يذكرون انهم عدوا
اربعين فتى من شباب ثقيف وقريش
اعذار عام واحد فاحصوا عشرين من
قريش وعشرين من ثقيف وتوخوا المجاورين

والمتغاربين

في المحلة والمنجا وربين في الدور من الموقوفين
على النبيذ والمقصورين على التنادم وأنهم
احصوا مثل ذلك العدد وأشباه اولئك في
السن ممن لا يذوق النبيذ ولا يعرف شرابا
الا الماء فذكروا أنهم وجدوا أبعد مرور دمن
عامة من كان يشرب النبيذ حيا وعامة من
كان لا يشرب النبيذ قد مات ۝ وكانوا قد بلغوا
في السن اما عشرين وبذلك فقد كانا من المعمرين
وقد رأيتهما جميعا ولم اسمع هذا منهما وسنأتي
على هذا الباب في موضعه من ذكر المعمرين
وتمييز الصدق فيه من الكذب وما يجوز مما
لا يجوز ۝ ومما اكثر ما يعرض للخصيان البول
في الفراش وغير ذلك ولا سيما اذا بات
احدهم ممتلئا من النبيذ ۝ ويعرض لهم ايضا
حب الشراب والافراط في شهوته وشدة
النهم ويعرض لهم ايضا ابنة المخنثين وحب
الصرف وذلك مما يعرض للنساء ويحتلمون

عاد الى خصال الخصيان

١٨٤

ويجنبون ويغتسلون ويرون الماء غير
الدافق ولا الغليظ الذي ريحه ريح طلع
الفحال ۝ ويعرض للخصي شدة الاستخفاف
بمن لم يكن ذا سلطان عظيم أو مال كثير او
جاه عريض حتى ربما كان عند مولاه من
عشي ان يتقدم بها ولا المذكورين الذين
يكون الخصي كلفا بتعظيمهم ومغرما بخدمتهم
في الأدب والحسب وفي بعد الهمة وكرم
الشيمة فيعمد عند دخول ذلك الرجل
الذي له السلطان او الجاه او المال الى متكا
هذا الاديب الكريم والحيي الشريف فينزعه
من تحت مرفقه غير محتفل بذلك ولا
مكترث لما فيه ويضعه للآخر من غير ان يكون
موضع المرافق بعيدا او كان ذلك مما يفوت
بعض الفوت ويفعل ذلك وان كان يعاشر هذا
الاديب الكريم وهو على يقين انه لا يرى ذلك
الموسر وصاحب الجاه ابدا ۝ وقد حرم بعضهم

١٨٥

خصاء الخيل خاصة وبعضهم زاد على ذلك
حتى حرم خصاء البهائم ۝ وقال بعضهم
إذا كان الخصاء إنما اجتلبه فاعله وتكلفه
صاحبه على جهة التماس المنفعة أو على طريق
التجارة فذلك جائز وسبيله سبيل الميسم
فإن الميسم نار والله يجوز كل ألم وقد كانت
إبل الصدقة موسومة ووسمت العرب الخيل
وجميع أصناف النعم في الإسلام على مثل
صنيعها في الجاهلية وقد كانت العضباء ناقة
النبي صلى الله عليه وسلم موسومة وكذلك
العضباء وقال آخرون الخصاء غير شبيه
بالميسم لأن في الخصاء من شدة الألم ومن
المثلة ومن قطع النسل ومن إدخال النقص
على الأعضاء والنقص لمرابر القوى ما ليس
في الميسم وغيره وهو بقطع الألية أشبه
والسمة إنما هي لنعة والخصاء مجاوز
لكل شديدة ۝ قال القوم ولا بأس بقطع

الألية إذا منعت بثقلها وعظمها الشاة اللحاق
بالقطيع وخيف عليها الذئب وقطع الألية
في جواز العقول أشبه من الميسم لأن الميسم
ليس للبعير فيه حظ وإنما الحظ فيه لرب المال
وقطع الألية من شكل الختان ومن جنس
البط والفصد ومن جنس الوجور والبيطرة
ومن جنس اللدود والحجامة ومن جنس
الكي عند الحاجة وقطع الجارحة إذا خيف
عليها الأكلة ۝ قال الأولون بل لعمري
إن للإبل في السمات لأعظم المنافع لأنها قد
تشرب بسماتها ولا تذاد عن الحياض إكراما
لأربابها وقد تضل فتؤدى وتصاب في
الهواشة فترد ۝ قالوا فإنا لا نسألكم إلا عن
سمات الخيل والبغال والحمير والغنم وبعد
فكيف نستجيز أن نعمها بالحرق بالنار لأمر
عسى أن لا يحتاج إليه من ألف بعير بعير
ثم عسى أن لا يحتاج من جميع ذلك في جميع

عمره الا الى شربة واحدة ۞ قال القوم
انما المواسم في النعم السائمة كالرقوم في
ثياب البزاز ومتى ارتفعت الرقوم ومنعت
المواسم اختلطت الاموال واذا اختلطت
امكن فيها الظلم والمظلوم باذلك نفسه دون
المعيشة والهضيمة ۞ وقالوا ليس قطع الالية
كالمجثمة وكالشيء المصبور وقد نهينا عن
احراق الهوام وقيل لنا لا تعذبوا بعذاب الله
جل وعز فالميسم نار وقطع الالية من شكل
قطع العروق وصاحب المجثمة يقدر على
ان يرمي ان كان يتعلم الرماية شيئا لا بالم
ولم ينه عن تعذيبه فيما لا يرد على الشيء
المصبور على العذاب مردا بوجه من الوجوه
وقال اخرون ليس لك ان تحدث في جميع
الحيوان حدثا من نقص او نقض او ايلام لانك
لا تملك الشيء ولا يمكنك التعويض له فاذا
اذن لك مالك عينه بل مخترعه ومنشئ ذاته

والقادر على تعويضه وهو الله جل ثناؤه حل لك
من ذلك ما كان لا يحل وليس لك في حجة العقل
ان تصنع بها الا ما كان لها مصلحة كعلاج الدبر
وكالبيطرة ۞ وقال اخرون لنا ان نصنع كل
ما كان يصنع على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبعده مما لم يكن مدفوعا عند بعضهم
الا ان يكون نهي ذلك البعض عند جماعتهم
في طريق الخلاف والرد والمفارقة ولا
يكون عندهم قولا من الاقاويل فان كان
ذلك في سبيل العلاج بعد ان يكون ذلك
المتكلف يعرف وجه العلاج فالمذهب في ذلك
معروف وان كان خارجا من ذلك الحد فقد
علمنا انه انما ابيح من طريق التعبد والمحنة
كما جعل الله لنا ذبح ما احل ذبحه من البهائم
وكما جعل لنا ان نقتل القمل والبعوض والبراغيث
وان لم يكن منها الا مقدار الاذى فقط والقتل
لا يكون قصاصا من الاذى ولكن لما اباح

لنا خالق الشيء والقادر على تعويضه فقتله
كان قتله اسوغ في العقل مع الاذى من
ذبح البهيمة مع السلامة من الاذى ۵
قال وليس كل موذ ولا كل ذي اذى
حكم الله فيه باباحة القتل والله اعلم بمقادير الامور
١٩٠
وبحكم المختلف والمتفق والقليل من ذلك والكثير
وقد امر الله ابرهيم بذبح اسحق واسمعيل فاطاع
الوالد وطاوع المولود ۵ والجواب الماضي انما
هو قول من قال بالتعويض وهو قول النظام
واكثر المتكلمين يعترضون عليه فيه ولا
يزال يرحمك الله بعض الملحدين من الاغبياء
المنقوصين من المعاندين او بعض الموحدين
من الاغبياء المنقوصين فد طعنوا في ملك
الخصي وبيعه وابتياعه ويذكرون الخصي
الذي كان المقوقس عظيم القبط اهداه الى
النبي صلى الله عليه وسلم مع مارية ام ابرهيم
فقالوا قد ملك النبي عليه السلام خصيا بعد

ان عرفه واحاط علمه بانه خصي وانتم تزعمون
ان الخصاء حرام وان من اشترى من
الخاصي خصيا ثم زاده على قيمته وهو فحل
١٩١
فقد اعان على الخصاء وحث عليه ورغب
فيه وانه من افحش الظلم واشد القسوة
وزعمتم ان من فعل ذلك فهو شريك
الخاصي في الاثم وان حاله كحال المعروفين
بابتياع متاع اللصوص وقلتم وكذلك من
شهد السعايين ومراش الكلاب ونطاح
الكباش وقتال الديوك واصحاب المجارحات
وحرب الفيتين الضالتين وقلتم لان هذه
المواضع لو لم يحضرها النظارة لما عملوا تلك
الاعمال ولو فعلوها ما بلغوا مقدار الشطر
لغلبة الرياء والسمعة على قلوب الناس فكذلك
الخاصي والمشتري والمبتاع من المشتري
شركاء متعاونون وخلطاء مترافدون واذا
كان المبتاع يزيد في السلعة لهذه العلة

والبايع يزيد في السوم لهذا السبب وقد اقررتم
بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قبل من
المقوقس الخصي كما قبل مارية وانه استخدمه
وجرى ملكه عليه واتخذه ۝ فافهم فهمك
الله ما انا مجيب في هذه المسئلة والله الموفق

قول المصنف

وعلى الله قصد السبيل اقول قبل كل
شيء لا يخلو هذا الحديث الذي رويتموه

١٩٢

من ان يكون مرضي الاسناد صحيح المخرج
او يكون مسخوط الاسناد فاسد المخرج
فان كان مسخوطا فقد بطلت المسئلة وان
كان مرضيا فقد علمنا انه ليس في هذا
الحديث انه قبله منه بعد ان علم انه خصي
وعلى ان قبول الهدية خلاف الابتياع
لان بايع الخصي انما يحرم عليه التماس
الزيادة وكذلك المبتاع انما يحرم عليه
دفع الزيادة اذ كان لو سلم اليه بذلك
الثمن فحلا اجمل منه واشب واخدم لم يرده

والبايع ايضا لا يستام بالفحل سومه بالخصي
وقبول الهدية وقبول الهبة وسبيل البيع
والابتياع لا باس به اذا كان على ما وصفنا وانما
هدية الخصي كهدية الثوب والعطر والدابة
والفاكهة وعلى ان الخصي لا يحرم ملكه

١٩٣

ولا استخدامه بل لا يحل اطراده وتغيبه
وعتقه جايز وجواز العتق يوجب الملك
ولو باعه المالك على غير طلب الزيادة او لو
تاب من الخصاء واستحله مما اتى اليه لما حرم
على الخاصي نفسه استخدامه فالخصي ملك
وملكه واستخدامه حسن جميل ولان خصاه
اياه لا يعتقه عليه ولا يزيل عنه ملكه الا مثل
ما يوجب زوال ملكه واخرى ان في قبول
هديته ذلك الملك وتلقي كرامته بالاكرام تدبيرا
وحكمة وقد رووا مع ذلك ايضا ان زنباعا
الجذامي خصى عبدا له وان النبي صلى
الله عليه وسلم اعتقه عليه فيما بلغنا والله

اعلم فقد بطلت المسألة والحمد لله كثيرا كما هو
اهله ۞ وربما سالوا عن شي وليس القول
فيه بمتسع في نسق القول في الخصي وفي الخلق
المركب ولكن اذ قد اجبنا في مسالة كلامية من
مسائل الطعن في النبوة فلا باس ان نضيف
اليها اخرى ولا سيما اذا لم نطل ولم نزد في طول
الكتاب وقد لا يترك الطاعن قد قال قد علمنا
ان العرب لم يسموا حروب ايام الفجار بالفجور
وقريش خاصة الا لان الفساق في البلد الحرام
وفي الشهر الحرام كان عندهم فجورا وتلك
حرب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابن اربع عشرة سنة وابن اربع عشرة
سنة يكون بالغا وقال شهدت الفجار فكنت
انبل على عمومتي ۞ وجوابنا في ذلك
ان بني عامر بن صعصعة طالبوا اهل الحرم
من قريش وكنانة بجريرة البراض بن قيس
في قتله عروة الرحال وقد علموا انهم يطالبون

مسئلة

١٩٤

الجواب

من لم يجن ولم يعاون وان البراض كان قبل
ذلك خليعا مطردا فاتوهم الى حرمهم يلزمونهم
ذنب غيرهم فدافعوا عن انفسهم وعن اموالهم
وذراريهم فالفاجر لا يكون المتبغى عليه ولذلك
اشهد الله جل وعز نبيه صلى الله عليه وسلم
ذلك الموقف وبه نصروا كما نصرت العرب
من بني بكر بن وايل على فارس يوم ذي قار
بمخرجه صلى الله عليه وسلم وهذان جوابان
واضحان قريبان والحمد لله ۞ ثم نرجع بنا القول
الى ذكر محاسن الخصي ومساويه الخصي
ينكح ويتخذ الجواري ويشتد شغفه بالنساء
وشغفهن به وهو وان كان مجبوب العضو فانه
قد يبقى له ما عسى ان يكون فيهن من ذلك
اعجب اليها ۞ وقد يحتلم ويخرج منه عند الوطي
ماء ولكنه قليل متغير الريح رقيق ضعيف
ولكن ذلك الماء لا يخرج منه الا بعد جهد
جهيد وعلاج طويل ثم لا يمنعه من المعاودة

١٩٥

الماءَ الذي يخرج منه إذ كان ذلك المقدارُ
لا يخرجه من القوة إلى الضعف مثل الذي
يعتري من يخرج منه شيءٌ يكون منه انسان
وهو اكثر واحتر واجد نجاءً واصح جوهرًا
والخصي هو السريع الافاقة البطيء الاراقة
المامون الالقاح فتغتنم المرأة معه وهي آمنة
للعادات الاكابر فهو اشد لتوفير شهوتها وإذا
ابتذلن الخصيان وحقرن العبيد وذهبت الهيبة
من قلوبهن وتعظيم البعولة والتصنع لذوي
الاقدار باجتلاب الحياء وتكلف الخجل ظهر كل
شيء في قوى طباعهن وشهواتهن فامكنها
النخير والصياح وان تكون مرة فوق ومرة
اسفل واستمتعت النفس بمكنونها واظهرت
اقصى ما عندها ۝ وقد نجد في النساء من
يؤثر النساء ونجد فيهن من يؤثر الرجال
ونجد فيهن من يؤثر الخصيان ونجد فيهن من
يعم ولا يخص ويجمع ولا يفرق وكذلك شان

الرجال في الرجال وفي الخصيان وفي النساء
فالمرأة تنازع إلى الخصي لان امره استر
وعاقبته اسلم وتحرص عليه لانه ممنوع منها
ولان ذلك حرام عليها فلها جاذبان جاذب
حرص كما تحرص على الممنوع وجاذب امن
كما ترغب في السلامة ۝ قال الاصمعي
قال يونس بن عبيد لو امرنا بالجزع لصبرنا
وقال الشاعر ۝
وزادها كلفًا بالحب ان منعت وحب شيء إلى الانسان ما منعا
والحرص على الممنوع باب لا يقدر على الاحتجاز
منه والاحتراس من خدعه الا كل مبرز
في الفطنة ومتمهل في العزيمة وطويل التجارب
فاضل العقل على قوى الشهوات وبئس
الشيء القرين السوء وقالوا الصاحب السوء
قطعة من النار ۝

وباب من هذا الشكل

وبكم اعظم الحاجة الى ان تعرفوه وتقفوا عنده

وهو مما يصنع الخبر السابق الى السمع ولا سيما
اذا صادف من السامع قلة تجربة فان قرن
بين قلة التجربة وقلة التحفظ دخل ذلك
الخبر السابق الى مستقره دخولا سهلا وصادف
موضعا وطيا وطبيعة قابلة ونفسا ساكنة
ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخا لا
حيلة في ازالته ومتى القي الى الفتيات شيء
من امور النساء في وقت الغرارة وعند
شباب الشهوة وغلبة الطبيعة وعند قلة الشواغل
وكذلك متى القي الى الفتيان شيء من
امور الغلمان ومناك سكر الشباب فكذلك
تكون حالهم وان الشطار ليخلوا احدهم بالغلام
الغزيرين فيقول له لا يكون فتى ابدا حتى يصادق
فتى والا فهو تكش والتكش عندهم الذي لم
يؤدبه فتى ولم يخرجه فما الماء العذب البارد
باسوغ في طباع العطشان من كلمة اذا كان
للغلام ادنى هوى في الفتوة وادنى داعية

الى المنالة وكذلك اذا خلت العجوز المدربة
بالجارية الحدثة كيف تخلبها وانشدنا

فانها طبة عالمة تخلط الجد باصناف اللعب
ترفع الصوت اذا لانت لها وتأتي عند ثوران الغضب

وقال الشاعر حبيب فيما يشبه وقوع الخبر
السابق الى القلب

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل

وقال مجنون بني عامر

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وقال الاخر فيما يشبه هذا المعنى

لا تحقرن من الاشرار ذا صغر فالذئب ليس بمأمون على الغنم
ولا عجوزا على اهل فتفسدها ولا خصيا على مال ولا حرم

وباب آخر

مما يدعو الى الفساد

وهو طول وقوع البصر على الانسان الذي في
طبعك ادنى قابل له وادنى حركة عند مثله

وطول التداني وكثرة الرؤية مما اصل البلاء
كما قيل لابنة الخس لم زنيت بعبدك ولم تزني
بحر وما اغراك به قالت طول السواد وقرب
الوساد ۞ ولو ان اقبح الناس وجها وانتنهم ريحا
واظهرهم فقرا واسقطهم نفسا واوضعهم حسبا
قال لامراة قد تمكن من كلامها وتمكنه من
سمعها قد والله يا مولاتي وسيدتي اسهرت
ليلي وارقت عيني وشغلتني عن مهم امري
فما اعقل اهلا ولا ولدا ولا مالا لنقض طباعها
ولفسخ عقدها ولو كانت ابرع الخلق جمالا واكملهم
كمالا واملحهم ملحا فان تهيا مع ذلك من هذا
المتعشق ان يدمع عينه احتاجت هذه المراة
الى ان يكون معها مثل ورع ام الدرداء
او معاذة العدوية ورابعة القيسية وام النجاء
الخارجية وانما قال عمر بن الخطاب رحمه
الله اضربوهن بالعري لان الثياب يدعين المدعاة
الى الخروج في الاعراس والقيام في المناحات

والظهور في الاعياد ومتى كنت حرا وجها لم
بعد لها ان ترى بعض من هو من شكل طبعها
ولو كان بعلها اتم حسنا والذي رات انقص
حسنا لكان ما لا تملكه اطرف مما تملكه ولكان
ما لم تملكه تستكثر منه اشد لها اشتهاء لان
واشد لها اجتذابا كما قال الشاعر ۞
وللعين ملهى في النساء ولم يقد هوى النفس شيء كاقتياد الطرايف
وقال سعيد بن سلم لان يرى حرمتي
الف رجل على حال تكشف منها وهي لا
تراهم احب الي من ان ترى حرمتي رجلا
واحدا غير متكشف ۞ وقال الاول لا يغرنك
حسن ما لا تعرف لانك اذا اتبعتها بصرك
وقد نقضت طبعك فعلمت انك لا تصل
اليها بنفسك ولا بكتابك ورسولك كان
الذي رايت منها كالحلم وكما يتصور للمتمني
فاذا انقضى ما هو فيه من المنى ورجعت نفسه
الى مكانها الاول لم يكن عليه من فقدها

الا مثل فقد ما رآه في النوم او مثلته له
الاماني ۞ وقيل لعقيل بن علفة لو زوجت
بناتك فان النساء لحم على وضم اذا لم يكن غائبات
قال كلا اني اجيعهن فلا يأشرن واعريهن
فلا يظهرن فوافقت احدى كلمتيه قول النبي
صلى الله عليه وسلم ووافقت الاخرى
قول عمر بن الخطاب لان النبي صلى الله
عليه وسلم قال الصوم وجاء وقال عمر
استعينوا عليهن بالعري وقد جاء في
الحديث وقروا اشعارهن فان ترك الشعر
مجفرة وقد اتينا على هذا الباب في الموضع
الذي ذكرنا فيه شأن الغيرة واول الفساد
وكيف ينبت وكيف يحصد ۞ وقد رايت غير
خصي يتلوط ويطلب الغلمان في المواضع
ويخلو بهم ويأخذهم على جهة المصادقة
ويحمل في ذلك الحديد ويقاتل دون السخول
ويمشي مع الشطار ۞ وقد كان في قطيعة

الربيع خصي ابيض عند مولاه عظيم المنزلة منه
وكان يثق به في ملك يمينه وفي حرمه من
بنت وزوجة واخت وابنة اخت لا يحجب شيئا
دون شيء فاشرف يوما فابصر الخصي على
مربد له وفي المربد غنم صفايا وقد سفد تيس
شاة وقد ركبها من مؤخرها يكومها فلما ابصر
كذلك برق وبعل واسقط في يده وهجم عليه
امر لو كان رآه من خصي لعدو له لما فارق ذلك
الهول ابدا قلبه فكيف وانما عاين الذي عاين
في من كان يخلفه في نسائه من حرمه وملك
يمينه فبينا الرجل وهو واجم حزين وهو ينظر اليه
وقد تحرق عليه غيظا اذ رفع الخصي راسه
فلما ابصر مولاه مر مسرعا نحو باب الدار ليركب
راسه وكان المولى اقرب الى الباب منه فسبقه
اليه وكان الموضع الذي رآه منه موضعا لا يصعد
اليه فحدث لشقائه امر لم يجد مولاه بدا من
صعوده فلبث الخصي ساعة ينتفض من

حتى زكنة ثم فاظ ولم يمس الا وهو في القبر
وبفرط ارادتهم للنساء وبالحسرة التي نالتهم
وبالاسف الذي دخلهم ابغضوا الفحول باشد
من تباغض الاعداء فيما بينهم حتى ليس بين
الحاسد الباغي وبين اصحاب النعم المتظاهرة
ولا بين الماشي المعيي وبين راكب الهملاج
الفاره ولا بين المعتر والغني ولا بين ملوك
صاروا سوقة وبين سوقة صاروا ملوكا ولا بين
بني الاعمام مع وقوع التنافس ووقوع
الحرب ولا بين الجيران والمتشاكلين في
الصناعات من الشنف والبغضة بقدر ما
يلتحف عليه الخصيان للفحول ٥ وبغض
الخصي للفحل من شكل بغض الحاسد لذي
نعمة وليس من شكل ما يولده التنافس
وتلقحه الجنايات ٥ ولرجال كل فن من
الناس ضرب من النسك اذا بدا لاحدهم
في النزوع وفي ترك طريقته الاولى فنسك

ذكر ارباب الحسد عادة

انواع النسك واصحابه

الخصي غزو الروم ولزوم اذنة والرباط
بطرسوس واشباهها فظن عند ذلك
اهل الفراسة ان سبب ذلك انما كان
لان الروم لما ان كانوا هم الذين خصوهم
كانوا مغتاظين عليهم وكانت النفوس متطلعة
الى التشفي منهم فاخرج لهم حب التشفي
شدة الاعتزام على قتالهم وعلى الانفاق في
كل شيء يبلغ منهم ونسك الخراساني
ان يحج ٥ ونسك البنوي ان يدع الديوان
ونسك المغني ان يكثر التسبيح وهو يشرب
النبيذ والصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم والصلاة في الجماعة ٥ ونسك الرافضي
اظهار ترك النبيذ ٥ ونسك السوادي
ترك شرب المطبوخ فقط ٥ ونسك اليهودي
اقامة السبت ٥ ونسك المتكلم التسرع
الى اكفار اهل المعاصي والى رمي الناس
بالحيرة او بالتعطيل او بالزندقة يريد ان يوهم

امورًا منها ان ذلك ليس الا من تعظيمه للدين
ومن الاحتراق فيه ☙ ومنها ان يقال لو كان
نطيفًا او منتابًا او محتجنًا على بليته لما نحى
الناس ولرضى منهم بالمسالمة وما كان
ليرميهم الا للعز الذي كان في قلبه ولو كان
هناك شيء من ذل الريبة لقطعه ذلك عن
التعرض لهم او التنبيه على ما عنتي ان
حركهم له ان يتحركوا ولم نجد في المتكلمين
انطف ولا اكثر عيوبًا ممن يرمي خصومه
بالكفر ☙ كان ابو عبد الله الجماز وهو محمد
ابن عمرو يتعشق جارية لال سليمن بن
علي يقال لها طغيان وكان لهم خصي
يحفظها اذا ارادت بيوت المغنين وكان
الخصي اشد عشقًا لها من الجماز وقد
كان حال بينه وبين كلامها والدنو منها فقال
الجماز وكان اسم الخادم سنانا ☙

ما للمقيت سنان وللحسان الملاح
البس ذا ان خصي غاز بغير سلاح
وقال ايضا فيه وفيها ☙
نفسي الفداء لظبي يحبني واحبه
من اجل ذاك سنان يسبني واسبه
ثمه اجاب سنانا نبيكه ابن ذبه
وقال ايضا فيهما ☙
ظبي سنان شريكي فيه فبئس الشريك
فلا ينيك سنان ولا يدعني انيك
وقال الباخرزي يذكر محاسن خصال الخصيان
في كلمة له ☙
ونساء لمطمئن مغنيهم ورجال ان كانت الاسفار
وقال حميد بن ثور يهجو امراته ☙
جلبانة ورهاء تخصي حمارها بغى من بغى خيرا اليها الجلاميد
وقال مزرد بن ضرار ☙
فجات كخاصي العير لم تحل عاجة ولا حاجة منها تلوح على وشم
وقال عمرو الخاركي ☙

اذا لام على المسند نصيح زادني حرصا
ولا والله لا والله لا افلح او اخصى

وقال الاخر

رماك الله من ابر بافعى ولا عافاك من جهد البلاء
جزاك الله شرا من رفيق اذا بلغت بي ركب النساء
اجبنا في الكريهة حين نلقى وتعظم ما تغير في الخلاء
فلولا الله ما امسى رفيقي ولولا البول عجل بالخصاء

وقال بعض عبد القيس وهو عبد الله بن
٢٠٨
زهير

ما كان قحذم بن واقصة الخصي يرجو المناكح في بني الجارود
ومن انيكاسير الدهر ان زوجتها ولكل دهر عثرة وجدود
لو كان منذر اذ خطبت اليهم حيا لكان خصاك باداود

لطيفه

قال ابو عبيدة حدثني ابو الخطاب قال
كان عندنا رجل احدب سقط في بير
فذهبت حدبته وصار آدر فقيل له كيف
تجدك قال الذي جاء شر من الذي مر
وابو الحسن المدايني عن بعض رجاله قال
خرج معاوية ذات يوم يمشي ومعه خصي
له فدخل على ميسون بنت بحدل الكلبية
وهي ام يزيد فاستترت منه فقال لها اتستترين
منه وانما هو مثل المراة قالت اترى المثلة
به تحل له ما حرم الله عليه

٢٠٩

ذكر ما جاء في
خصاء الدواب

ذكر ادم بن سليمن عن الشعبي قال قرات
كتاب عمر الى سعد ينهى عن حذف اذناب
الخيل واعرافها وخصايها ويامره ان يجري
من راس المايتين وهو اربعة فراسخ
وسفيان الثوري عن عاصم بن عبيد الله
ابن عاصم عن سالم بن عبد الله عن عبد الله
ابن عمر ان عمر كان ينهى عن خصا البهايم
ويقول هل الانما الا في الذكور
وشريك بن عبد الله قال اخبرني ابرهيم بن

المهاجر عن ابرهيم النخعي ان عمر نهى عن
خصاء الخيل ۞ وسفيان الثوري عن
ابرهيم بن المهاجر قال كتب عمر بن الخطاب
لا تخصين فرسا ولا تجرين فرسا نافعا الا
من المائتين يعني الغلوة ۞ قال عباد وسمعت
نافعا يقول كان عبد الله بن عمر يكره خصاء
الذكور من الابل والبقر والغنم ۞ وعبيد الله
ابن عمر عن نافع عن ابن عمر انه كان يكره الخصا
ويقول لا تقطعوا نامية خلق الله ۞ وعبد الله
وابو بكر ابنا نافع عن نافع عن ابن عمر قال
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تخصى
ذكور الخيل والابل والبقر والغنم ويقول فيها
نشاة الخلق ولا تصلح الاناث الا بالذكور ۞
ومحمد بن ابي ذيب قال سالت الزهري هل
بخصاء البهايم باس فقال اخبرني عبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صبر الروح

قال الزهري والخصاء صبر شديد ۞
وابو جعفر الرازي قال حدثنا الربيع بن
انس عن انس بن مالك في قوله ولامرنهم
فليغيرن خلق الله قال هو الخصاء ۞
ابو بكر الهذلي قال سالت الحسن عن
خصاء الدواب فقال اتسلني عن هذا
لعن الله من خصى الرجال ۞ وابو بكر
الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس
وكان عكرمة عالما بتفسير القران قال في
قوله ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال خصا
الدواب ۞ قال وقال سعيد بن جبير
اخطأ عكرمة هو دين الله ۞ نصر بن طريف
قال حدثنا قتادة عن عكرمة قوله فليغيرن
خلق الله قال خصاء البهايم فبلغ مجاهدا
فقال كذب هو دين الله جل وعز ۞
فمن العجب ان الذي قال عكرمة هو الصواب
ولو كان هو الخطا لما جاز لاحد ان يقول له كذبت

والناس لا يضعون هذه الكلمة في موضع
خطأ الرأي ممن يظن به الاجتهاد وكان ممن
له أن يقول ولو أن إنسانا سمع قول الله
جل ثناؤه فليغيرن خلق الله قال إنما يعني
الخصاء لم يقبل ذلك منه لأن اللفظ ليست
فيه دلالة على شيء دون شيء وإذا كان
اللفظ عاما لم يكن لأحد أن يقصد به إلى
شيء بعينه إلا أن يكون النبي صلى الله
عليه وسلم قال ذلك مع تلاوة الآية
أو يكون جبريل صلى الله عليه قال ذلك
للنبي عليه السلام لأن الله تعالى وعز لا
يضمر ولا ينوي ولا يخص ولا يعم بالمقصود
وإنما الدلالة في بنية الكلام نفسه فصورة
الكلام هو الإرادة وهو القصد وليس بينه
وبين الله عمل آخر كالذي يكون من الناس
تعالى الله عن قول المشبهة علوا كبيرا ۝
أبو جزء عن عمار بن عمار أن ابن عباس

قال في قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
قال هو الخصاء ۝ وأبو جزء عن قتادة
عن عكرمة عن ابن عباس مثله ۝ أبو داود
النخعي عن محمد بن سعيد عن عبادة بن نسي
عن ابن محيريز قال كان أحب الخيل إلى
سلف المسلمين في عهد عمر وعثمان ومعاوية
الخصيان فإنها أخفى للكمين والطلائع
وأبقى على الجهد ۝ وأبو جزء قال أخبرني
ابن جريج عن عطاء أنه لم ير بأسا بخصاء
الدواب ۝ وأبو جزء عن أيوب عن ابن
سيرين أنه لم يكن يرى به بأسا يقول
لو تركت الفحولة لأكل بعضها بعضا ۝
وعمرو ويونس عن الحسن أنه لم يكن
يرى بأسا بخصاء الدواب ۝ وسفيان
ابن عيينة عن ابن طاووس عن أبيه أنه خصى
بعيرا ۝ وسفيان بن عيينة عن مالك بن
مغول عن عطاء أنه سئل عن خصاء

الرجوع الى القول بالخلق المركب

البغل فقال إذا خفت عضاضته ويوصل
هذا الكلام بالكلام الذي قبل هذا في الخلق
المركب وفي تلاقح الأجناس المختلفة
زعموا أن العسبار ولد الضبع من الذيب
وجمعه عسابر وقال الكميت

وتجمع المتفرقون من الفراعل والعسابر

بينهم بأنهم أخلاط ومعلهجون وزعموا
أن السمع ولد الذيب من الضبع ويزعمون
أن السمع كالحية لا تعرف العلل ولا تموت
حتف أنفها ولا تموت إلا بعارض يعرض لها
ويزعمون أنه ليس شيء له عدو كعدو
السمع وأنه أسرع من الريح والطير وقال
سهم بن حنظلة يصف فرسه

فاعصِ العواذل وارم الليل عن عرض بذي سبيب يقاسي ليله خببا
كالسمع لم ينقب البيطار سرته ولم يدجه ولم يغمز له عصبا

وقال ابن كناسة وهو يصف فرسا

كالعقاب الطلوب يضربها الطل وقد صوبت على عسبار

٢١٤

يقول إذا اشتد هرب المطلوب الهارب
من الطالب الجاد فهو أحث للطالب وإذا
صار كذلك صار المطلوب حينئذ في معنى
من يحث الطالب إذ صار إفراط سرعته
سببا لإفراط طلب العقاب وقال تأبط
شرا أو أبو محرز خلف بن حيان الأحمر

مسبل في الحي أحوى رفل وإذا يعدو فسمع أزل

وإنما قال إنه أزل وجعله عاديا ووصفه
بذلك لأنه ابن الذيب وقال آخر

يدير عيني لحظة عسباره

وقد قال في موضع آخر

كأن شباة طرفه استعاره

وقال الآخر تلقى بها السمع الأزل الأطلسا

وزعموا أن ولد الذيب من الكلبة يقال له
الديسم ورووا لبشار بن برد في ديسم
العنزي أنه قال

أديسم يا ابن الذيب من نجل زارع أتروي هجائي سادرا غير مقصر

٢١٥

وذا زع اسم الكلب يقال للكلاب اولاد زارع
وزعم صاحب المنطق ان اصنافا اخر من
السباع المتزاوجات المتلاقحات مع اختلاف
الجنس والصورة معروفة النتاج مثل الذئاب
التي تسفد الكلاب في ارض رومية قال
ويتولد ايضا كلاب سلوقية من ثعالب
وكلاب ۞ قال وبين الحيوان الذي يسمى
باليونانية طاغريس وبين الكلب تحدث
هذه الكلاب الهندية قال وليس يكون
ذلك من الولادة الاولى ۞ قال ابو
عثمن عن بعض البصريين عن بعض اصحابه
قال وزعموا ان النتاج الاول يخرج صعبا
وحشيا لا يلقن ولا يالف ۞ وزعم لي بعضهم
عن رجل من اهل الكوفة من بني تميم ان الكلبة
تعرض لهذا السبع حتى تلقح ثم تعرض لمثله
مرارا حتى يكون جرو البطن الثالث قليل
الصعوبة يقبل التلقين وانهم ياخذون اناث

٢١٦

الكلاب ويربطونها في تلك البراري فيجيء
من هذه السباع فتسفدها ۞ وليس في الارض
انثى يجتمع على حب سفادها ولا ذكر يجتمع
له من النزاع الى سفاد الاجناس المختلفة
اكثر من ذلك من الكلب والكلبة وقال
اذا ربطوا هذه الكلاب الاناث في تلك البراري
فان كانت هذه السباع بها حاجة سفدتها وان لم
يكن السبع بها حاجا فالكلبة ماكولة وقال
ابو عدنان ۞

ايا باكي الاطلال في رسم دمنة ترود بها عين المها والجآذر
وعانات غزلان ومبق سفنج وسنداوة تضبي به وخناجر
وسمع خفي الرز ثلب ودوبل وثرملة تعتادها وعسابر

وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق وما نطق
بمثله ان يخلد على نفسه في الكتب شهادات
لا يحققها الامتحان ولا يعرف صدقها اشباهه
من العلماء وما عندنا في معرفة ما ادعى الا
هذا القول ۞ واما الذين ذكروا في اشعارهم

٢١٧

السمع والعشيان فليس في ظاهر كلامهم
دليل على ما ادعى عليهم الناس من هذا
التركيب المختلف فأدّينا الذي قالوا وأمسكنا
عن الشهادة إذ لم نجد عليها برهانا ه وللناس
في هذا الضرب ضروب من الدعوى وعلماء
السوء يظهرون تجويزها وتحقيقها كالذين
يدعون من أولاد السعالي من الناس كما ذكروا
ذلك عن عمرو بن يربوع وكما ذكر أبو زيد
النحوي عن السعلاة التي أقامت في بني تميم
حتى ولدت فيهم فلما رأت برقا يلمع من
شق بلاد السعالي حنّت فطارت إليهم فقال
شاعرهم ه

رأى برقا فأوضع فوق بكر ٭ فلا بك ما أسال وما أغاما

وأنشد في أن الجن طرقوا بعضهم فقال

أتوا ناري فقلت منون قالوا ٭ سراة الجن قلت عموا ظلاما
فقلت إلى الطعام فقال منهم ٭ زعيم نحسد الإنس الطعاما

ولم أعب الرواية وإنما عبت الإيمان بها

نادرة في الجن

والأبيات رأيته لأبو العلاء
أو لاح أيماض سترت وجوهها
كأن عمرو المطعى سعل

٢٤٨

ثانية عشرة أول

١٠٩

والتوكيد لمعانيها فما أكثر من يروي هذا الضرب
على التعجب منه وعلى أن يجعل الرواية له
سببا لتعريف الناس حق ذلك من باطله
وأبو زيد وأشباهه مأمونون على الناس
إلا أن كل من لم يكن متكلما حاذقا وكان
عند العامة قدوة وإماما فما أقرب إفساده
لهم من إفساد المتعمد لإفسادهم وأنشدوا
في تثبيت ولد السعلاة ه

٢١٩

تقول جمع من بوان وتند ٭ وحش كلفتني ما لم أجد

بوان عمود من عمد الفسطاط وجمعه بون
مثل سوار وسور وعوان وعون ه

ولم تقل جئي بأبان أو أحد ٭ أو ولد السعلاة أو جرو الأسد
أو ملك الأعجم ما سور أبقد

وقال آخر ه

يا قاتل الله بني السعلات ٭ عمرو بن يربوع شرار النات

وذكروا أن جرهما كان من نتاج ما بين الملائكة
وبنات آدم قالوا وكان الملك من الملائكة

نتاج بين آدم والملائكة

إذا عصى ربه في السماء اهبطه الى الارض في
صورة رجل وفي طبيعته كما صنع بهاروت
وماروت حتى كان من شانهما وشان الزهرة
ما كان فلما عصى الله بعض الملائكة واهبطه
الى الارض في صورة رجل تزوج ام جرهم
فولدت منه جرهما ولذلك قال شاعرهم

لاهم ان جرهما عبادكا ٭ الناس طرف وهم تلادكا

ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من التركيب
والنجل كانت بلقيس بنت ذي شرح ملكة
سبأ وكذلك كان ذو القرنين كانت امه
قيرى آدمية وابوه عبرى من الملائكة
ولذلك سمع عمر بن الخطاب رجلا ينادي
رجلا ويقول يا ذا القرنين فقال فرغتم من
اسماء الانبياء فارتفعتم الى اسماء
الملائكة وروى المختار بن ابي عبيد
ان عليا رضي الله عنه كان اذا ذكر ذا
القرنين قال ذاك الملك الأمرط

١١٦

تناكح الجن مع الانس والصرع

وزعموا ان التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن
والانس لقوله وشاركهم في الأموال والأولاد
ولان الجنيات انما تعرض لصرع رجال
الانس على جهة العشق وطلب السفاد
وكذلك رجال الجن لنساء بني ادم ولولا
ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء ونساؤهم
للرجال والنساء قالوا ومن زعم ان الصرع من
المرة رد قول الله جل ثناؤه الذين يأكلون
الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس وقال لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان فلو كان الجان لا يفتض الآدميات
ولم يكن ذلك قط وليس ذلك في تركيبه لما
قال الله جل وعز هذا القول وزعموا ان

النسناس

النسناس تركيب ما بين الشق والإنسان
ويزعمون ان خلقا من وراء السد تركيب من

الشق ويأجوج

الناس والنسناس والشق ويأجوج ومأجوج

الواق واق والدوال باي

وذكروا الواق واق والدوال باي انهم نتاج

كان امة في الارض قبل آدم

ما بين بعض النبات وبعض الحيوان ۞ وذكروا
ان امة كانت في الارض امر الله الملائكة فاجلوهم
واياهم عنوا بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك ۞ ولذلك قال الله جل ثناؤه لآدم وحواء
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فهذا
يدلك على ان ظالما وظلما قد كان في الارض ۞
وقال الاصمعي او خلف الاحمر في ارجوزة
مشهورة ذكر فيها طول عمر الحية ۞

تفسير

ارقش ان يبسط او ينثني ، حسبت ورسا خالط الترابا
خالطه منها بمنا وهنا ، اذا رآه الحواء استثنا

بهنا اسم امة

زعم المجوس فيما قبلنا

وكان يقال لتلك الامة بهنا ۞ وزعمت المجوس
ان الناس من ولد مهنة ومهنبنة وانهما تولدا
فيما بين تخام الارضين وتطفتين ابتدرتا
من عيني ابن جومرت حين قتله اهرمن ۞
وحماقات اصحاب الاثنين كثيرة في هذا الباب
ولولا اني احببت ان تسمع نوعا من الكلام ومبلغ

غريبة في حاذا ابليس من الانس

الرائي فتحدث لله شكرا على السلامة لما
ذكرت لك كثيرا من هذا الجنس ۞ وزعم
ابن ميثم انه رأى بالكوفة فتى ذكر انه من
ولد عبد الله بن هلال الحميري صديق ابليس
وختنه وانهم كانوا لا يشكون ان ابليس جده
من قبل امهاته وسنقول في ذلك بالذي
يجب في موضعه وصلة هذا الكلام تجئ
بعد هذا ان شاء الله ۞ وقلت ولو تم للكلب

الرجوع في اوصاف الكلب

معنى السبع وطباعه لما الف الانسان واستوحش
من السبع وكره الغياض والف الدور واستوحش
من البراري وجانب القفار والف المجالس والديار
ولو تم له معنى البهيمة في الطبع والخلق والغذا
لما اكل الحيوان وكلب على الناس نعم حتى ربما
وثب على صاحبه وكلب على اهله وقد ذكر
ذلك طرفة فقال ۞
كنت لنا والدهر مور آونة ، تقتل حال النعيم بالبؤس
ككلب طسم وقد تربه ، يعله بالحليب في الغلس

ظل عليه يوما يغرفره ان لا يلغ في الدماء ينهس

وقال حاجب بن دينار المازني في مثل ذلك

وكم من عدو قد اعنتم عليكم بمال وسلطان اذا اسلم الحبل

كذي الكلب لما أسمن الكلب رابه باحدى الدواهي حين فارقه الاهل

وقال عوف بن الأحوص

فاني وقيسا كالمسمن كلبه فخدشه انيابه واظافره

وانشد ابن الاعرابي لبعضهم

٢٢٤

هم سمنوا كلبا ليأكل بعضهم ولو ظفروا بالحزم ما سمن الكلب

المثل

وفي المثل سمن كلبك يأكلك وكان رجل من
اهل الشام مع الحجاج بن يوسف كان يحضر طعامه
فكتب الى اهله يخبرهم بما هو فيه من الخصب
وانه قد سمن فكتبت اليه امرأته

يمكن انشاده

أتهدي لي القرطاس والخبز حاجتي وانت على باب الامير بطين

اذا غبت لم تذكر صديقا وان تقم فانت على ما في يديك ضنين

فانت ككلب السوء في جوع اهله فيهزل اهل البيت وهو سمين

المثل

وفي المثل سمن كلب في جوع اهله ونعم كلب
في بؤس اهله وذلك عند السواف يصيب

اوصاف الكلب

المال والاخلاج يعرض للتوق وعلى انه حارس
محروس منه ومونس شديد الإيحاش من نفسه
وأليف كثير الجناية على الفه وانما قبلوه حين
قبلوه على ان يؤذنهم بموضع السارق وتركوا

٢٢٥

اطراده ليبنيهم على مكان المبيت وهو اسرق
من كل سارق وادوم جناية من ذلك المبيت
ويدلك على انه سروق عندهم قول شاعرهم

أفي أن سرى كلب فبيت جلة وجبة للوطب ليلى تطلق

فهو سراق وصاحب بيات وهو نباش واكال
للحوم الناس الا انه يجمع سرقة الليل مع سرقة
النهار ثم لا تجده ابدا يمشي في خزانة ومطبخ
او عرصة دار او في طريق او في برار يمشي
او على ظهر جبل او في بطن واد الا خطمه
ابدا في الارض يتشمم ويستروح وان
كانت الارض بيضاء حصاء ودوية ملساء
او صخرة خلفاء حرصا وجشعا وشرها وطمعا
نعم حتى لا تجده ابدا يرى كلبا الا اشتم استه

غريبة

ولا يشتم غيره مما منه ولا تراه يرمى بحجرٍ أبداً إلّا
رجع إليه فعضّ عليه لأنّه لمّا كان لا يكاد يرى كلّ
الأسباب ترموا به إليه صار يشتهي لفرط شرهه
وغلبة الجشع على طبعه أنّ الرامي إنما أراد
عقره أو قتله فيظنّ لذلك أنه إنما أراد إطعامه
والإحسان إليه كذلك يخيّل إليه فرط النهم
وتوهمه غلبة الشره ولكنه لما رمى بنفسه
عجزاً ولؤماً ونذالة ونقصاً وخاف السباع
واستوحش من الصحاري ۞ وسمعوا بعض
المفسرين يقول في قوله جلّ ذكره وفي أموالهم
حقٌّ معلوم للسائل والمحروم أنّ المحروم
هو الكلب ۞ وسمعوا في المثل أمنع من المعروف
ولو إلى كلبٍ فلذلك عطفوا عليه واتخذوه
في الدور وعلى أنّ ذلك لا يكون إلّا من
سفلتهم وأغبيائهم وممن قلّ تعززه وكثر
جهله ورد الآثار إما جهلاً وإما معاندة
فأما الديك فمن بهائم الطير وبغاثها

تفسير المحروم

المثل

اوصاف الديك

٢٢٦

اوصاف الطيور

ومن كلولها والعيال على أربابها وليس من
أحرارها وكواسبها ولا من عتاقها وجوارحها
ولا مما يطرب لصوته ويشجي بلحنه كالقماري
والدباسي والشفانين والوراشين والبلابل
والفواخت ولا مما يونق منظره ويمتع الأبصار
حسنه كالطواويس والتدارج ولا مما يعجب
بهدايته ويعقد الذمام بالفه ونزاعه وشدة
أنسه وحنينه وترديده بإرادته لك وتعطفه
عليه لحبه إياك كالحمام ولا هو من ذوات
الطيران منها فهو طائر لا يطير وبهيمة لا
تصيد ولا هو أيضاً مما يكون صيداً فيمتنع من
هذه الجهة ويراد لهذه اللذة والخفاش
أمرط وهو جيد الطيران والديك كاسٍ
وهو لا يطير وأيّ شيء أعجب من ذي ريش
أرضي ومن ذي جلود هوائي وأجمع الخلق
لخصال الخير الإنسان وليس الازدواج إلا
في الناس والطير فلو كان الديك من غير

٢٢٧

نسبة الديك بالخفاش

لا ازدواج في الديك

الطير ثم كان ممن لا يزاوج لقد كان قد منع هذه
الفضيلة وعدم هذه المشاكلة القريبة وحرم
هذا النسب الكريم والشيمة المحمودة فكيف
وهو لا يزاوج وهو من الطير الذي يبين الزواج
والالف وثبات العهد وطلب الذرء وحب
النسل والرجوع الى السكن والحنين الى
الوطن الا له وللانسان فكل شيء لا يزاوج
فانما دخله النقص وخسر هذه الفضيلة من
جهة واحدة وقد دخل الديك النقص في
جهتين ٥ ووصف ابو الاخزر الحماني الحمار
وعير العانة خاصة فانه امثل في باب
المعرفة من الاهلي فذكر كيف يضرب في
الاتن ووصف استنهامه عن طلب الولد وجهله
بموضع الذرء وان الولد لا يجيء منه على
طلب له ولكن النطفة البريئة من الاسقام
اذا وافقت الارحام البريئة من الاسقام حدث
النتاج على الخلقة وعلى ما سويت عليه

اوصاف الطير

٢٢٨

نتيجة

وصف الحمار

البنية وذكر وان نزوه على الاتان من شكل
نزوه على العير وانما ذلك على قدر ما
يحضره من الشبق ثم لا يلتفت الى دبر من
قبل ولا الى ما يلقح من مثله مما لا يلقح فقال
لا مبتغي الضنء ولا بالعازل
يقول هو لا يريد الولد ولا يعزل ٥ والاشياء
التي تالف الناس لا تريد سواهم ولا تحن الى
غيرهم كالعصفور والخطاف والكلب والسنور
ثم الديك لا يالف منزله ولا ربعه ولا ينازع
الى دجاجته وطن وقته ولا يحن الى ولده
بل لم يدر قط ان له ولدا ولو دري لكان على
درايته دليل فاذ قد وجدناه لبيضه وفراريجه
الكابنة منه كما نجده لما لم يلد ولما ليس من
شكله ولا يرجع الى نسبه فكيف تعرف
الامور الا بهذا وشبهه وهو مع ذلك ابله لا
يعرف اهل داره ومبهوت لا يثبت وجه
صاحبه ولو لم يخلق الا عنده وفي ظله وفي

٢٢٩

وصف الديك

طعامه وسترا به وتحت جناحه ۞ والكلب على
ما فيه يعرف صاحبه فهو والسنور يعرفان
اسماءهما وبالفار مواضعهما وان طردا
رجعا وان اجيعا صبرا وان اهينا احتملا والديك
يكون في الدار من لدن كان فرخا صغيرا
الى ان صار ديكا كبيرا وهو ان خرج من باب
الدار او سقط على حائط الجار لم يعرف كيف
الرجوع وان كان يرى منزله قريبا وسهل
المطلب يسيرا ولا يذكر ولا يتذكر ولا يهتدي
ولا يتصور له كيف الاهتداء ولو جن لطلب
ولو احتاج لالتمس ولو كان هذا الخبر في طباعه
لظهر ولكنها طبيعة بلهاء مستبهمة وذاهلة
طامحة ثم يسفد الدجاجة ولا يعرفها هذا مع
شدة حاجته اليهن وحرصه على السفاد
والحاجة تفتق الحيلة وتدل على المعرفة الا
ما عليه الديك فانه مع حرصه على السفاد لا
يعرف التي سفد ولا يقصد الى ولده ولا يحضن

الحب والسنور بالفار

والديك خلافهما

٢٢٠

بيضة ولا تعطفه رحم فهو من بهائمنا احمق من
الحبارى واعق من الضب ۞ قال عثمن
ابن عفان رحمه الله كل شيء يحب
ولده حتى الحبارى يضرب بها المثل كما ترى
في الموق والغفلة وفي الجهل والبله وتقول
العرب اعق من ضب لانه ياكل حسوله
وحرم عند العرب حظ الهرة لقولهم ابر
من هرة واعق من ضب فوجهوا اكل
الهرة لاولادها على شدة الحب لها ووجهوا
اكل الضب لها على شدة البغض لها ۞
وليس ينجوا منه شيء منها الا لينشغله باكل
اخوته عنه وليس يحرسها مما ياكلها الا
لياكلها وكذلك قال العملس بن عقيل
لابنه عقيل بن علفة ۞

اكلت بنيك اكل الضب حتى ... وجدت مرارة الكلا الوبيل
فلو ان الالى كانوا شهودا ... منعت فناء بيتك من بجيل

وشبه السيد الحميري عائشة ام المؤمنين

٢٢١

مثل

مثل

تشبيه قبيح

في نصبها الحرب يوم الجمل لقتال بنيها بالهرة
حين تاكل اولادها فقال

جاءت مع الاشقين في هودج ٭ تزجي الى البصرة اجنادها
كانها في فعلها هرة ٭ تريد ان تاكل اولادها

مثل

وتقول العرب ايضا احمق من جهيزة قالوا
وهي عرس الذئب لانها تدع ولدها وترضع
ولد الضبع قالوا وهذا هو معنى قول ابن
جذل الطعان

٢٢٢

كمرضعة اولاد اخرى وضيعت ٭ بنيها ولم ترقع بذلك مرقعا

وقال آخر

كانوا كتاركة بنيها جانبا ٭ سفها وغيرهم تربّ وترضع

ويقولون ان الضبع اذا اصطيدت وقتلت فان
الذئب ياتي اولادها باللحم وانشدوا قول الكميت

كما خامرت في حضنها ام عامر ٭ لذي الحبل حتى غال اوس عيالها

واوس هو الذئب وقال الشاعر

في كل يوم من ذؤاله ٭ ضغث يزيد على اباله
فلاحشانك مشقصا ٭ اوسا اويس من الهباله

الاوس الذئب والاويس تصغيره

اويس

الأوس الاعطاء واويس هو الذئب وقال
الهذلي

ما فعل اليوم اويس في الغنم

٢٢٣

وقال امية بن ابي الصلت

وابو اليتامى كان يحسن اوسهم ٭ ويحوطهم في كل عام جامد

مثل

ويقولون احمق من نعامة كما يقولون اشرد من
نعامة قالوا ذلك لانها تدع الحضن على بيضها
ساعة الحاجة الى الطعم فان هي في خروجها
ذلك رات بيض نعامة اخرى قد خرجت
للطعم حضنت بيضها ونسيت بيض نفسها
ولعل تلك ان تصطاد فترجع الى بيضها
حتى تهلك قالوا ولذلك قال ابن هرمة

واني وتركي ندى الاكرمين ٭ وقدحي بكفي زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء ٭ وملبسة بيض اخرى جناحا

وقد تحضن الحمام على بيض الدجاج وتحضن
الدجاجة على بيض الطاووس فاما ان تدع
بيضه وتحضن بيض الدجاج او تدع الدجاجة
بيضها وتحضن بيض الطاووس فلا فاما

حكم ما خرج من البيضة اذا حضنها خلاف جنس

فروج الدجاجة اذا خرج من تحت الحمام فانه
يكون اكبش واقما ۞ واما الطاووس الذي
يخرج من تحت الدجاج فيكون اقل حسنا
وابغض صوتا ۞ وكذلك بيضه في الانصراف

تسمية فرخ الدجاج

الذي يموت فيها والذي يخرج منها يسمى فرخا
الا بيض الدجاج فانه يسمى فروجا ولا يسمى
فرخا ۞ الا ان الشعراء يجعلون الفروج

توسع الشعرا

فرخا على التوسع في الكلام ويجوزون في
الشعر اشياء لا يجوزونها في غير الشعر
قال الشاعر ۞

لعمري لاصوات المكاكي بالضحى وسود تداعى بالعشي نواعبه
احب الينا من فراخ دجاجة صغار ومن ديك تنوس غباغبه

وقال شماخ بن ضرار ۞

الا من مبلغ خاقان عني تامل حين يضربك الشتاء
فتجعل في حبالك من صغير ومن شيخ اضر به الفناء
فراخ دجاجة يتبعن ديكا يلذن به اذا احمس الوغاء

الاعتذار من ذكر الديك والكلب

وقلت فاي شيء يبلغ من قدر الكلب وفضيلة

الديك حتى يتفرغ لذكر محاسنهما ومساويهما
والموازنة بينهما والتنويه بذكرهما تشاغل
من عليه المتكلمين ومن جلة المتقدمين
وعلى انهما متى ابتدئا بهذا الحكم وافتضحا بهذه
الفضيحة صار لهذا التدبير بهما حظ وحكمة
وفضيلة وديانة وقلدهما كل من هو دونهما
وسيعود ذلك عذرا لهما اذا ابا هم يوازنون
بين الذبان وبنات وردان وبين الخنافس
والجعلان وبين جميع اجناس الهمج واصناف
الحشرات والاحناش حتى البعوض والفراش
والديدان والقردان ۞ وان جاز هذا في الراي
وتم عليه العمل صار هذا الضرب من النظر
عوضا من النظر في التوحيد وصار هذا الشكل
من التمييز خلفا من التعديل والتجوير وسقط
القول في الوعد والوعيد ونسي القياس في
الاسم والحكم وبطل الرد على اهل الملل والموازنة
بين جميع النحل والنظر في مراشد الناس

ومصالحهم وفي منافعهم ومرافقهم لأن قلوبهم
لا تتسع للجميع والسنتهم لا تنطق بالكل وانما
الرأي ان يبدأ من الفتق بالأعظم فالأعظم
والاخوف فالاخوف . وقلت وهذا باب من
ابواب الفراغ وشكل من اشكال النظر في
وطريق من طرق المراء وسبيل من سبل
المضاحيك ورجال الجد غير رجال الهزل
وقد يحسن الشيء بالشاب ويقبح مثله بالشيخ
ولولا التحصيل والموازنة والابقاء على الادب
والديانة بشدة المحاسبة لما قالوا لكل مقام مقال
ولكل زمان رجال ولكل ساقطة لاقطة
ولكل طعام آكل وقد زعم ناس ان كل
انسان فيه آلة لمرفق من المرافق واداة
لمنفعة من المنافع ولابد لتلك الطبيعة من
حركة وان ابطات ولابد لذلك الكامن من
ظهور فان امكنه ذلك بغتة والا تسرى كما
يتسرى السم ونمى كما ينمي العرق وكما ان

تتمة الاعتذار

ذكر الاستعداد

٢٢٦

البزور البرية والحبة الوحشية الكامنة
في ارحام الارضين لابد لها من الحركة
عند زمان الحركة ومن التفتق والانتشار
في ابان الانتشار واذا اصابتها الامطار
لتلك الارحام كالنطفة وصار بطن الارض
كالام الغاذية ولابد لكل ذي قوة من
ان تظهر قوته كما قال الاول لابد للمصدور
من النفث ولابد من الشكوى اذا لم يكن صبر
ولذلك صار طلب الحساب اخف على بعضهم
وطلب الطب احب الى بعضهم وكذلك
النزاع الى الهندسة وشغف بعض النفوس
بالنجوم ولذلك ايضا ما تحرك له عند
الكبرة وصرف رغبته اليه بعد الكهولة
على قدر قوة العرق في بدنه وعلى قدر
الشواغل له وما يعترض عليه فيجد واحدا
يلهج بطلب الغناء واللحون واخر يلهج بشهوة
القتال حتى يكتب مع الجند واخر يختار

٢٢٧

مضمون قوله تعالى كل ميسر لما خلق له

ان يكون خبازا او مرقا وآخر يطلب الملك
ونجد حرصهم على قدر العلل الباطنة المحركة
لهم ثم لا ندري كيف عرض لهذا هذا السبب
دون الآخر الا بجملة من القول ولا نجد المختار
لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم لم اختار
ذلك في جملة ولا تفسير اذ كان لم يجر منه على
عرق ولا اختاره على إرث وليس العجب
من رجل في طباعه سبب يميل بينه وبين
بعض الامور ويحركه في بعض الجهات ولكن
العجب ممن يموت على ان يكون مغنيا وهو لا
طبع له في معرفة الوزن وليس له جرم
حسن فيكون ان فاته ان يكون معلما ومغني
خاصة ان يكون مطربا مغني عامة وآخر قد
مات على ان يذكر بالجود وان يستحي على
الطعام وهو ابخل الخلق طبعا فتراه كلفا
باتخاذ الطيبات ومستهترا بالتكثير منه
ثم هو ابدا مفتضح وابدا منتقض الطباع

عجيبة

التكلف على خلاف طبعه

٢٢٨

ثالثة عشر

ظاهر الخطأ نسبي الجزع عند مواكلة من كان هو
الداعي له والمرسل اليه والعارف بمقدار اللقمة
وفيها يتواكله فان زعمتم ان كل احد من
هؤلاء انما هو ممتحن بأسباب وأسير في يدي
علة عذرتم جميع اللئام وجميع المقصرين
وجميع الفاسقين الضالين وان كان الامر
الى التمكين دون التسخير فليس من اعجب
العجب واستوى التقدير بالتمثيل بين الديكة
والكلاب قد فهمنا قولك وعرفنا مذهبك
فاما قولك وما بلغ من خطر الديك وقدر
الكلب فان هذا ونحوه كلام عبد لم يفهم عن
ربه ولم يعقل عن سيده الا بقدر فهم
العامة والطبقة التي تلي العامة كانك
فهمك الله تظن ان خلق العقرب والحية
والنمر في خلق الفراش والذبان والحكمة
في خلق الذباب والاسد وكل مبغض
اليك او محقر عندك او مستحير لك او واثب

الرجوع الى الديك والكلب

الحكمة في الخلق

٢٢٩

فيه لطيف حكم

عليك، ان التدبير فيه مختلف ناقص، وان
الحكمة فيه صغيرة او ممزوجة ۞ اعلم
ان المصلحة في امر ابتداء الدنيا الى
انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضار
بالنافع والمكروه بالمحبوب والضعة بالرفعة
والكثرة بالقلة ولو كان الشر صرفا لهلك
الخلق ولو كان الخير محضا سقطت المحنة
وتقطعت اسباب الفكرة ومع عدم الفكرة
يكون عدم الحكمة ومتى بطل التخيير وذهب
التمييز ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم
لم يكن علم ولم يعرف باب التبين ولا دفع
مضرة ولا اجتلاب منفعة ولا صبر على
مكروه ولا شكر على محبوب ولا تفاضل
في بيان ولا تنافس في درجة وبطلت
فرحة الظفر وعز الغلبة ولم يكن على ظهرها
محق يجد عز الحق ومبطل يجد ذلة الباطل
وموقن يجد برد اليقين وشاك يجد نقص

٢٤٠

المحنة وكذب النجوم ولم تكن للنفوس امال
ولم تتشعبها الاطماع ومن لم يعرف كيف الطمع
لم يعرف اليأس ومن جهل اليأس جهل الامن
وعادت الحال من الملائكة الذين هم صفوة الخلق
ومن الانس الذين فيهم الانبياء والاولياء الى
حال السبع والبهيمة والى حال الغباوة والبلادة
او الى حال النجوم في السخرة فانها انقص من
حال البهائم في الرتعة ومن هذا الذي يسره
ان يكون الشمس او القمر او الثلج او برجا من
البروج او قطعة من الغيم او يكون المجرة
بأسرها او مكيالا من الماء او مقدارا من الهواء
كل شيء في العالم انما هو للانسان ولكل
مختبر ومختار ولاصحاب العقول والاستطاعة
ولاهل التمييز والروية واين تقع لذة البهيمة
بالعلوفة والسبع من لطع الدم واكل اللحم
من سرور الظفر بالاعداء ومن انفتاح باب
العلم بعد ادمان القرع واين ذلك من سرور

٢٤١

السودد ومن عز الرياسة وأين ذلك من حال
النبوة والخلافة ومن عزهما وساطع نورهما وأين
نفع لذة درك الحواس الذي هو ملاقاة المطعم
والمشرب وملاقاة الصوت المطرب واللون
المونق والملمسة اللينة من السرور بنفاذ الأمر
والنهي وبجواز التوقيع وبما يوجب الخاتم من الطاعة
ويلزم من الحجة ولو استوت الأمور بطل التمييز
وإذا لم تكن كلفة لم تكن مثوبة ولو كان ذلك لبطلت
ثمرة التوكل على الله جل وعز واليقين بأنه
الوزر والحافظ والكالئ والدافع وأن الذي
يحاسبك أجود الأجودين وأرحم الراحمين
وأنه الذي يقبل اليسير ويهب الكثير ولا يهلك
عليه إلا هالك ولو كان الأمر على ما يشتهيه
الغرير والجاهل بعواقب الأمور لبطل النظر
وما يشحذ عليه ويدعو إليه ولتعطلت الأرواح
من معانيها والعقول من ثمراتها ولعدمت
الأشياء حقوقها وحظوظها فسبحان من جعل

منافعها هنيئة ومضارها ترجع إلى أعظم المنافع
وقسمها بين ملذ ومولم وبين مونس وموحش
ومن صغير حقير وجليل كبير ومن عدو
يرصدك وعقل يحرسك ومن مسالم يمتعك
ومن معين يعضدك وجعل في الجميع تمام المصلحة
وباجتماعهما تتم النعمة وفي نقصان واحد منهما
بطلان الجميع إنما هو واحد ضم إلى واحد وواحد
منهم إليهما ولأن الكل أبعاض ولأن كل جملة
فمن أجزاء فإذا جوزت دفع واحد والآخر مثله
في الوزن وله مثل علته وحظه ونصيبه فقد
جوزت دفع الجميع لأنه ليس الأول بأحق من
الثاني في الوقت الذي جوزت فيه إبطال
الأول وكذلك الثالث والرابع حتى تأتي
على الكل وتستفرغ الجميع وكذلك الأمور
المضمنة والأسباب المقيدة ألا ترى أن
الجبل ليس بأدل على الله عز وجل من الحصاة
وليس الطاووس المستحسن بأدل عليه من

انظر اهل العرفان في الالوان

الخنزير المستنقع والنار والثلج وإن اختلفا
في جهة البرودة والسخونة فإنهما لم يختلفا من
جهة البرهان والدلالة وأظنك ممن يرى أن
الطاووس أكرم على الله من الغراب وأن التدرج
أعز عليه من الحدأة وأن الغزال أحب إليه من
الذئب وإنما هذه أمور فرّقها الله في عيون الناس
وميّزها في طبائع العباد فجعل بعضها بهم أقرب
شبهاً وجعل بعضها إنسياً وبعضها وحشياً
وبعضها غاذياً وبعضها قاتلاً وكذلك الدرة
والخرزة والجمرة والتمرة فلا تذهب إلى ما تريك
العين واذهب إلى ما يريك العقل ۞ وللأمور
حكمان حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول
والعقل هو الحجة وقد علمنا أن خزنة النار
من الملائكة ليسوا بدون خزنة الجنة وأن ملك
الموت ليس بدون ملك السحاب وإن أتانا بالغيث
وجلب الحيا وجبريل الذي ينزل بالعذاب ليس
بدون ميكائيل الذي ينزل بالرحمة وإنما الاختلاف

القلب صح

٢٤٤

في المطيع والعاصي وفي طبقات ذلك ومواضعه
ولا اختلاف بين أصحابنا أنهم إذا استووا في المعاصي
استووا في العقاب وإذا استووا في الطاعة
استووا في الثواب وإذا استووا في عدم الطاعة
والمعصية استووا في التفضيل هذا هو أصل
المقالة والقطب الذي تدور عليه الرحى ۞
وقد قال الله جل ثناؤه والتين والزيتون فزعم
زيد بن أسلم أن التين دمشق والزيتون فلسطين
وللغالية في هذا تأويل أرغب بالعترة عنه
وقد أخرج الله الكلام مخرج القسم وما نعرف
دمشق إلا بدمشق ولا فلسطين إلا بفلسطين
فإن كنت إنما تقف من ذكر التين على مقدار
طعم يابسه ورطبه وعلى الاكتنان بورقه
وأغصانه والوقود بعيدانه وأنه صالح لصاحب
السل وهو غذاء قوي ويصلح في مواضع
من الدواء وفي الأضمدة وأنه ليس شيء
من الحلواء إلا وهو ضار للإنسان غيره وأنه

لب الاقوال

٢٤٥

نبذ من الطب

عند اهل الكتاب الشجرة التي منها اكل ادم
وبورقها ستر العورة عند نزول العقوبة
وان صاحب البواسير باكله ليزلق عنه
الثفل ولبستهل مخرج الزبل ومن الزيتون
على زيته والاصطباغ به وعلى التادم بهما
وعلى ما اشبه ذلك من امونيهما فقد اسات
ظنا بالقران وجهلت فضل التاويل ولبس
لهذا المقدار عظمهما الله واقسم بهما ونوه
بذكرهما ولو وقفت على جناح بعوضة وقوف
معتبر وتاملته تامل مفكر بعد ان تكون
ثاقب النظر سليم الالة غواصا على المعاني
لا يعتريك من الخواطر الا على حسب صحة
عقلك ولا من الشواغل الا ما زاد في نشاطك
لملات مما توجدك العبرة من غرايب الحكمة
الطوامير الطوال والجلود الواسعة الكبار
ولرايت ان له من كثرة التصرف في الاعاجيب
ومن تقلبه في طبقات الحكمة ولرايت له من

٢٤٦

الارشاد الى نظر الاعتبار

الغدد والربيع ومن الحلب والدر ولتجيش
عليك من كوامن المعاني ودفاينها ومن خفيات
الحكم وينابيع العلم ما لا يشتد معه تعجبك
ممن وقف على ما في الديك من الخصال العجيبة
وما في الكلب من الامور الغريبة ومن اصناف
المنافع وفنون المرافق ومع ما فيهما من المحن
الشداد ومع ما اودعهما من المعرفة التي
متى تجلت تصاغر عندك كثير مما تستعظم
وقل في عينك كثير مما تستكثر كانك
تظن ان شيا وان خس عندك في ثمنه او
منظره ان الحكمة التي في خلقه اتما من على
مقدار ثمنه ومنظره وقد قال الله جل ثناوه
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات
الله والكلمة في هذا الموضع ليس يريد بها
القول والكلام المولف من الحروف وانما
يريد النعم والاعاجيب والصفات وما اشبه

٢٤٧

عجايب الديك والكلب

تفسير الكلمة

ذلك فإن كل فن من هذه الفنون لو وقف
عليه رجل رفيق اللسان صافي الذهن صحيح
الفكر تام الأداة لما برح أن تحسره المعاني
وتغمره الحكم وقد قال المتكلمون والرؤساء
والجلة العظماء في التمثيل بين الملائكة
والمؤمنين وفي فرق ما بين الجن والإنس
وطباع الجن أبعد من طباع الإنس من طباع
الديك من الكلب وإنما ذهبوا إلى الطاعة
والمعصية ۞ ويخيل إلي أنك لو كنت سمعتهما
يمثلان بين التدرج والطاووس لما اشتد
تعجبك ونحن نرى أن التمثيل بين خصال
الذرة والحمامة والفيل والبعير والثعلب
والذئب أعجب وأعجب ولسنا نعني أن للذرة
ما للطاووس من حسن ذلك الريش وتلاوينه
وتعاريجه ولا أن له غناء الفرس في الحرب
والدفع عن الحريم ولكنا أردنا مواضع التدبير
العجيب من الخلق الخسيس والحس اللطيف

تحقيق انيق

٢٤٨

من الشيء السخيف والنظر في العواقب من
الخلق الخارج من حدود الإنس والجن
والملائكة لم نذهب إلى ضخم البدن وعظم
الجسم ولا إلى المنظر الحسن وإلى كثرة الثمن
وفي القرد أعاجيب وفي الذئب أعاجيب وليس
فيهما كبير مرفق إلا بقدر ما يكتسب به القراد
وإنما قصدنا إلى شيئين يتسع القول فيهما
ويكثر الاعتبار بما يستخرج العلماء من
خبء أمرهما ولو جمعنا بين الديك وبين بعض
ما ذكرت لانقطع القول قبل أن نبلغ حد
الموازنة والمقابلة ۞ وذكرت أن بعض ما
دعاك إلى الإنكار عليهما والتعجب منهما
سقوط قدر الكلب ونذالته وبله الديك
وغباوته فإن الكلب لا بهيمة تامة ولا سبع
تام ۞ وبلى لعمري إنه لسبع تام وما كان
ليخرجه من شيء من حدود الكلاب
إلى حدود الناس مقدار ما هو عليه من

٢٤٩

الانسان بهم وقد يكون في الشيء بعض الشبه من
شيء فلا يكون ذلك مخرجا لهما من احكامهما
وحدودهما قد تشبه الشعراء والبلغاء الانسان
بالقمر وبالشمس وبالغيث وبالبحر وبالاسد وبالسيف
وبالحية وبالنجم ولا يخرجونه بذلك الى هذه المعاني
ولا يخرجون هذه الاشياء بهذه المعاني الى حد
الانسان واذا ذموا قالوا هو الكلب والخنزير
وهو القرد وهو الحمار وهو الثور وهو التيس
وهو الذيب وهو العقرب وهو الجعل وهو القرنبى
ثم لا يدخلون هذه الاشياء في حدود الناس
وفي اسمايهم ولا يخرجون بذلك الانسان
الى هذه الحدود وهذه الاسماء وسموا
الجارية غزالا وخشفا ومهرة وفاختة وحمامة
وزهرة وقضيبا وخيزرانا على ذلك المعنى
وصنعوا مثل ذلك بالبروج والكواكب فذكروا
الاسد والثور والحمل والجدي والعقرب
والحوت وسموا بالقوس والسنبلة والميزان

قرنبى

وغير ذلك وقال ابن عسلة الشيباني
فصحوت والنمري يحسبها عم السماك وخالة النجم
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
نعمت العمة لكم النخلة خلقت من فضلة طينة
آدم وهذا كلام صحيح المعنى لا يعيبه الا من
لا يعرف مجاز الكلام وليس هذا مما يطرد لنا
ان نقيسه وانما نقدم على ما اقدموا وننتهي
الى حيث انتهوا ونراهم يسمون الرجل جملا
ولا يسمونه بعيرا ولا يسمون المراة ناقة ويسمون
الرجل ثورا ولا يسمون المراة بقرة ويسمون
الرجل حمارا ولا يسمون المراة اتانا ويسمون
المراة نعجة ولا يسمونها شاة وهم لا يجعلون
نعجة اسما مقطوعا ولا يجعلونه علامة مثل
زيد وبكر ويسمون المراة عنزا وما علمت
ان الانسان الذي له خلق الله السموات والارض
وما بينهما كما قال الله جل وعز وسخر لكم ما
في السموات وما في الارض جميعا منه انما

في جمعية الإنسان ولذا سموه العالم الصغير

سموه العالم الصغير تمثيل العالم الكبير حين
وجدوا فيه من جميع أشكال ما في العالم الكبير
ووجدوا آلة الحواس الخمس ووجدوا فيه
المحسوسات الخمسة ووجدوه يأكل اللحم
والحب ويجمع بين ما تقتاته البهيمة والسبع
ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد وغدر
الذئب وروغان الثعلب وجبن الصفرد وجمع
الذرة وصنعة السرفة وجود الديك وإلف
الكلب واهتداء الحمام وربما وجدوا فيه
من كل نوع من البهائم والسباع خلقتين
وثلثة ولا يبلغ أن يكون جملاً بأن يكون فيه
من الجمل اهتداؤه وغيرته وصولته وحقده
وصبره على حمل الثقيل ولا يلزمه شبه
الذئب بقدر ما يهيا فيه من مثل مكره وغدره
واستراحة وتوحشه وشدة فتكه كما
أن الرجل يصيب الرأي الغامض المرة
والمرتين والثلاث ولا يبلغ بذلك المقدار

وجه آخر للتسمية الإنسان

أن يقال له داهية وذو نكراء وصاحب
بزلاء كما يخطئ الرجل فيفحش خطاه في
المرة والمرتين والثلاث ولا يبلغ الأمر
به أن يقال غبي وأبله ومنقوص ۞ وسموه
العالم الصغير لأنهم وجدوه يصور كل
شيء بيده ويحكي كل صوت بفمه ۞
وقالوا ولأن أعضاءه مقسومة على البروج
الاثني عشر والنجوم السبعة وفيه الحمراء
وهي من نتاج النار وفيه السوداء وهي
من نتاج الأرض وفيه الدم وهو من نتاج الهواء
وفيه البلغم وهو من نتاج الماء وعلى طبائعه
الأربع وجدت الأوتار الأربعة فجعلوه
العالم الصغير إذ كان فيه من جميع أجزائه
وأخلاطه وطبائعه ألا ترى أن فيه طباع
الغضب والرضا وآلة اليقين والشك ۞
والاعتقاد والوقف وفيه طباع الفطنة
والغباوة والسلامة والمكر والنصيحة

والغش والوفاء والغدر والرياء والاخلاص
والحب والبغض والجد والهزل والبخل والجود
والاقتصاد والسرف والتواضع والكبر والانسة
والوحشة والفكر والاهمال والتمييز والخبط
والجبن والشجاعة والحزم والاضاعة والتبذير
والتقدير والادخار والتوكل والقناعة والتسخط
والصبر والجزع والذكر والنسيان والخوف
والرجاء والياس والطمع والتنزه والطبع
والشك واليقين والحياء والقحة والكتمان
والاشاعة والاقرار والانكار والعلم والجهل
والظلم والانصاف والطلب والهرب والحقد
وسرعة الرضا والحدة وبعد الغضب والسرور
والهم واللذة والالم والتامل والتمني
والاضرار والندم والجماح والبدوات
والعي والبلاغة والنطق والخرس والتصميم
والتكمين والتغافل والتفاطن والعفو
والمكافاة والاستطاعة والطبيعة وما لا

يحصى عدده ولا يعرف حده فالكلب سبع
وان كان بالناس آنسا ولا تخرجه الخصلة
والخصلتان مما قارب فيه بعض طبايع الناس
الى ان يخرج من الكلبية وكذلك الجميع
وقد عرفت شبه باطن الكلب بجوف الانسان
وشبه ظاهر القرد بظاهر الانسان ترى
ذلك في طرفه وتغميض عينه وفي ضحكه
وفي حكايته وفي كفه واصابعه وفي رفعها
ووضعها وكيف يتناول بها وكيف يجهز
اللقمة الى فيه وكيف يكسر الجوز ويستخرج
سره وكيف يلقن كل ما اخذ به واعيد
عليه وانه من جميع الحيوان اذا سقط في
الماء غرق مثل الانسان فان الانسان مع
اجتماع اسباب المعرفة فيه له يغرق الى ان
يكتسب معرفة السباحة وان كان طبعه
اوفى واكمل فانه من بابها انقص واكل
وكل شيء فهو يسبح من جميع الحيوان

الرجوع الى الضد الكلب

شبه القرد بالانسان

يجهز

٢٥٥ ٢٥٦

مما يوصف بالمعرفة والفطنة ومما يوصف
بالغباوة والبلادة وليس بصير الفرد بذلك
المضادة من المقاربة الى ان يخرج من بعض
حدود القرود الى حدود الانسان ه
وزعمت ان مما يمنع من التمثيل بين الكلب
وغيره انه حارس محترس منه فكل حارس
من الناس فهو حارس غير مأمون تبديله
ولقد سأل زياد ليلة من الليالي فقال
من على شرطكم فقالوا بلج بن نشبة الجشمي
فقال ه
وساع مع السلطان يسعى عليهم ومحترس من مثله وهو حارس
ويقال ان الشعر قال هذا الشعر في الفلافس
النهشلي حين ولي شرطة الحارث بن عبد
الله فقال ه
اقلي علي اللوم يا ابنة مالك وذمي زمانا ساد فيه الفلافس
وساع مع السلطان يسعى عليهم ومحترس من مثله وهو حارس
وليس يحكم لصغار المضادة على كبار المنافع

بل الحكم للعامر على المعمور وللقاهر على
المقهور ه ولو قد حكينا ما ذكر الشيخ من
خصال الكلب وذكر صاحبه من خصال
الديك أيقنت ان العجلة من عمل الشيطان
وان العجب بئس الصاحب ه وقلت وما يبلغ
من قدر الكلب ومن مقدار الديك حتى
يتفرغ لهما شيخان من جلة المعتزلة وهم
اشراف اهل الحكمة فأي شيء يبلغ غفر الله
لك من قدر جزء لا يتجزأ من رمل عالج
والجزء الأقل من اول قطع الذرة للمكان
والصفحة التي لا عمق لها وأي شيء يساوي
ذلك وما يبلغ من ثمنه وقدر حجمه حتى يتفرغ
للجدال فيه الشيوخ الجلة والكهول العلية
وحتى يختاروا النظر فيه على التسبيح والتهليل
وعلى قراءة القرآن وطول الانتصاب في
الصلاة وحتى يزعم اهله انه فوق الحج
والجهاد وفوق كل اثرة واجتهاد ه

توجيه ما قاله الشيخان من المعتزلة في الكلب والديك بالجدال في جزء الذي لا يتجزأ

تعبير غريب

فان زعمت ان ذلك كله سواء لطالت الخصومة معك
وشغلتنا بهما عما هو اولى بنا فيك على انك
اذا عممت ذلك كله بالنهي وجللته بالعيب صارت
المصيبة فيك اجل والعزاء عنها اعسر وان
زعمت ان ذلك انما جاز لانهم لم يذهبوا الى
اثمان الاعيان في الاسواق والى عظم الحجم
والى ما يروق العين ويملأ النفس وانما ذهبوا
الى عاقبة الامور فيه والى نتيجته وما يتولد عنه
من علم النهايات وعبرة النهايات ومن باب الكل
والبعض وكان ويكون ومن باب ما يحيط به
العلم وما يفضل عنه ومن فرق ما بين
مذاهب الدهرية ومذاهب الموحدين
فان كان هذا العذر مقبولا وهذا الحكم صحيحا
فكذلك نقول في الكلب لان الكلب ليس له
خطر ثمين ولا قدر في الصدور جليل لانه
ان كان كلب صيد فديته اربعون درهما وان
كان كلب ضرع فديته شاة وان كان كلب

٢٥٨

دار فديته زبيل من تراب حق على القائل
ان يؤديه وعلى صاحب الدار ان يقبله فهذا
مقدار ظاهر حاله ومفتشه وكوامن خصاله
ودفائن الحكمة فيه والبرهانات على عجيب
تدبير الرب سبحانه وتعالى فيه على خلاف
ذلك فلذلك استجازوا النظر في شأنه
والتمييز بينه وبين نظيره وتعلم ايضا
مع ذلك ان الكلب اذا كان معه مع خموله وسقوطه
من عجيب التدبير والنعمة السابغة والحكمة
النافعة ان الانسان الذي له خلق الله السموات
والارض وما بينهما احق بان يفكر فيه ويحمد
الله على ما اودعه من الحكمة العجيبة والنعمة
السابغة وقلت ولو كان ذلك النظر في
التوحيد وفي نفي التشبيه وفي الوعد والوعيد
وفي التعديل والتجوير وفي تصحيح الاخبار
والتفضيل بين عمل الطباع والاختيار لكان
اصوب فالعجب انك عمدت الى رجال لا

٢٥٩

صناعة لهم ولا تجارة إلا الدعاء إلى ما ذكرت
والاحتجاج لما وصفت وإلا وضع الكتب فيه
والولاية والعداوة فيه ولا لهم لذة ولا همة
ولا مذهب ولا مجاز إلا عليه وإليه فحين أرادوا
أن يقتسموا بين الجميع بالحصص ويعدلوا بين
الكل بإعطاء كل شيء نصيبه حتى يقع
التعديل شاملا والتقسيط جامعا ويظهر
بذلك الخفي من الحكم والمستور من التدبير
اعترضت في التعنت والتعجب وسطرت الكلام
وأطلت الخطب من غير أن يكون صوب رأيك
أديب أو شايعك حكيم ۞ وسأضرب لك مثلا
قد استوجبت أغلظ منه وتعرضت لأشد منه
ولكنا نستأني بك وننتظر أوبتك وجدنا الجميع
أهل النقص ولأهل كل صنف منهم نسكا يعتمدون
عليه في الجمال ويحتسبون به في الطاعة وطلب المثوبة
ويفزعون إليه على قدر فساد الطباع وضعف
الأصل واضطراب الفرع ومع خبث المنشأ

لكل صنف نسكا يعتمدون عليه
[illegible] ١٠٢

وقلة التثبت والتوقف ومع كثرة التقليد
والإقدام مع أول خاطر ۞ فنسك المريب
المرتاب من المتكلمين أن يتحلى برمي الناس
بالريبة ويتزين بإضافة ما يجد في نفسه
إلى خصمه خوفا من أن يكون قد فطن له فهو
يستر ذلك الداء برمي الناس به ۞ ونسك
الخارجي والذي يتحلى به ويتزين بجماله إظهار
استعظام المعاصي ثم لا يلتفت إلى مجاوزة
المقدار وإلى ظلم العباد ولا يقف على أن الله
لا يحب أن يظلم أظلم الظالمين وأن في الحق ما
وسع الجميع ۞ ونسك الخراساني أن يحج
وينام على قفاه ويعقد الرياسة ويتهيأ للشهادة
ويبسط لسانه بالحسبة وقد قالوا إذا نسك
الشريف تواضع وإذا نسك الوضيع تكبر
وتفسيره قريب واضح ۞ ونسك البنوي
والجندي طرح الديوان والزراية على السلطان
ونسك دهاقين السواد ترك شرب المطبوخ

ونسك الخصي لزوم طرسوس واظهار مجاهدة
الروم ۞ ونسك الرافضي ترك شرب النبيذ
ونسك البستاني ترك سرقة التمر ۞ ونسك
المغني الصلاة في الجماعة وكثرة التسبيح
والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ۞
ونسك اليهودي التشدد في اقامة السبت
والصوفي المظهر النسك من المسلمين اذا
كان فسلا يبغض العمل تصوف واظهر تحريم
المكاسب وعاد سايلا وجعل مسلته وسيلة
الى تعظيم الناس له ۞ واذا كان النصراني
نذلا فسلا مبغضا للعمل ترهب بلبس الصوف
لانه واثق بانه متى لبسه وتزيا بذلك الزي
وتحلى بذلك اللباس واظهر ذلك السيما
انه قد وجب على اهل اليسر والثروة منهم
ان يعولوه ويكفوه ثم لا يرضى بان يجي الكفاية
باطلا حتى استطال بالمرتبة ۞ فاذا نحى المتكلم
المريب اهل البراءة ظن انه قد حول ذنبه

الى خصمه وحول براءة خصمه اليه واذا صار
كل واحد من هذه الاصناف الى ما ذكرنا
فقد بلغ الامنية ووقف على النهاية فاحذر
ان تكون منهم واعلم انك قد اشبهتهم في هذا
الوجه وصار عيبهم في هذا المذهب ۞

باب مما قدمنا ذكره

وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق ۞

يقال اجرا من ليث واجبن من الصفرد
واسخى من لافظة واصبر على الهوان من
الكلب واحذر من عقعق وازهى من غراب
واصنع من سرفة واظلم من حية واعدى
من الذيب واخبث من ذيب خمر واشد عداوة
من عقرب واروغ من ثعلب واحمق من
حبارى واهدى من قطاة واكذب من
فاختة واصدق من قطاة والام من كلب
على جيفة واجمع من ذرة واضل من
حمار اهله واعق من ضب وابر من هرة

وأنفر من ظليم وأضل من ضب وأشرد من
ورل وأضل من حية فيعبرون عن
هذه الأشياء بعبارة كالعبارة عن الناس
في مواضع الإحسان والإساءة حتى كأنهم
من الملومين والمشكورين ثم يعبرون في
هذا الباب الآخر بدون هذا التعبير ويجعلون
خبرهم مقصورا على ما في الخلقة من الغريزة
والقوى فيقولون أبصر من عقاب وأسمع
من فرس وأطول ذماء من ضب وأصح
من الظليم والثاني يشبه العبارة عن
الحمد والذم والأول يشبه العبارة عن اللائمة
والشكر وإنما قلنا ذلك لأن كل مشكور
محمود وليس كل محمود مشكورا وكل
ملوم مذموم وليس كل مذموم ملوما
فقد يحمدون البلدة ويذمون أخرى وكذلك
الطعام والشراب وليس ذلك على جهة
اللوم ولا على جهة الشكر لأن الأجر لا يقع

إلا على التخيير والتكلف ولا على ما لا ينال
إلا بالاستطاعة والأول إنما ينال بالخلقة
وبمقدار من المعرفة لا يبلغ أن يسمى عقلا
كما أنه ليس كل قوة تسمى استطاعة

بسم الله الرحمن الرحيم

باب ما ذكر

صاحب الديك

باب ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب

من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايبها ومثالبها
من لؤمها وجبنها وضعفها وشرهها وغدرها
وبذائها وجهلها وتسرعها ونتنها وقذرها
وما جاء في الأثر من النهي عن اتخاذها وإمساكها
ومن الأمر بقتلها وطردها ومن كثرة
جناياتها وقلة ردها وضرب المثل بلؤمها
ونذالتها وقبحها وقبح معاظلتها وعن سماجة
نباحها وكثرة أذاها وتقذر المسلمين من
دنوها وأنها تأكل لحوم الناس وأنها كالخلق
المركب والحيوان الملفق وكالبغل في الدواب

وكالراعي في الحمام وأنها لا سبع ولا بهيمة
ولا إنسية ولا جنية وأنها من الجن دون
الجن وأنها مطايا الجن ونوع من المسخ
وأنها تنبش القبور وتأكل الموتى وأنها بعض
الكلب من أكل لحوم الناس فإذا حكينا
ذلك ذكرنا قول من عدد محاسنها وصنف
مناقبها وأخذنا في ذكر أسمائها وأنسابها
وأعراقها وتفدية الرجال لها واستهتارهم
بها وذكر كسبها وحراستها ووفائها
وإلفها وجميع منافعها والمرافق التي فيها وما
أودعت من المعرفة الصحيحة والفطن العجيبة
والحس اللطيف والأدب المحمود وذلك
سوى صدق الاسترواح وجودة الشم وذكر
حفظها وإتقانها واهتدائها وإثباتها الصور
أربابها وجيرانها وكبرها ومعرفتها بحقوق
الكرام وإهانة اللئام وذكر صبرها على الجفاء
واحتمالها للجوع وذكر طول ذمائها وشدة

منتها ومعاقد الذمار منها وذكر يقظتها
وكثرة غفلتها وبعد أصواتها وكثرة نسلها
وسرعة قبولها وإلقاحها وتصرفها في أرحامها
على ذلك مع اختلاف طبائع ذكورتها والذكورة
من غير جنسها وكثرة أعمامها وأخوالها
وتردد دمائها في أصناف السباع وسلامتها
من أعراق البهائم وذكر لقنها وحكايتها
وجودة ثقافتها وفهمها وخدمتها وجدها
ولعبها وجميع أمورها بالأشعار المشهورة
والأحاديث المأثورة والكتب المنزلة والأمثال
السائرة وعن تجربة الناس لها وفراستهم
فيها وما عاينوا منها وكيف قول أصحاب
الفأل فيها وأخبار المتطيرين عنها وعن
أسنانها ومنتهى أعمارها وعدد جرائها
ومدة حملها وعن أسمائها وألقابها وسماتها
وشياتها وعن أدوائها وأدويتها وسياستها
والتي لا تلقن منها وعن أعراقها والخارجي

صاحب الديك

منها وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها ۝
ذكر صاحب الديك بعض ما يحفظ من أكل
الكلاب للحوم الناس فقال قال الجاز ود بن

٢٦٨

ابي سبرة ۝
ألم تر أن الله زين بحوله وقوته أخزى ابن عمرة مالكا
فمن كان عنه بالمغيب سائلا فقد صار في أرض الرصافة هالكا
تظل الكلاب العاويات ينبشنه إذا اجتبن مسودا من الليل حالكا
وقال نفيع بن صفار المحاربي في حرب
قيس وتغلب ۝
أفنت بني جشم بن بكر حربنا حتى تعادل مثل تغلب فاستوى
أكل الكلاب أنوفهم وخصاهم فلتبك تغلب للأنوف وللخصى
وقال الخريمي وهو إسحق بن حسان بن
قوهي في قتلى حرب بغداد ۝
وهل رأيت الفتيان في باحة المعترك معفورة مناخرها
كل فتى مانع حقيقته تشقى به في الوغى مساعرها
باتت عليه الكلاب تنهشه مخضوبة من دم أظافرها
وقال أبو الشمقمق وهو مروان بن محمد مولى

مروان بن محمد ويكنى أبا محمد ۝

٢٦٩

يوسف الشاعر فرخ وجدوه بالأبلة
حلقي بلقي كامن في جوف حله
خيطوها خشية الكلب عليه بمسله
وذكر عن أبي بكر الهذلي قال كنا عند
الحسن إذ أقبل وكيع بن أبي سود فجلس
فقال يا أبا سعيد ما تقول في دم البراغيث
يصيب الثوب أيصلى فيه فقال الحسن
يا عجبا ممن يلغ في دماء المسلمين كأنه كلب
ثم يسأل عن دم البراغيث فقام وكيع
فجعل يتخلج في مشيته كتخلج المجنون فقال
الحسن لله في كل عضو منه سلامة اللهم

دعا

لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك

صاحب الديك

وقال صاحب الديك أشياء من الحيوان
يضاف إلى نتن الجلود وخبث الرائحة كريح
أبدان الحيات وكنتن التيوس وصنان عرقها
وكنتن جلد الكلب إذا أصابه مطر وضروب

من الشر في سوى ذلك نحن ذاكروها إن شاء الله
قال روح بن زنباع في امرأته وضرب بالكلب
في ذلك مثلاً فقال

ريح الكرائم معروف له أرج وريحها ريح كلب مسه مطر

قال وكانت امرأة روح بن زنباع أم جعفر
بنت النعمان بن بشير وكان عبد الملك زوجه
إياها وقال إنها جارية حسناء فاصبر على
بذاء لسانها وقال الآخر

وريح محروث وريح جلة وريح كلب في غداة طلة

وأنشد أبو زيد في ذلك

كأن ريحهم من خبث طعمتهم ريح الكلاب إذا ما بلها المطر

ومما ذكر به الكلب في أكله العذرة قول
الراجز

أحرص من كلب على عقي صبي

وقال في مثل ذلك حنظلة بن عرادة في
ذكره لابنة السرندى

ما للسرندى أطال الله أيمته خلى أباه بغبر البيد وادلجا
مجع خبيث يعاطي الكلب طعمته وإن رأى غفلة من جاره ولجا
دبيته وهو مثل القرنج أطعمه والكلب يلحس من تحت استه الردجا

يقال للذي يخرج من بطن الصبي حين يخرج
من بطن أمه عقي بكسر العين ويقال عقى
الصبي يعقي عقياً فإذا اشتد بطنه ليسمن
قيل قد صرب ليسمن والعقي هو العقية
وأباه عنى ابن عمر حين قيل له ألا تبايع
أخاك عبد الله بن الزبير فقال إن أخي وضع
يده في عقية إني لا أنزع يدي من جماعة
وأضعها في فرقة قال وفي الحديث
المرفوع الراجع في هبته كالراجع في قيئه
ومن المثل للكلب ويقال أبخل من كلب
على جيفة وقال بعضهم الكلب والجيفة
أعجب إليه من اللحم الغريض ويأكل
العذرة ويرجع في قيئه ويشغر ببوله
في جوف أنفه ويستدده تلقاء خيشومه
قال صاحب الكلب إن كنتم إنما تستسقطون
الكلب وتستسفلونه بهذا وأشباهه فالجيفة

قول صاحب الكلب

أنتن من العذرة والعذرة شرٌ من الفيء
والجيفة أحبّ إلى أشراف السباع ورؤسائها
من اللحم الغض الغريض والأسد سيد السباع
وهو يأكل الجيفة ولا يعرض لشرائع الوحش
وافتراس البهائم ولا للسابلة من الناس ما وجد
في فريسته فضلة ويبدأ بعد شرب الدم
فيبقر البطن ويأكل ما فيه من العتيقة
والثفل والحشوة بالزبل وهو يرجع في
قيئه وعنه ورث ذلك السنور وهو
المضروب به المثل في النجدة والبسالة
وفي شدة الإقدام والصولة ويقال ما هو
إلا الأسد على براثنه ولهو أشد من الأسد
ولهو أجرأ من الليث العادي وفلان أسد
البلاد وهو الأسد الأسود وقيل لحمزة
ابن عبد المطلب رحمة الله عليه أسد الله
وكفاك من نبل الأسد أنه اشتق لحمزة
ابن عبد المطلب من اسمه ويقال للملك أصيد

إذا أرادوا أن يصفوه بالكبر وبقلة الالتفات
وبأن أنفه أسلوب واحد قال حاتم الطائي
... إذا مطرت شما وكم بها ... ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد
وقال الآخر
بدودون كلبًا بالنماح وطيئًا ... وتغلب والصيد النواظر من بكر
وقال الآخر
وكم لي بها من أخ أصيد ... نماه إلى المجد أب أصيد
وبعد فإن الذي يأكل الجيفة لم يبعد من
طبائع كثير من الناس لأن من الناس من
يشتهي اللحم الغاب ويؤثره ويشتهي المكسود
ولبس بين مسلوخ المكسود وبين المصلوب
اليابس كبير فرق وإنما يذبحون الدبكة
والبط والدجاج والدراج من أول الليل
ليسترخي لحمها وذلك أول التجييف
فالأسد أجمع لهذه الخصال من الكلب
فهلا ذكرتم بذلك الأسد فهو أنبه صوتًا
وأبعد ذكرًا وأما ما ذكرتم من نتن

الجلد ومن استنشاق البول فان للتيس في
ذلك ما ليس للكلب وقد شاركه في الحذف
يبول ليتلقاه انفه وبابنه في شدة الصنان
وان الامثال به اكثر ذكرا وفي العنز ايضا
عيوب وفي توجيه التيس ببوله الى حاق
خيشومه يقول الشاعر لبعض من يهجوه

ذهبت بزبد كي تزيد فلم تزد فعاد لك المسمى فأسماك بالقحر
وما القحر الا التيس يعتك بوله عليه ويمذي في اللبان وفي النحر

٢٧٤ وقال اخر في مثل ذلك

اعثمن بن حيان بن لؤم عتود في مغارفه يبول
ولو اني اشاء فدان فانت نعامته ونعمهم ما اقول

وبعد فما نعلم صنيع العنز في لبنها وفي
الارتضاع من خلفها الا اقبح وقال ابن
احمر

انا وجدنا بني سهم وجاملهم كالعنز تعطف روقيها وترتضع

وقلتم وهجا ابن عادية السلمي بعض الكرام
حين عزل عن ينبع فقال لمن ظن انه
عزل لمكانه

تركبوك مرتجلا فظهرك منهم دبر الحراقف والعفاف موقع
كالكلب ينبع خانقيه وينتحي نحو الذين بهم يعز ويمنع

٢٧٥ فقد قال ابن هرمة

فما عادت لذي يمن رؤوسا ولا ضربت بفرقتها نزارا
كعنز السوء تنطح من خلاها وترأم من يحد لها الشفارا

وما نعلم الرجوع في الجرة واعادة الفرث
الى الفم ليستقصي مضغه الا اسمج واقذر
من الرجوع في القيء وقد اختار الله جل
وعز تلك الطبيعة للانعام وجعل الناس
ليس لشيء من اللحمان اشد اكلا ولا بها
اشد عجبا ولا اصلح لابدانهم ولا اغذى لهم
من لحوم هذه الانعام افنائها ومسانها
وقال صاحب الديك ما يشبه عود الماشية
في الجرة ورجوعها في الفرث نطحه
وتشبعه من الرجوع في القيء وحتى
زعمتم ان جرة البعير انتن من قيء الكلب

قول صاحب الديك

مع طول غبوبه في الجوف وانقلابه الى طباع
الزبل وانهما انتن من السلح وانما مثل
الجرة مثل الريق الذي ذكره ابن احمر
فقال
هذا الثناء وأجدر أن أصاحبه وقد يدوم ريق الطامع الأمل
وانما مثل القيء مثل العذرة لأن الريق
الذي ما دام في فم صاحبه ألذ من السلوى
وأمتع من النسيم وأحسن موقعا من الماء
البارد من العطشان المشهوم والريق كذلك
ما لم يزايل موضعه ومتى زايل فم صاحبه
الى بعض جلده اشتد نتنه وعاد في سبيل
القيء فالريق والجرة في سبيل واحد
كما ان القيء والعذرة في سبيل واحد
ولو ان الكلب قلس حتى يمتلئ منه فمه
ثم رجع فيه من غير مباينة له لكان في ذلك
احق بالنظافة من الانعام في جرتها وحشيها
وأهليها وان الارنب لتحيض حيضا بينا فما

الأرنب تحيض

٢٧٦

خامسة عشر اول

عاف لحمها أصحاب التعزز لمشاركتها الأنعام
في الجرة قال صاحب الكلب أما ما عبتموه
به من أكل العذرة فان ذلك عام في الماشية
المتخير لحمها على اللحمان لأن الابل والشاء
كلها جلالة وهي من الجلة فهي على بابين
ما يخرج من الناس أحرص وعلى أنها اذا تعودت
أكل ما قد يبس ظاهره وداخله رطب رجع
أمرها الى ما عليه الكلب ثم الدجاج لا
ترضى بالعذرة وبما فيها من الحبوب التي
لم يأت عليها الاستمراء والهضم حتى تلتمس
الديدان التي فيها فتجمع نوعين من القذر
لأنها اذا أكلت ديدان العذرة فقد أتت على
النوعين جميعا ولذلك قال عبد الرحمن
ابن الحكم في هجائه الانصار تحت الطعام
فضرب المثل بالدجاج من بين جميع الحيوان
وترك ذكر الكلاب وهي له معرضة فقال
وللأنصار أكل في قراها لخبث الاطعمات من الدجاج

قول صاحب الكلب

٢٧٧

ولو قال من الكلاب لكان الشعر صحيحا مرضيا
وعلى أن الكلاب متى أشبعت لم تعرض للعذرة
والأنعام الجلالة وكذلك الحافر قد جعلت
ذلك كالحمض إذا كان لها خلة فهي مرة
تتغذى به ومرة تتحمض به وقد جاء في
لحوم الجلالة ما قد جاء وملوكنا
وأهل العيش منا لا يرغبون في شيء
من الحملان رغبتهم في الدجاج وهم يقدمونها
على البط والنواهض والدراج والقبج
نعم وعلى الجداء والحمر العتق من بنات
الصفايا وهم يعرفون طبعها وسوء قوتها
وهم مع ذلك يأكلون الدواجن كما يأكلون
المسمنات وأطيب ما في الأنهار من السمك
وأحسنها قدودا وخرطا وأسبطها سباطة
وأرفعها ثمنا وأكثرها ما تصرفا في المالح
والطري وفي القريص والنشوط الشبوط
وليس في الماء سمكة رفيعة الذكر ولا

الشبوط أطيب السمك
الشبوط [illegible] عريض الوسط لين اللمس صغير الرأس

٢٧٨

٢٧٩

ذات حمول إلا وهي أحرص على العذرة
منها وأنها في ذلك لأشد طلبا لها من
الخنزير في البر والجري في البحر وقد
علم الناس كيف استطابة أكل لحوم الخنازير
لها وكيف كانت الأكاسرة والقياصرة يقدمونها
ويفضلونها ولولا التعبد لجرى عندنا مجراه
عند غيرنا وقد علم الناس كيف استطابة
أكل الجري لأذنابها مجتنبا قال
أبو كلدة هو أدم العميان وجيد في الكوشان
ودواء للكليتين وصالح لوجع الظهر وعجب
الذنب وخلاف على اليهود وغيظ على الروافض
وفي أكله إحياء لبعض السنن وإماتة
بعض البدع ولم يفلج عنه مكثر منه قط
وهو محنة بين المبتدع والسني يملك فيه
فتيان مذ كانت الدنيا محرم ومحلل
وقال أبو اسحق هو قبيح المنظر عاري
الجلد ناقص الدماغ يلتهم العذرة ويأكل

منافع الجري
[illegible]

الجرذان صحاحا والفار وبنيم لا يستطاع
اكله الا محسيا ولا يتصرف تصرف السمك
وقد وقع عليه اسم المسخ لا يطيب مالحا ولا
ممقورا ولا يؤكل كبابا ولا يختار مطبوخا
ويرمى بكلمة الاذنبية والاصناف التي
تعرض للعذرة كثيرة وقد ذكرنا الجلالات
من الانعام والجري والشبوط من السمك
ويعرض له من الطير الدجاج والرخم
والهداهد وقد بلغ من شهرة الرخمة
بذلك واسمها الانوق حتى سموا كل
شيء من الحيوان يعرض للعذرة بالانوق
وهو قول الشاعر

حتى اذا اضحى تدرى واكتحل ... لجارتيه ثم ولى فنثل
رزق الانوقين القرنبى والجعل

ولشدة طلب الجعل لذلك قال الشاعر

يبيت في مجلس الاقوام يربؤهم ... كانه شرطي بات في حرس

وكذلك قال الاخر

بات يعشّي وحده ألفى جعل ... وهذا البيت
يدلك على عظم مقدار النجو وهجاه بذلك
وعلى ان الجعل بنات البراز وفي
مثل ذلك يقول عبيدة ان كان قاله وانما
قلت هذا لان الشعر يرتفع عنه والشعر
قوله

نعم جار الخنزيرة المرضع الغرثى اذا ما غدا ابو كلثوم
طاويا قد اصاب عند صديق من ثريد ملبّق مادوم
ثم انجى بجعره حاجب الشمس فالقى كالمعلف المهدوم
بضريط ترى الخنازير منه عابدات لبيته المركوم

وقال الراجز في مثل ذلك

فدققته تابدة وصومعا ... تمت ابان البخاتي جعجعا
جعجعة العود ابتغى ان يبخعا ... ثمت خوى بازكا واسترجعا
عن جائم يحسب كبشا ابقعا

وفي طلب الجعل للزبل قال ابو الغصن
الاسدي

ماذا اتلا في طلحات الحرجة ... من كل ذات بخنق غملجة

ظلّ لها بين الجبال أرجة • من الضراط والفسا السمهجة •
فجبهتها قاعدة منفتجة • تغطيه عنها جعلا مدحرجة •
وقال يحيى الأغرّ نعوك العرب شدك به
جعله وقال الشاعر •

مثل

إذا أتيت سليمى شبّ لي جعل إن الشقي الذي يغرى به الجعل
يضرب هذا المثل للرجل إذا التزق به من يكرهه
إذا كان لا يزال يراه وهو يهرب منه • قال يحيى
وكان أصله ملازمة الجعل لمن بات في الصحراء
فكلما قام لحاجة يتبعه لأنه عنده يريد الغايط •

٢٨٢

وفي القرنبى يقول ابن مقبل •
ولا أطرق الجارات بالليل قابعا قبوع القرنبى أخلفته مجاعره •

تفسير القرنبى

والقبوع الاجتماع والتقبض والقرنبى دويبة
فوق الخنفساء دون الجعل وهو والجعل
يتبعان الرجل إلى الغايط • ومن الطير الذي

في نتن الهدهد

يعارض الرخمة في ذلك الهدهد إلا أن الهدهد
منتن البدن وإن لم تجده ملطخا بشيء من
القذر لأنه يبني بيته ويصنع أفحوصة من

الزبل وليس افتتانه منه على قدر رغبته وحاجته
في أن لا يتخذ بيتا ولا أفحوصة إلا منه فخامره ذلك
النتن فأعلق بدنه وجرى على أعراقه أبو زياد
كان هذا الصنيع عاما في جنسه • وتعتري

في كراهة حال الذباب

هذه الشهوة الذبان حتى لو أن هاهنا عسلا وقذرا

٢٨٣

لكانت إلى القذر أسرع • وقال الشاعر •
فما خلق وجه قد أطيل كآبة فما مالك تقضي الهموم على نبق
وأعظم زهوا من ذباب على خرء وأبخل من كلب عقور على عرق
ويزعمون أن الزنبور لهج بصيد الذباب ولا
يكاد يصيده إلا وهو واقع على عذرة لفرط
شهوته لها ولاستفراغها له فيعرف الزنبور
ذلك فيجعل غفلته فرصة ونهزة • قالوا
وإنما قلنا ذلك لأنا لم نجده يروم صيده وهو
ساقط على ثمرة فما دونها في الحلاوة •
وقال أبو الشمقمق يذكر بعض ذلك •

أصناف الهجو بأنواع العيوب

الطريق الطريق جاكم الأحمق رأس الأنتان والقذرة •
وابن عم الحمار في صورة الفيل وخال الجاموس والبقرة •

يمشي رويدا يريد حلقتكم كمشي خنزيرة الى عذرة

وقال حماد عجرد في بشار الاعمى

ما صور الله شبيها به في كل من من خلقه صورا
اشبه بالخنزير وجها ولا بالكلب اعراقا ولا مكسرا
وما رأينا احدا مثله اخبث او اطفس او اقذرا
لو طليت جلدته عنبرا لنتنت جلدته العنبرا
او طليت مسكا ذكيا اذا تحول المسك عليه خرا

وقال ابو نواس في هجائه جعفر بن يحيى

اذا ما مدحت فتى من خيار البشر جزاني ان اعطي خرا

وقال اعرابي يهجوا رجلا يقال له جلمود ابن اوس بنتن العرق

اني اذا ما عارضني تألقا ° ورعدت حافته وبرقا
املكت جلمود بن اوس عرقا ° كان لحمقاء فصار احمقا
اخبث شيء عرقا وخرقا

٢٨٤

وقال حماد عجرد في بشار الاعمى

يا ابن برد واخسأ اليك فمثل الكلب انت لا الانسان
بل لعمري لانت شر من الكلب واولى منه بكل هوان
ولريح الخنزير احمد من ريحك يا ابن الطبان ذي التبان

وقال بعض الشعراء في ابن عمير

غزا ابن عمير غزوة تركت له ثناء كريح الجورب المتخرق

٢٨٥

وقال حماد عجرد في بشار

قل لشقي الجد في نفسه وامه الشلاقة الرجسه
للقرد بشار بن برد ولا تحفل برغم القرد او تعسه
للقرد بالكلب اغيرا رنبه ماذا الذي ادناك من حسه
يا ابن استها فاصبر على صنعة بنا بها باقرد او ضرسه
نهاره اخبث من ليله ويومه اخبث من امسه
وليس بالمقلع عن فعله حتى يدلى القرد في رمسه
ما خلق الله شبيها له من جنه طرا ولا انسه
والله ما الخنزير في نتنه من ربعه بالعشر او خمسه
بل ريحه اطيب من ريحه ومسه الين من مسه
ووجهه احسن من وجهه ونفسه افضل من نفسه
وعوده اكرم من عوده وجنسه اكرم من جنسه

وانا حفظك الله استطرف وضعه الخنزير بهذا المكان حتى يقول وعوده اكرم من

عوده وأي عود للخبز بن قبحه الله وقبح من
يشتهي أكله وقال حمادي في بنانه

إن ابن برد رأى رؤيا فقال بها بلا مشورة إنسان ولا أثر
رأى العمى نعمة سيسا بغة عليه إذ كان مكفوفا عن النظر
وقال لو لم أكن أعمى لكنت كما قد كان برد أبي في الضيق والعسر
أكد نفسي بالتطيين مجتهدا إما أجيرا وإما غير موتجر
أو كنت إن أنا لم أقنع بفعل أبي فقصاب شاشقي الجدا وبقر
كأخوتي دأبنا الشقي شقاؤهم في الحر والبرد والإدلاج والبكر
فقد كفاني العمى عن كل مكتسبة والرزق يأتي بأسباب من القدر
فصرت ذا نشب من غير ما طلب إلا بمسئلتي إذ كنت في صغري
أضم شيئا إلى شيء فأذخره مما أجمع من تمر ومن كسر
من كان يعرفني لو لم أكن زمنا أو كان يبذل لي شيئا سوى الحجر
فقل له لا هداه الله من رجل فإنه عرة تربي على العرر
لقد فطنت إلى شيء تعيش به يا ابن الخبيثة قد أدققت في النظر
يا ابن التي نشزت عن شيخ صبيتها إلا بريثوبان ذي الهامات والعجر
أما بكفك عن شتمي ومنقصتي ما في حر امك من نتن ومن دفر
نفتك عنها عقيبك وهي صادقة فسل أشياء أو سل عنها أبا زفر
يا عبد أم الظباء المستطب بها من اللتوى لست مولى العز من مضر
وأنت كالكلب ذلا أو أذلت وفي تذالك النقشير كالخنزير والبعر
وأنت كالقرد في تشويه منظره بل صورة القرد أبهى منك في الصور

ووصف ابن أبي كريمة جنانا له كان هو وأصحاب
له يتأذون بريحه فقال

ولي كنيف بحمد الله يطرفني أن تولج وادي خبال غير فار
له بدايع نتن ليس يعجزها من البرية إلا آخذ النار
إذا أتاني دخيل زادني بدعا كأنه لهج عمدا بإضراري
فقد اجتواني له الخلان كلهم وباع مسكنه من قربه جاري
فمن أراد من البرسام أقتله أو الصدام فمن يدخل داري
استكشف النتن في أنفي لكثرته فليس يوجد به غير إضراري

قال وقيل للمجلول ويلك ما حفظت بيت
شعر قط قال بلى قيل فهاته قال أما إني
ما أحفظ إلا بيتا واحدا قيل له وكيف رزق
هذا البيت منك قال اشتهيته قيل فأنشده

لا بارك له اختاره من بين الأشعار [illegible]

فأنشد ثم
كأنما نكهتها مدة تسيل من قرحة مجذوم

وزعم أصحابنا أن رجلاً من بني سعد وكان
أنتن الناس إبطاً بلغه أن ناساً من عبد القيس
يتحدثونه برجل منهم فمضى إليهم سنداً
فوافاهم وقد أزبد إبطاه وهو يقول

أقبلت من جلهة ناعتينا • بذي حطاط يعطس المخنونا
يروي له من نتنه الجبينا • حتى تنحى لوجهه غضونا
نبئت عبد القيس يابطونا

قال ومتح أعرابي على بئر وهو يقول

يا ريها إذا بل صناني • كأنني جاني عبيثران

وقال الآخر

كأن إبطي وقد طال المدى • نفحة جر من كوامخ القرى

ويقال إنه ليس في الأرض رائحة أنتن ولا
أشد على النفس من بخر فم أو نتن جرح ولا
في الأرض رائحة أعصم للروح من ريح
التفاح • وقال صاحب الكلب وما ترى

قول صاحب الكلب في منافع العذرة

الناس يعافون تسميد البقول قبل نجومها
وينفتق بذورها ولا بعد انتشار ورقها وظهور
موضع اللب منها ثم حتى تجمّ أذرت وأعليها
السماد ذرًّا ثم يرسل عليه الماء حتى يشرب
اللب قوى العذرة بل من لهم بالعذرة وعلى
أنهم ما يصيبونها إلا مغشوشة مفسدة

وكذلك صنيعهم في الريحان فأما النخل
فلو استطاعوا أن يطلوا بها الأجذاع طليًا
لفعلوا وإنهم ليوقدون بها الحمامات وأتاتين
الفلال وتنانير الخبز ومن أكرم سمائهم
الأبعار كلها والأخثاء إذا جفت وما بين
التلطخ جافة والخثى يابسًا وبين العذرة جافة
ويابسة فرق وعلى أنهم يعالجون بالعذرة
وبحرق الكلب من الذبحة والخانوق في أقصى
موضع النغنغ وهو أقصى الحلق وموضع
اللهاة ويضعونها على مواضع الشوكة
ويعالجون بها عيون الدواب وقال منبج

وخير البخور للكناس الخرء

الكناس إنما اشتق اسم الخبز من الخرء

تعبير المنام

والخرء في النوم خير وسلحة مدركة

الذ من نوم العروس ليلة العرس ولقد دخلت
على بعض الملوك لبعض الاسباب واذا به قعاص
وزكام ونفل زائد واذا ذلك قد طال له
وقد كان بلغني انه هجر الجلوس على المقعدة
واتيان الخلاء فامرته بالعودة الى عادته
فما مرت له ايام حتى ذهب ذلك عنه ٭
وزعم ان الدنيا منتنة الحيطان والتربة والانهار
والمياه ودية الا ان الناس قد غمرهم ذلك
النتن المحيط بهم وقد محق حسهم طول مكثه
في خياشيمهم فمن اراد ان يختبر فليتعقف
بالرد على ان يمتحن ذلك في اول ما يخرج
الى الدنيا عن بيت مطيب وليتنسم تنسم
المتشتت على ان البقاع تتفاوت في النتن
فهذا قول مشيخة الكناسين ٭ وزعم لي
سلمويه وابن ماسويه متطببا الخلفاء
انه ليس في الارض جيفة ابقى نتنا ولا اثقب
نتنا من جيفة بعير فظننت ان الذي وهمهما

زعم غريب لقوم لصاحب في الرائحة

مباحث في انتن الجيف

ذلك تعصبهما عليه وبغضهما لاربابه ولان
النبي صلى الله عليه وسلم هو المذكور
في الكتب براكب البعير ٭ ويقال ان الحجاج
قال لهم اي الجيف انتن فقيل جيف الكلاب
فامتحنت فقيل له انتن منها جيف السنانير
وانتن جيفها الذكور منها فصلب ابن الزبير
بين جيفتي سنورين ذكرين وانا اقول
في النتن والطيب شيئا لعلك ان تعتقده ان
توافقني عليه وترتضي قولي اما النتن فاني
لم اشم نتنا قط انتن من ريح حش مقتر
يبول فيه الخصيان ولا يصب فيه الماء فان
لابوالهم المترادفة المتراكبة ولريح القار
وريح هواء الحش وما ينفصل اليه من
ريح البالوعة جهة من النتن ومذهبا في
المكروه ليس بينه وبين الابدان عمل وانما
يقصد الى عين الروح وصميم القلب ولا
سيما اذا كان الخلاء غير مكشوف وكان

فائدة السوداوية بين الجيفين

شعور شامة المصنف وبلغ ذوقه في هذا الباب

الطيب الأطيب من العنبر الأشهب

مغموماً غير مفتوح ۞ وأمّا الطيب فإنّي لم أشمّ
رائحة قطّ أحيا للنفس ولا أعصم للروح ولا
أفتق ولا أغنج ولا أطيب خمرة من ريح مشطة
امرأة إذا أُحكمت تلك الأخلاط وكان عَرَق
بدنها ورأسها وشعرها سليماً وإن كانت
بعد بنت الرسول فإنك ستجد ريحاً تعلم أنّه
ليس فوقها إلّا رائحة الجنّة ۞ وممّا قالوا
في النتن وهو في ذكر الظربان خاصّة قول
الحكم بن عبدل في محمد بن حسّان ۞

ألقيتَ نفسك في عروض مشنّقة ... ولحصد أنفك بالمناجل أهون
أنت امرؤ في أرض أمّك فلفلٌ جمٌّ ... وفلفلنا هناك الدندن
فبحقّ أمّك وهي منك حقيقة ... بالبرّ واللطف الذي لا يخزن
لا تدنِ فاك من الأمير ونحّه ... حتى يداوي ما بأنفك أهرن
إن كان للظربان جحرٌ مُنتن ... فلجحر أنفك يا محمد أنتن

وقال الربيع بن أبي الحقيق وذكر الظربان
حين رمى قوماً بأنّهم يفسون في مجالسهم
وقد عرف أنّ الظربان أنتن خلق الله فسوة

سلاح الظربان فسوته كما أن سلاح الحبارى سلاحها

الظربان يقتل الضب بضربة فسوته

الظربان ذلك فقد جعله من أشدّ سلاحه
كما عرفت الحبارى ما في سلاحها من الآلة
إذا قرب الصقر منها والظربان يدخل على
الضبّ جحره وفيه حُسوله أو بيضه فيأتي
أضيق موضع في الجحر فيسدّه بذنبه
ويحوّل دبره إليه فلا يفسو ثلاث فسوات
حتى يدار بالضبّ فيخرّ سكران مغشيّاً عليه
فيأكله ثم يقيم في جحره حتى يأتي على
آخر حسوله ۞ وتقول الأعراب إنّه ربّما دخل
في خلال الهجمة فيفسو فلا تتمّ له ثلاث
فسوات حتى تتفرّق الإبل كما تتفرّق عن
المبرك تبركه وفيه قردان فلا يردّها
الراعي إلّا بالجهد الشديد وقال الربيع وهجاهم
أيضاً بني التوبين ۞

قليلٌ غناؤهم في الهياج ... إذا ما تنادوا لأمرٍ شديد
وأنتم كلابٌ لدى دوركم ... تهرّ هرير العقور الرصود
وأنتم ظرابيّ إذ تجلسون ... وما إن لنا فيكم من نديد

وأنتم تبوس وقد نعرفون بريح التبوس وقبح الخدود

ويقال أفشى من الظربان وتسمى مفرقة النعم يريدون من شدة نتن فسايه

مثل

قال ويقال في المثل اذا وقع الشر بين الرجلين فتباينا وتقاطعا فسا بينهما ظربان ويقال

مثل

أندس من ظربان لان الضب انما يخدع في جحره ويوغل شربه لشدة طلب الظربان

مثل

له وقال الفرزدق

ولو كنت في نار الجحيم لاصبحت ظرابي من حمان عني تثيرها

وكان ابو عبيدة يسمي الحماني صاحب الاصم الظربان يريد هذا المعنى كانه سمى كل حماني ظربانا وقال ابن عبدل

لا تدن فاك من الامير ونحه حتى يداوي ما بانفك امرن

مر قبل ورقة

ان كان للظربان جحر منتن فلجحر انفك يا محمد انتن

في شعره الذي يقول فيه

ليت الامير اطاعني فشفيته من كل من يكفي القصيد ويلحن

منكورة يحشو الكلام كانه باتت مناخره بذبن تعرن

٢٩٤

وبنى لهم سجنا فكنت اميره زمنا فاضرب من اشاء واسجن

قل لابن آكلة العفاص محمد قد كدت من حب التعزب تجتن

القيت نفسك في عروض مشقة ولحد انفك بالمناجل ابون

انت امرؤ في ارض امك فلفل جم وفلفلنا هناك الديدن

فيحق امك وهي منك حقيقة بالبر واللطف الذي لا يحزن

تكرر قبل هذا

لا تدن فاك من الامير ونحه حتى يداوي ما بانفك امرن

٢٩٥

ان كان للظربان جحر منتن فلجحر انفك يا محمد انتن

منسل الامير وانت غير موفق وبنوا به للفصاحة معدن

وسل ابن ذكوان تجده عالما بسليقة العرب التي لا تخزن

اذا انت تجعل كل يوم عفصة فتجيد ما عملت يداك وتحسن

أشبهت امك غير باب واحد أن قد خنيت وانها لا تخنن

فلئن اصبت دراهما فدفنتها وفتنت فيها وابن آدم يفتن

لبما اراك وانت غير مدثم اذ انت تقصف في القبار وتزفن

اذ دائس مالك لعبة بصرية تبصا معربة عليها السوسن

وقال ابن عبدل ايضا في ذلك

فقدت محمدا ودخان قبة كريح الجعر فوق عطين جلد

ذكيت اليه في رجل اتاني كريم يطلب المعروف عندي

فقلت له ولم أعجل عليه وذلك بعد تغير بظني وحمدي
فأعرض مكمحًا حتى كأني أكلم صخرة في رأس ضمد
أقرب كل ذي صمم ليدنو فما يزداد مني غير بعد
فأقسم غير مستثن يمينًا أبا بحر لتنحنح تردي
فلو كنت المهذب من تميم لخفت ملامتي ورجوت حمدي
نجوت مجددًا فوجدت منه كريح الكلب مات قريب عهد
وقد ألدغني ثعبان نتن سيبلغ إن سلمنا أهل نجد
وآذاني خطمه فوددت أني فقدت دنوه مني ببعد
كما افتقدت المعاذة من جواه بخلعها ولم ترجع برد
وفارقها جواه فاستراحت وكانت عنده كأسير قد
وقد أدنيت فاه إلى حتى قتلت بذاك نفسي غير عمد
وما يدنو إلى فيه ذباب ولو طليت مشافره بقند
يرين حلاوة ويخفن موتًا ذعافًا إن هممن له بورد
فلما فاح فوه علي فوحًا بمثل عنيته الدبر المغد
وقلت له تنح بفيك عني فما هذا بريح قتار ند
وما هذا بريح طلا ولكن بفوح خراك منه غير شرد
فحدثني فإن الصدق أدنى لباب الحق من كذب وجحد

أبات يجول في عفج طحون فأعلم أم أتاك به مغد
نكهت علي نكهة أخذ ري شتيم أعصل الأنياب ورد
فإن أهديت لي من فيك حتفي فإني كالذي أهديت مهد
لكم شر ذا بسر زمغيبات يكون فنونها من كل قند
أما تخزى خزيت له إذا ما أزمنا الناس من شيب ومرد
عليك بقيئة وبجعر كلب ومثلي ذاك من نون كنعد

تركيب غريب

وحلتيت وكراث وثوم وعودي حرمل ودماغ فهد
وحنجرة ابن آوى وابن عرس وقوز شعيرة من برز قند
وكف ذرارنج ولسان صقر ومثقالين من صوان زند
يدق فيعجن المنخول منه ببول آجن وبجعر قرد
وتدفنه زمانًا في شعير وتدفنه فلا تبدو البرد
فدخن فاك ما عتقت منه ولا تعجل بأظفار وسعد
فإن حضر الشتاء وأنت حي أراك الله غبك أمر رشد
فدحرجها بنادق فازدردها إذا رمت التكلم أي تردد
وتقذف بالمصل على مصك ببلعوم وشدق مصمغد
وويلك ما لبطنك مذ فقدنا كأن دويبة إذ رام رعد
فإن لحكة الباسور عندي دواء إن صبرت له بسجد

يميت الذي ودعنك وتشتهيه ان انت شممته شم المعدِ
به وطلبته باصول دفلي وشيء من جني لصف وزبدِ
اظنني ميتا من نتن فيه اماز الله من ناجاه بعدك

قول صاحب الديك

قال صاحب الديك سنذكر اشعار العرب
في هجاء الكلب مجردا على وجهه ثم نذكر
ما ذموا من اعضائه واصناف اعماله واموراً
من صفاته ونبدأ بهجائه في الجملة قال

بشار بن برد

عددت سويدا اذ فخرت ونوفلا ۞ وللكلب خير من سويد ونوفلِ

وقال بشار او غيره

اتذكر اذ ترعى على الحي شاءهم ۞ وانت شريك الكلب في كل مطعمِ
وتلحس ما في القعب من فضل سؤره ۞ وقد عاث فيه باليدين وبالفمِ

وقال ابن الذئبة

من يجمع المال ولا يثبه ۞ ويترك المال لعام جدبه
يهن على الناس هوان كلبه

وقال آخر

ان شريني لا يغب بوجهه ۞ كلوم كأن كلبا بها رش أكلبا

ولا اقسم الاعطان بيني وبينه ۞ ولا انوقاه وان كان مجربا

وهجا ابو الاحوص ابنا له فشبهه بجرو الكلب

فقال

اقبح به من ولد واشقح ۞ مثل جري الكلب لم يفقح
ان يرَ سوءا لم يقم فينبح ۞ بالباب عند حاجة المستفتح

وقال ابو حزابة

يا ابن علي برح الخفاء ۞ انت لغير طلحة العداء
قد علم الاشراف والاكفاء ۞ انك انت الناقص اللفاء
جلق جدعة النساء ۞ بنعمة المبرز والرداء
بنو علي كلهم سواء ۞ كأنهم زينية جراء

وقال عبد بني الحسحاس وذكر قبح وجهه

فقال

أتيت نساء الحارثيين غدوة ۞ بوجه براه الله غير جميلِ
فشبهنني كلبا ولست بفوقه ۞ ولا دونه ان كان غير قليلِ

وقال ابن ذيب السعدي في هوان الكلب

لكسرى كان اعقل من تميم ۞ ليالي فر من ارض الضبابِ
فاسكن اهله ببلاد ريف ۞ واشجار وانهار عذابِ

وصار بنو ابيه بها ملوكا • وصرنا نحن امثال الكلاب
فلا رحم الاله صدى تميم • فقد ازرى بنا في كل باب

واراد اللعين هجاء جرير • وجرير من بني كليب
فاشتق هجاءه من نسبه فقال

تناقض بين كلب بني كليب • وبين القين قين بني عقال
فان الكلب مطعمه خبيث • وان القين يعمل في شغال
كلى العبدين قد علمت معد • لئيم الاصل من عم وخال
فما بقيا على تركتماني • ولكن خفتما صرد النبال

وقال رجل من همدان يهجوا مروان فجعله
كلبا ثم اشتق له من الكلب فجعله كلبا

فقال

لج الفرار بمروان فقلت له • عاد الظلوم ظليما همه الهرب
ابن الفرار وترك الملك ان قبلت • منك الهوينا فلا دين ولا ادب
فراشة الحلم فرعون العذاب وان • يطلب نداه فكلب دونه كلب

وقال اخر وجعل الكلب مثلا في اللوم

شربت ما شربت من ليلها ثم عرست • على رجل بالعرج الام من كلب

وكذلك قال الاسود بن المنذر فانه

قال

فان امرا انتم حوله • تحفون قبته بالقباب
يهين سراتكم جاهرا • ويقتلكم مثل قتل الكلاب

وقال سحيمة بن نعيم

الست كليبا وامك كلبة • لها عند اطناب البيوت هرير

وقال النجراني

من منزلي قد اخرجتني زوجتي • تهر في وجهي هرير الكلبة
زوجتها فقيرة من حرفتي • قلت لها لما ارادت حربتي
ام هلال ابشري بالحسرة • وابشري منك بقرب الضرة

قال ويقال للكلب فلحس وفلحس رجل
من بني شيبان كان حريصا رغيبا وملحا ملحفا
وهو من صفات الحرص والالحاح ويقال
فلان اسأل من فلحس وكل طفيلي فهو
عندهم فلحس والاتشم الكلب والذيب
وقد اشتق منه للانسان اذا كان يتشمم
الطعام ويتتبع مواضعه وقال جرير
في بعضهم

مثل

لقد حملته امه وهي ضيفة فجاءت به يتن للضيافة ارشما

وقال جرير في استرواح الطعام

وبنو الهجيم سخيفة احلامهم قطّ اللحى متشابهو الالوان
لو يسمعون باكلة او شربة بعمان اصبح جمعهم بعمان

وقال سهم بن حنظلة الغنوي

فاما كلاب فمثل الكلاب لا يحسن الكلب الا هريرا

وقال

فاما نمير فمثل البغال اشبهن ابا من الحمير
واما هلال فعطارة تبيع ملابا وعطرا كثيرا

ومر جرير يوما بالمربد فوقف عليه الراعي فقال له ابنه جندل فطال وقوفك على هذا الكلب الكلبي قال متى فمضى الراعي وابنه فقال جرير والله لاثقلن رواحلك فلما امسى اخذ في هجائه فلم يأته ما يريد فلما كان مع الصبح قال

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
ولو جعلت فقاح بني نمير على خبث الحديد اذا لذابا

وقال الشاعر وضرب بالكلب المثل في قبح الوجه

سفرت فقلت لها هج فتبرقعت فذكرت حين تبرقعت ضبارا

وضبار كلب لهم وقال كعب الاحبار لرجل اراد سفرا ان لكل رفقة كلبا فلا تكن كلب اصحابك وتقول العرب احب اهلي الي كلبهم الظاعن ومن الامثال وقح الكلب على الذئب ليأخذ منه مثل ما اخذ ومن امثالهم الكلاب على البقر ومن امثالهم في الشؤم قولهم على اهلها دلت براقش وبراقش كلبة قوم نبحت على جيش مروا ولا يشعرون بالحي فاستدلوا على موضعهم بنباحها فاستباحوهم

وقال الشاعر

الم تر ان سيد آل ثور نباتة عضه كلب فماتا

قال صاحب الكلب قد يموت الناس بكل شيء وقد قال عبد الملك بن مروان انه لا

مثل

مثل

مثل

قول صاحب الكلب

تعجبون للضحاك بن قيس بطلب الخلافة ونطح
اباه تيس فوجده ليس به حبض ولا نبض ۵
وقال عرفجة بن شريك يهجو اسلم بن
زرعة ووطيت اباه عنز بالمربد فمات

قاتل العنز ٢٠٤

فقال ۵
ولم استطع اذ بان مني معشري مكان قتيل العنز ان اتكلما
فيا بن قتيل العنز هل انت ثائر بن زرعة تيسا في الزريبة ازنما
وقال ابو الهول يهجو جعفر بن يحيى ۵
اصبحت محتاجا الى ضرب في طلبي العرف الى كلب
اذا اشتكى صب اليه الهوى قال له ما لي وللصب
اعني فتى يطعن في دبره يثبت منه خشب الصلب
قال قلت لابي عبيدة اليس بقع الكلاب
امثلها قال لا قلت فلم قال ۵
وخفت هجينهم لما تواصوا كخوف الذيب من بقع الكلاب
قال ليس هكذا قال انما قال ۵
كخوف الذيب من سود الكلاب
الا ترى انه حين اراد الهجاء قال ۵

كانك بالمبارك بعد شهر يخوض غموره بقع الكلاب

٢٠٥

ويدلك على ذلك قول الجدلي ۵
لعمري لجو من جواء سويقة اسافله ميث واعلاه اجرع
احب الينا ان نجاور اهله وتصبح منا وهو مرأى ومسمع
من الجوسق الملعون بالري لا يني على راسه داعي المنية يلمع
يقولون لي اصبر فقلت لطالما صبرت ولكن لا ارى الصبر ينفع
فليت عطائي كان قسم بينهم وكان لي الصمان والحزن اجمع
وكان لهم اجري هنيئا فاصبحت بي البازل الكوماء بالرمل تضبع
ااجعل نفسي عدل علج كانما يموت به كلب اذا مات ابقع
قال فقد تبين كما ترى ان الابقع شرها قال
فقلت له فلم قال الشاعر ۵
ارسلت اسدا على بقع الكلاب فقد امسى شريدهم في الارض فلالا
قال كيف يقول ذلك وهو يمدحهم واذا صغر
شان من هزموا فقد صغر شان الممدوح بل
انما قال ۵ ارسلت اسدا على سود الكلاب
وقال وانما جاء الحديث في قتل سود الكلاب
لان عقرها اكثر ما تكون سودا وذلك

السود من الحيوان والانسان اشد غضبا

مِن غلبةِ انفسِها لها ولبس في الارض حيوان
من ثورٍ وبقرةٍ وحمارٍ وفرسٍ وكلبٍ وانسانٍ
الا والسود اشدّ بها اشرًا وغضبًا واظهر بها
قوةً وصبرًا وقال ابو سعد المخزومي
في هجاء دعبل الشاعر ۞

هجويات

يا ثابت بن ابي سعيدٍ انها دولٌ واحرِ بها ان تنتقلا
هلا جعلت لنا كحرمة دعبلٍ في است ام كلبٍ لا يبالي دعبلا

وقال ابن نوكل ۞

٢٠٦

وجئت على قصواء تنفل سوءة البنا وكم من سوءة لا تها بها
وتزعم ان لم تخز سلمى بن جندلٍ وقد خربت بعد الرجال كلابها

وقال الحسن بن هانئ يهجو جعفر بن يحيى ۞

قفا خلف وجهٍ قد اطيل كانه قفا مالكٍ يقضي الهموم على بثق
واعظم زهوًا من ذبابٍ على خرٍ وابخل من كلبٍ عقورٍ على عرق

وقال ابو الشمقمق ۞

اهل جودٍ ونائلٍ وفعالٍ غلبوا الناس بالندى والعطيه
جئته زائرًا فادنى مكاني وتلقى بمرحبٍ وتحيه
لا كمثل الاصم حارثة اللؤم شبيه الكلبة القلطيه

جئته زائرًا فاعرض عني مثل اعراض قحبةٍ سوسبيه
وتولى كانه ابن بغلٍ غاب في دبر بغلةٍ مصريه

غريب

٢٠٧

وقال ابو الشمقمق ۞

الا قولا لسرّان المخازي ووجه الكلب والنبس الضروط
له بطن يضل الفيل فيه ودبر مثل راقود النشوط
وابن عارمٍ لا خير فيه كدود سفينةٍ في بثق زوط
ولحية حائكٍ من باب قلبا موصلة الجوانب بالخيوط
له وجه عليه الفقر بادٍ مرقعة جوانبه بقوط
اذا نهض الكرام الى المعالي ترى سرّان يسفل في هبوط

وقال ابو الشمقمق ۞

يا ذائق الكلب والخنزير من سعةٍ والطير والوحش في بهماء دويه
لو شئت صبرته في حال فاقته حتى يقر بتلك الحال عينيه

وقال الصلتان يهجو جريرًا ۞

اقول لها والدمع يسفح كحلها متى كان حكم الله في كرب النخل

فاجابه جرير ۞

تعيرنا ان كانت النخل مالنا وودّ ابوك الكلب لو كان ذا نخل
يعير جريرًا واباه بانهما كانا اصحاب نخلٍ ۞

وقال وضاح اليمن

وأكتم السر غضبانا وفي شكري حتى يكون له وجه ومستمع
وأترك القول عن علم ومقدرة حتى يكون لذاك النجد مطلع
لا قوتي قوة الراعي ركابه يبيت بادي اليه الكلب والربع
ولا العسيف الذي تشتد عقبته حتى يؤوب وباقي نعله قطع

وقال محمد بن عباد الكاتب مولى بجيلة من
سبي دابق وكاتب زهير وصديق ثمامة
يهجوا ابا سعد دعي بني مخزوم يعدان لقي
منهم ما لقي

٢٠٨

فعلت بنزارك الذي اسنا بملته نفيا وضربا
فهجوت قحطانا الا هجوكم مكابدة وأربا
وأردت كيما تشتفي بهجائهم منهم فتربا
ووثقت أنك ما سببت حماك لومك أن تسبا
والكلب إن ينبح فليس جوابه إلا أخس كلبا
خفض عليك وقر مكانك لا تطف شرقا وغربا
واكشف قناع ابيك فالآباء ليس تنال غصبا

وقال الآخر وهو يصف كلبا

ولكن كطعم الصبر خدي مركبه بأرض العدى من خشية الحدثان
ومبدلي الشحناء بيني وبينه دعوت وقد طال السرى فدعاني

فوصفه كما ترى بأنه يبدي لهم البغضاء

٢٠٩

وقال الشاعر

سرت ما سرت من ليلها ثم عرست على رجل بالعرج ألأم من كلب

وقال راشد بن شهاب اليشكري

ولست إذا ما بت شبعان عربة بكلب على لحم الجزور ولا برم

وقال كثير وهو يصف نعلا من نعال
الكرام

إذا طرحت لم يطبي الكلب ريحها وإن وضعت في مجلس القوم شمت

وقال اللعين في بعض أضيافه يخبر أنه قراه
لحم كلب وقال ابن الأعرابي بل إنما وصف
تيسا فقال

فقلت لعبدي اقتلا داء بطنه وأعفاجه اللاتي لهن زوائد
فجاء بجرشاوي شعير عليهما كراديس من أوصال أعقد سافد

وقال حليد عينين وهو يهجو جرير بن عطية
وبرد عليه

من قبل ورقة

وعيرتنا بالنخل أن كان مالنا ... وود أبوك الكلب لو كان ذا نخل

وقال دعبل

ولو يرزق الناس عن حيلة ... لما نال كفا من التربة
ولو شرب الماء أهل الفعال ... لما نال من مائهم شربة
ولكنه رزق من رزقه ... يعم به الكلب والكلبة

ذكر من هجي بأكل

لحوم الكلاب ولحوم الناس

٢١٠

قال سالم بن دارة

يا فقعسي لم اكلته لمه ... لو خافك الله عليه حرمه
فما اكلت لحمه ولا دمه

وقال الفرزدق

اذا اسدي جاع يوما ببلدة ... وكان سمينا كلبه فهو آكله

ينبغي ان يكون الاسدي هكذا لتأخير اسم كان

وقال مساور بن هند

اذا اسدية ولدت غلاما ... فبشرها بلؤم في الغلام
يخرسها نساء بني دبير ... بأخبث ما يجدن من الطعام
ترى اظفارا عقد مقلبات ... براثنها على وضم الثمام

ينبغي ان يكون طعام بني دبير

فهذا واشباهه يدل على ان اللعين انما

فمن امكم كلبا ولم يقرنهم تيسا وان الصواب
في خلاف ما قال ابن الاعرابي

وقال مساور

بني اسد ان تمحل العام فقعس ... فهذا اذا دهر الكلاب وعامها

وقال شريح بن اوس يهجو ابا المهوش
الاسدي

٢١١

عيرتنا تمر العراق وبره ... وزادك اير الكلب شيطه الجمر

وقال معروف الدبيري في اكلهم لحوم

ينبغي للدبيري لحم الاير

الناس

اذا ما ضفت ليلا فقعسيا ... فلا تطعم له ابدا طعاما
فان اللحم انسان فدعه ... وخير الزاد ما منع الحراما

وقد هجيت اسد وهذيل والعنبر وباهلة
باكل لحوم الناس قال حسان بن ثابت
يذكر هذيلا

ان سرك الغدر صرفا لا مزاج له ... فات الرجيع وسل عن دار لحيان
قوم تواصوا باكل الجار بينهم ... فالكلب والشاة والانسان سيان

وقال الشاعر في مثل ذلك في هذيل

انتم اكلتم شحمة بن مخدم زباب فلا يا منكم احد بعد الجلد
تداعوا له من بين خمس واربع ومد تصل الاظفار وانسبا
ورفعتم جردا انه لن ينسيكم معاوية القلحا يا لك ما شكد

وقال الشاعر في مثل ذلك في باهلة

ان غفاقا اكلته باهلة • تمششوا عظامه وكاهله
واصبحت ام غفاق ثاكله

وهجا شاعر بلعنبر وهو يريد ثوب بن شحمة وكان شريفا وكان يقال له مجير الطير فاما مجير الجراد فهو مدلج بن سويد بن مرثد بن خيبري فعير الشاعر ثوب بن شحمة باكل الرجل القيني لحم المراة الى ان نزل ثوب من الجبل فقال

عجلتم ما صادكم علاج • من العنوق ومن النعاج
حتى اكلتم طفلة كالعاج

فلما عيره قال ثوب

يا بنت عمي ما ادراك ما حسبي اذ لا تجر خبيث الزاد اضلاعي
اني لذو مرة تخشى بوادره عند الصباح بنصل السيف قراع

مجير الطير

مجير الجراد

ومن طريف الشعر قول ابي عدنان

فما كلبة سوداء تفرس بنابها عرقا من الموتى مرارا وتكدم
اتيح لها كلب فضنت بعرقها فهارشها وهي على العرق تعذم

فقف على هذا الشعر فانه من اعاجيب الدنيا وقال الشاعر زنجي

ما بال كلب من كليب سبني ان لم يوازن حاجبا وعقالا

قال وتنازع مالك بن مسمع وشقيق بن ثور فقال له مالك انما رفعك قبر بتستر قال حين وضعك قبر بالمشقر يا ابن قتيل النساء وقتيل الكلاب قال وكان يقال لمسمع بن شيبان قتيل الكلاب وذلك انه كان لجا في الردة الى قوم من عبد القيس فكان كلبهم ينبح عليه فكان يخاف ان يدل على مكانه فقتله فقتل به تقول العرب اشرع من لحسة الكلب انفه ويقال ابرص من لعوة وهي الكلبة وجمعها لعاء وفي المثل الام من كلب على عرق ونعم كلب

قتيل الكلاب اسم لمسمع بن ...

مثل

مثل

مثل

في بؤس اهله ۞ وفي المثل اصنع المعروف
ولو الى كلب ۞ وقال ابن سيرين الكلب في

تعبير المنام

النوم رجل فاحش فان كان اسود فهو عربي
وان كان ابقع فهو عجمي ۞ الاصمعي عن
حماد بن سلمة عن اخت ابي بلال مرداس
ابن اديّة قال قالت رأيت ابا بلال في
النوم كلبا تذرف عيناه وقال انا حولنا
بعدكم من كلاب اهل النار ۞ وقالوا ولما

رؤيا الحسين رضي الله عنه

خرج شمر بن ذي الجوشن الضبابي لقتال
الحسين بن علي فرأى الحسين فيما يرى
النائم ان كلبا ابقع يلغ في دمائهم فاول
ذلك ان يقتلهم شمر بن ذي الجوشن وكان
متسلخا برصا ۞ قال والمسلمون كلهم يسمون
الخوارج اهل النار ۞ وقال صاحب الديك

قول صاحب الديك

صاحب الكلب يصفه بالسرعة في الحضر
وبالصبر على طول العدو وبسعة الاهاب
وبانه اذا عدا اضبع وبسط يديه ورجليه

٢١٤

حتى يمس قصه الارض وحتى يشرط اذنيه
بشبا اظفاره ۞ وانه لا يخشى ان يجامع بما يصيب
الكلاب من اللهث فان كان كما يقولون فلم

اوصاف الفرس

وصفت الشعراء العرق وشبهته بضروب
من الخلق وكذلك الاعضاء وغير ذلك
من امره وتركوا الكلب في المنسي لا يلتفت
احد لعينه ۞ قال ابو دواد الايادي

٢١٥

عن لسان كجنة الورل الاحمر مج الندى عليه العرار
ولم يذكره في ذلك ۞ وقال خالد بن عجرة
الكلابي ۞
كأن لسانه ورق عليه يندى رمصيه مج العرار
ولم يذكره ۞ وقال امرؤ القيس ۞
وخدا اسيلا كالمسن وبركة كجؤجؤ هيق دفه قد تمورا
ولم يذكره في شيء من ذلك ۞ وقال عقبة
ابن سابق ۞
عن بضن الخد والجبهة والصهوة والجنب
ولم يذكره في شيء من ذلك ۞ وقال

امرؤ القيس

وسامعتان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ربرب

ولم يذكره عند ذلك وقال عقبة بن سابق

ولها بركة كجؤجؤ هيق ولبان مضرج بالخضاب

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال خفاف

ابن ندبة ٢١٦

منحى الذراعين امين الشظا كالسيد يوم القرة الصائد

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال امرؤ

القيس

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا اقب كتيس الحلب الغذوان

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال عقبة

ابن سابق

وأرساغ كأعناق ظباء أربع غلب

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال الجعدي

كأن تماثيل ارساغه رقاب وعول لدى مشرب

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال

امرؤ القيس

لها متنتان خظاتا كما اكب على ساعديه النمر

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال ابو

دواد

يمشي كمشي نعامتين تتابعان اشق شاخص

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال

ابن الصعق ٢١٧

بمجنب مثل العقاب تخاله للضمر قدحا

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال

ربيعة بن جشم النمري

وسنابك كعابها اصمعان لحم حماتيهما منبتر

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال

عبد الرحمن بن حسان

كأن حماتيهما ارنبان تقبضتا خيفة الاجدل

ولم يذكره في شيء من ذلك وقال

كأن حماتها كردوس فحل مقلصة على ساقي ظليم

وقال الاعشى

أما اذا استقبلته فكأنه جذع سما فوق النخيل مشذب

وإذا تصفّحه الفوارس معرضًا فيقول سرحان الغضا المتنصّب
أمّا إذا استدبرته فتسوقه ساق يقمّصها وظيف أحدب
منه وجاعرة كأنّ حماتها لمّا كشفت الجلّ عنه أرنب
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال الأسعر
الجعفي
أمّا إذا استقبلته فكأنّه باز يكفكف أن يطير وقد رأى
أمّا إذا استعرضته متمطّرًا فتقول هذا مثل سرحان الغضا
أمّا إذا استدبرته فتسوقه ساق قموص الوقع عارية النسا
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال
٢١٨
أبو دواد الإيادي
كالسيد ما استقبلته وإذا ولّى تقول ململم ضرب
لأم إذا استعرضته مشى متتابعًا ما خانه عقب
يمشي كمشي نعامة تبعت أخرى إذا هي راعها خطب
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال
ابن سنان العبدي
أمّا إذا أقبلت فمطارة كالجذع شذّبه نفي المنجل
أمّا إذا أعرضت فنبيلة ضخم مكان حزامها والمركل

أمّا إذا ما أدبرت فنعامة تنغي سنابكها صلاب الجندل
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال امرؤ
القيس
له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
ولم يذكره في شيء من ذلك وقال
٢١٩
أبو عبيدة ومما يشبه من خلقه من خلق
النعامة طول وظيفها وقصر ساقها وعري
نسيها ومما يشبه من خلقه خلق الأرنب
صغر كعبها ومما يشبه من خلقه خلق
الحمار الوحشي غلظ لحمه وظمأ فصوصه
وسراته وتمحّص عصبه وتمكّن أرساغه
وعرض صهوته قال صاحب الكلب
قول صاحب الحلب
فقد قال أبو عبيدة إنّ مما يشبه من
خلقه خلق الكلب هرت شدقه وطول
لسانه وكثرة ريقه وانحدار قصبه
وسبوغ ضلوعه وطول ذراعيه ورحب
جلده ولحوق بطنه وقد قال طفيل الغنوي

وهو يصف الخيل ۞

تبادي مراجيها الزجاج كانها ضراء احست نباة من مكلب

وقال طفيل ۞

كان على اعطافها ثوب مائح وان يلق كلب بين لحييه يذهب

قول صاحب الديك

قال صاحب الديك واين يقع البيت والبيتان
والثلثة من جميع اشعار العرب ۞ قال

قول صاحب الكلب

صاحب الكلب لعلنا ان تتبعنا ذلك وجدناه
ولكنك تقدمت في امر ولم تشعر بالذي
تعني فنلتقط من الجميع اكثر مما التقطت
والانسان شريف الاعضاء وقد تشبه مواضع
من الفرس العتيق بمواضع منه وما حضرنا
في ذلك الا قوله ۞

وترى الكميت امامه وكانه رجل مغاضب

وقد قال الشاعر ۞

خوص تراح الى الصياح اذا غدت فعل الضراء تراح للكلاب

فقد شبهوا بالكلب كل شيء وكان اسم
فرس عامر بن الطفيل الكلب والمزنوق

قول صاحب الديك

والورد ۞ وقال صاحب الديك قال اوس بن
حجر ووصف الناقة ونشاطها والذي يهيجها
فقال ۞

كان هرا جنيبا عند مغرضها والتف ديك برجليها وخنزير

فهلا قال والتف كلب برجليها كما قال والتف
ديك برجليها ثم قال ۞ كان هرا جنيبا عند
مغرضها ولم يقل كان كلبا جنيبا عند مغرضها

وقال ابو حية ۞

وثنا اورثت عنه كان بدفها هرا ينشب منبعها بالاظفر

وقال الاعشى ۞

بجلالة سرح كان بغرزها هر اذا انتعل المطي ظلالها

وقال عنترة ۞

وكانما ينأى بجانب دفها الوحشي من هزج العشي مؤوم

هر جنيب كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالفم

وقال المثقب العبدي ۞

فسل الهم عنك بذات لوث عذافرة كمطرقة القيون

وصادقة الوجيف كان هرا يباريها وياخذ بالوضين

صاحب الكلب

قال صاحب الكلب إنما تذكرون في هذا الباب
السباع المنعوتة بالمخالب وطول الأظفار
كما ذكرتم الهر وابن آوى والكلب ليس
يوصف بالمخالب ليس أن الهر أقوى من الكلب
ألا ترى أن أوس بن حجر قال

كأن هريرا جنيبا عند مغرضها

فذكر الموضع الذي يوصف بالخلب والخدش
والخمش والتظفير فلما أراد ما يتوثبها وينزعها
حتى تذهب جافلة في وجهها أو نادّة أو
كأنها مجنونة من حاقّ المرح والنشاط قال

والتف ديك برجليها وخنزير

وقال أبو النجم

لو جرّ شنّ وسطها لم تحفل ويروى تجفل

ولو قال أوس والتف شن برجليها كان ذلك
جائزا ولا يبس الشن ولقوله وانه ليس مما
يلتوي على رجليها وقد قال الآخر

كأن ابن آوى موثق تحت غرضها إذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

صاحب الديك

قال صاحب الديك حدث عمرو بن شعيب عن
عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لرجل
يعطي عطية ويرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي
ولده ومثل الذي يعطي العطية ثم يرجع فيها
كمثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء ثم عاد
فيه وعن عبد الله بن عمر قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يرجع في هبته إلا
الوالد من ولده والعائد في هبته كالعائد في
قيئه وجعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله
ابن جعفر أن أبا بكر أمر بقتل الكلاب
قال عبد الله بن جعفر وكانت أمي تحت
أبي بكر فكان جرو لي تحت سريره فقلت
يا أبه وكلبي أيضا فقال لا تقتلوا كلب ابني
ثم أشار بإصبعه إلى الكلب أن خذوه من تحت
السرير وأنا لا أدري قال فقتل وإسمعيل
ابن أمية قال كان يقال أمتان من الجن مسخنا

مسخ

صاحب الديك

فمما الكلاب والحبابات ۞ ابن المبارك قال
اذا عرف الرجل قدر نفسه صار عند نفسه
اذل من الكلب ۞ وقال صاحب الديك
وذكر الكلب فقال من لومه اسمنته الكلة
واحدة ومن لومه اتباعه لمن اهانه والفه لمن
اجاعه لانه اجهل من ان يبين مما يوبسر منه
واشره وانهم واحرص والج من ان يذهب
بمطمعته ما يذهب بمطامع السباع ومن
جهله ايضا انا لم نجده يحرس المحسنين
اليه بمباحه وان نابه الذين نبوه ونبتوه الا
كحراسته لمن عرفه ساعة بل لمن اذله واجاعه
واعطشه بل ليس ذلك منه حراسة وانما
هو من فضل البذا ومن السخف وشدة
التسرع وقد قال الشاعر ۞

اذا تخازرت وما بي من خزر ۞ ثم كسرت الطرف من غير عور
ابدا اذا بوذنت من كلب ذكر ۞ اسود قراح بعضي في النحر

وانما ذلك شكل من شكل الجبن وكالذي

٢٢٤

حال المجنون

يعتري بنات السفلة من الصخب والكلب
جبان وفيه جرأة ولو كان شجاعا وفيه بعض
النهيب لكان امثل فلفرط الجبن يفزع من
كل شيء وينبحه والبرذون ربما رمح
البرذون مبتديا وقلق وصهل صهيلا من
اختلاط وليس ذلك من فضل قوة يجدها
في نفسه على المرموح ولكنه يكون جبانا
فاذا راى البرذون الذي يظن انه يعجز عنه
اراه الجبن انه واقع به فعندها يقلق واذا قلق
رمح ومن هذه العلة تعرض للمجنون فان المجنون
الذي تستولي عليه السوداء ربما وثب
على من لا يعرف وليس ذلك الا لان الحيرة
وهمته انه يريده بسوء وان الراي ان يبداه
بالضرب وعلى مثل ذلك يرمي بنفسه
في الماء والنار ۞ واما الذي شهدت انا من
ابي اسحق ابرهيم بن سيار النظام فانا خرجنا
ليلة في بعض طرقات الابلة وتقدمته شيئا

٢٢٥

والح عليه كلب من شكل كلاب الرعاة فكره
ان يعدو فيغري به وينبه وانف ايضا من ذلك
وكان انفا شديد الشكيمة وآباء للهضيمة وكره
ان يجلس مخافة ان يشغر عليه ولعله ان يأكله
فهرت ثوبه والح عليه ولم يرد سواه فلما جزنا
حده وتخلصنا منه قال ابن بهيم في كلام له كثير
بعد ذهاب المذمومة فكان اخر كلامه
ان قال ان كنت سبع فاذهب مع السباع
وعليك بالبراري والغياض وان كنت بهيمة
فاسكت عنا سكوت البهايم ولا تنكر قولي
وحكايتي عنه بكلام ملحون من قولي ان كنت
سبع ولم اقل ان كنت سبعا فانا اقول
ان الاعراب يفسد كلام المولدين كما ان اللحن
يفسد نوادر كلام الاعراب لان سامع ذلك
الكلام انما اضحكته تلك الصورة وذلك
المخرج وتلك اللغة وتلك العادة واذا دخلت
على هذا الامر الذي انما اضحكك بسخفه

لطيفه

نوادر

وبعض كلام العجمية التي فيه حروف الاعراب
والتحقيق والتثقيل وحولته الى صور الفاظ
العرب الفصحاء واهل المروءة والنجابة
انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت
صورته ثم قال ابو اسحق ان اطعمه اللص
بالنهار كسرة خبز خلاه ودار مواليه بليل
فهو من هذا الوجه مرتشي واكل سحت
وهو مع هذا اسمج الخلق صوتا واحمق الخلق
يقظة ونوما ينام النهار كله على نفس الجادة
وعلى مدق الحوافر وفي كل سوق وملتقى
طرق وعلى سبيل الحمولة وقد سهر الليل
كله بالصياح والصخب وبالنصب والتعب
وبالغيظ والغضب وبالمجيء والذهاب فيركبه
من حب النوم على حسب حاجته اليه فان
وطئته دابة فاسوأ الخلق جزعا والامه
لوما واكثره نباحا وعواء فان سلم ولم
تطأه دابة ولا وطيه انسان فلبئس ثم له

الكلب مرتشي والمرتشي كلب

السلامة لانه في كل حال متوقع للبلية وان
لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى اسوا حالا
منه لانه اسواهم جزعا واقلهم صبرا ولانه الجاني
ذلك على نفسه وقد كانت الطرق الخالية له معرضة
واصول الحيطان له مباحة وبعد فان كل خلق
فارق اخلاق الناس فهو مذموم والناس ينامون
الليل الذي جعله الله سكنا وينتشرون ٢٢٨
بالنهار الذي جعله الله لحاجات النفوس مسرحا
قال صاحب الكلب لو شينا ان نقول ان سهره صاحب الكلب
بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية لقلنا
لو كان خلاف ذلك الذي لكانت الملوك بذلك
اولى ۞ واما ما انشتم به عليه من النوم
في الطرق الخالية وعبتموه بنومه على مدرجات
السكك العامرة وفي الاسواق الجامعة
فكل امرئ اعلم بشانه ۞ ولولا ان الكلب
يعلم ما يلقى من الاحداث والسفها وصبيان
الكتاب من نخس عظامه بالرواجم اذا وجدوه

نايما في طريق ليس بحضرته رجال يهابون
ومشيخة يرحمون ويزجرون السفهاء
وان ذلك لا يعتريهم في مجامع الاسواق
وعلى ان هذا الخلق انما يعتري كلاب ٢٢٩
الحرس وهي التي الاسواق ماواها ومنازلها
وبعد فمن اخطا واظلم ممن يكلف السبع
اخلاق الناس وعادات البهايم وقد علمنا
ان سباع الارض عن آخرها انما تهيج وتسرح
وتلتمس المعيشة وتتلاقى على السفاد
والعظال ليلا لانها تبصر بالليل وانما نام
الناس بالليل عن حوايجهم لان التمييز
والتفصيل والتبيين لا يمكنهم الا نهارا
ولبس للتعب المتحرك بد من سكون يكون
جماما له فصار فهم التماس الجمام الى الوقت
الذي لو لم يناموا فيه والوقت مانع من
التمييز والتبيين لكانت الطبايع ستنتقض
فجعلوا النوم بالليل لضرب بين احدهما

لأن الليل إذا كان من طبعه البرد والركود والخثورة
كان ذلك أنشط إلى النوم وادعى إليه لأنه من
شكله والوجه الآخر فلأن الليل موحش
مخوف الجانب من الهوام والسباع ولأن
الأشياء المبتاعة والحاجات إلى تمييز الدراهم
والدنانير والحبوب والبزور والجوهر واخلاط
العطر والبرنيهات وما لا يحصى عدده
فقادتهم طبايعهم وساقتهم غرايزهم إلى وضع
النوم في موضعه والانتشار والتصرف
في موضعه على ما قدره الله من ذلك
واجبة فأما السباع فإنها تبصر بالليل ولها
أيضا علل أخر يطول ذكرها وأما ما ذكرتم
من نوم الملوك بالنهار وسهرهم بالليل فإن الملوك
لم تجهل فضل النوم بالليل والحركة بالنهار
ولكن الملوك لكثرة اشغالها فضلت حوايجها
عن مقدار النهار ولم يتسع لها فلما استغانت
بالليل ولم يكن لها بد من الخلوة بالتدبير

المكتوم والسر المخزون فجمعت المقدار الفاضل
عن اتساع النهار إلى المقدار الذي لا بد للخلوة
بالأسرار منه أخذت من الليل صدرا صالحا
فلما طال ذلك عليها أعانها المران وخف
ذلك عليها بالدربة وناس منهم ذهبوا
إلى أن التناول من الشراب وإلى أن سماع
الصوت الحسن مما يزيد في المنة ويكون
مادة للقوة وعلموا أن العوام إذا كانت
لا تتناول الشراب ولا تتكلف السماع
على هذا المعنى أن ظنها سيسوء وقولها
سيكثر فرأوا أن الليل أستر وأجدر أن
يتم به التدبير وقد قال الراجز

الليل أخفى والنهار أفضح

المثل

وقالوا في المثل الليل أخفى للويل وما زالت
ملوك العجم تلهي المحزون بالسماع وتعلل
به المريض وتشغله عن التفكير حتى أخذت
ذلك ملوك العرب عن ملوك العجم ولذلك

قال ابن عسلة الشيباني

وسماع مدجنة تعللنا حتى ننام تناوم العجم

وفيما يحكى عن امرأة من عقلاء العرب
واذا كان نساء العرب في الجملة اعقل من
رجال العجم فما ظنك بالمراة منهم اذا كانت
مقدمة عندهم فرووا جميعا ان ام تابط شرا
قالت ما ولدته يتنا ولا سقيته غيلا ولا
ابته على ماقة فاما اليتن فخروج رجلي
المولود قبل راسه وذلك علامة سوء
ودليل على الفساد واما سقي الغيل
فان تضاع لبن الحبلى وذلك فساد شديد
واما قولها في الماقة فان الصبي يبكي
بكاء شديدا متعبا موجعا فاذا كانت الام
جاهلة حركته في المهد حركة تورثه الدوار
او نومته بان تضرب يدها على جنبه ومتى
نام الصبي وبتلك الفزعة او اللوعة والمكروه
قائم في جوفه ولم يعلل ببعض ما يضحكه

في كيفية الولادة

في تعليل الصبي

٢٢٠

ويلهيه ويبشره حتى يكون نومه على سرور
يسري فيه ويعمل في طباعه ولا يكون نومه
على فزع او غيظ او غم فان ذلك مما يعمل
في الفساد والام الجاهلة والمرقصة الخرقاء
اذا لم تعرف فرق ما بين ما بين الحالتين كثر
منها ذلك الافساد وترادف واعان الثاني
الاول والثالث الثاني حتى يخرج الصبي مايقا
وفي المثل صاحبي مئق وانا تئق يضرب مثلا
المثل لمسافر احمق لزميل والرفيق وقد
استفرغه الضجر بطول السفر فقلبه ملآن
فاول شيء يكون من ذلك المائق من المكروه
لم يحتمله بل يفيض ضجره عليه لامتلائه من
طول ما قد قاسى من مكروه السفر فاحتاج
حذاق الملوك واصحاب العنايات التامة الى
ان يداووا انفسهم بالسماع الحسن ويشدوا
من منتهم بالشراب الذي اذا وقع في الجوف
حرك الدم واذا حرك الدم حرك طباع

شل

٢٢٢

الشيء وينم لا يزال زايدا في مكيال الذم
زايدا في الحركة المولدة للسرور بمناصفة
الملوك وعليه بنوا امرهم جهل ذلك من جهله
وعلم ذلك من علمه ۞ وقال صاحب الكلب
اما تركه الاعتراض على اللص الذي اطعمه
اياما واحسن اليه مرارا فانما وجب عليه
حفظ اهله لاحسانهم اليه وتعهدهم له فاذا
كان عهده ببر اللص احدث لم يكلف الكلب
النظر في العواقب وموازنة الامور والذي
اضمر اللص من البيات غيب قد ستر عنه
وهو لا يدري ان اجاء ليأخذ ام ليعطي وقد
امره ام هو المتكلف لذلك ولعل اهله
ايضا ان يكونوا قد استحقوا ذلك منه بالضرب
والاجاعة والسب والاهانة ۞ واما سماجة
الصوت فالبغل اسمج صوتا منه والحمار
انكر صوتا منه وكذلك الطاووس
على انهم يتشاءمون به وليس الصوت

قول صاحب الكلب

سماجة الصوت في الحيوانات

٢٢٤

الحسن الا لاصناف الحمام من القماري والدباسي
والشفانين والوراشين فاما الاسد والذيب
وابن آوى والخنزير وجميع الطير والسباع
والبهايم فكذلك واما لك ان تذم الكلب
في الشيء الذي لا يعم والناس يقولون
ليس في الناس شيء اقل من ثلثة اصناف
البيان الحسن والصوت الحسن والصورة
الحسنة ثم الناس بعد مختلطون ممتزجون
وربما كان بل كثيرا ما تجده وصوته اقبح
من صوت الكلب فلم تخصون الكلب
بشيء عامة الخلق اسوا فيه حالا من الكلب
واما عواؤه من وطي الدابة وسوء جزعه
من ضرب الصبيان فجزع الفرس من عذبة
السوط اسوا من جزعه من وقع حافر
برذون وهو في هذا الموضع الى الفرس
اشد مناسبة منه للحمار على ان الديك
لا يكاد يصبر ولا يجزع ۞ وقال صاحب

٢٢٥

وقع

لا اسلم هذا ع

قول صاحب الديك

الديك. حدثني القيني قال كان في اليونانيين
ممرور له نوادر عجيبة وكان يسمى ديسيموس
قال والحكماء يروون له أكثر من ثمانين
نادرة ما منها نادرة إلا وهي غرة وعين
من عيون النوادر فمنها أنه كان كلما خرج مع
الفجر من منزله إلى شاطئ الفرات للغائط
والطهور ألفى في أصل رجل باب داره
وفي دوارته حجرا كيلا ينصفق الباب
فيحتاج إلى معالجة فتحه وإلى دفعه كلما رجع
من حاجته فكان إذا رجع لم يجد الحجر في
موضعه ووجد الباب مصفقا فكمن له في
بعض الأيام ليرى هذا الذي يصنع ما يصنع
فبينا هو في انتظاره إذ أقبل رجل حتى تناول
ذلك الحجر فلما نحاه عن مكانه انصفق الباب
فقال له ما لك ولهذا الحجر وما لك تأخذه
قال لم أعلم أنه لك قال فقد علمت أنه ليس
لك. قال وقال له بعضهم ما بال ديسيموس

نادرة

ثامنة عشر د ثاول ١٦٨

يعلم الناس الشعر ولا يقول الشعر قال
ديسيموس كالمسن يشحذ ولا يقطع. قال
ورآه رجل في السوق وهو يأكل فقال له
ديسيموس يأكل في الطريق قال إذا جاع
في الطريق يأكل في الطريق. قال وأسمعه
رجل كلاما غليظا وسطا عليه وفحش عليه في
القول وحلم عنه فقيل له ما منعك من مكافأته
وهو لك معرض قال أرأيت لو رمحك حمار
أكنت ترمحه قال لا قال فإن نبح عليك الكلب
تنبح عليه قال لا قال فإن السفيه إما أن
يكون حمارا وإما أن يكون كلبا وإما أن يكون
حمارا وكلبا لأنه لا يخلو من شرارة أو من
جهل وما أكثر ما يجتمعان فيه. وقال
صاحب الديك يقال للسفيه إنما هو كلب
وإنما أنت كلب نباح وما زال ينبح علينا منذ
اليوم وكلب من هذا أو يا كلب بن الكلبة
واخسأ كلبا. وقالوا في المثل احتاج إلى

قول صاحب الديك

مثل

مثل

الصوف ممن جز كلبه ۵ واجع كلبك يتبعك
واحب شيء الى الكلب خانقه ۵ وسمن

مثل

كلبك ياكلك ۵ واجوع من كلبة حومل ۵
وكالكلب يربض في الاري فلا هو ياكل

مثل

ولا يدع الدابة يعتلف ۵ وفي امثالهم
في الشوم قولهم على اهلها دلت براقش
وبراقش كلبة نبحت على جيش مروا في
جوف الليل وهم لا يشعرون بموضع
الحي فاستدلوا عليهم بنباح الكلبة

قول صاحب الديك

فاستباحوهم ۵ وقال صاحب الديك
روى اسمعيل المكي عن ابي رجا العطاردي
قال سمعت ابن عباس يقول السود من

الجن من الكلب

الكلاب الجن والبقع منها الحن ويقال

انواع الجن

ان الحن ضعفة الجن كما ان الجني اذا كفر
وظلم وتعدى وافسد قيل شيطان فان قوي
على البنيان والحمل الثقيل وعلى استراق
السمع فهو مارد فان زاد فهو عفريت

فان زاد فهو عبقري كما ان من قاتل في
الحروب واقدم ولم يحجم فهو الشجاع فاذا
زاد فهو البطل فاذا زاد قالوا بهمة فاذا زاد

الجن والحن جنسان

قالوا أليس هذا قول ابي عبيدة ۵ وبعض
الناس يزعم ان الجن والحن جنسان مختلفان
وذهبوا الى قول الاعرابي حين اتى
باب بعض الملوك ليكتتب في الزمنى
ان تكتبوا الزمنى فاني لزمن ۝ من ظاهر الداء وداء مستكن
ابيت اهوي في شياطين ترن ۝ مختلف نجراهم جن وحن

في قتل الكلاب

ويحيى بن ابي انيسة عن ابي الزبير عن
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت
بقتلها فاذا وجدتم الكلب البهيم الاسود
فاقتلوه فانه شيطان ۵ وعن ابي الزبير
عن جابر قال امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتل الكلاب فكنا نقتلها
كلها حتى قال انها امة من الامم فاقتلوا

البهيم الاسود ذا النكتتين على عينيه
فانه شيطان ۞ وعن ابي الزبير عن جابر
قال امرنا بقتل الكلاب حتى ان المراة لتقدم
بكلبها من البادية فنقتله ثم نهانا عن قتلها
وقال عليكم بالاسود البهيم ذي الغرتين
فانه شيطان ۞ وعبد الله وابو بكر ابنا نافع
عن نافع عن ابن عمر ونافع عن ابي رافع
قال امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان
اقتل الكلاب فانتهيت الى ظاهر بني عامر
فاذا عجوز مسكينة معها كلب ليس قربها
انسان فقالت ارجع الى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره خبري ان هذا الكلب يونسني
وليس قربي احد فرجع اليه فاخبره فامره
ان يقتل كلبها فرجع فقتله ۞ قال وفي
حديث اخر انه لما فرغ من قتل كلاب
المدينة وقتل كلب المراة قال الان استرحت
قالوا فقد صح الخبر عن قتل جميع الكلاب

٢٤٠

النسخ في الكلب

ثم صح الخبر بنسخ بعضه وبقتل الاسود البهيم
منها مع الخبر بانها من الجن والجن وان
امتين مسختا هما الحيات والكلاب ثم روى
الاشعث عن الحسن قال ما خطب عثمن خطبة
الا امر بقتل الكلاب والحمام ۞ وعن الحسن
قال سمعت عثمن بن عفان يقول اقتلوا الكلاب
واذبحوا الحمام ۞ قال وقال عطاء في
كلب الصيد اذا كان صايدا اربعون درهما
وفي كلب الزرع شاة ۞ والحسن بن عمارة
عن يعلى بن عطاء عن اسمعيل بن حسان من
عن عبد الله بن عمرو قال قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كلب الصيد باربعين
درهما وفي كلب الغنم شاة من الغنم وفي كلب
الزرع بفرق من الزرع وفي كلب الدار بفرق
من تراب حق على القاتل ان يوديه وحق
على صاحب الدار ان يقبضه ۞ قالوا والتراب
لا يكون عقلا اذا كان في مقدار الفرق وفي

٢٤١

دية الكلاب

قوله وحق على صاحب الدار أن يقبضه ذلك
على أنه عقوبة على اتخاذه وأن ذلك على التصغير
لأمر الكلب وتحقيره وعلى وجه الإرغام
لمالكه ولو كان عوضا أو ثوابا وكان في طريق
الأموال المحروص عليها لما أكره على قبضه
أحد ولكان العفو أفضل ۞ قال وسئل عن
الكلب يكون في الدار وفي الدار من هو له
كاره ۞ ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي
الحكم أن ابن عمر سئل عن ذلك فقال
المأثم على رب الدار الذي يملكها ۞ وعن
ابن عمر قال من اتخذ كلبا ليس بكلب زرع
ولا ضرع ولا صيد نقص من أجره كل يوم قيراط
قال رجل فإن اتخذه رجل وهو كاره قال
إنما إثمه على صاحب الدار ۞ وصدقة بن
طيسلة المازني قال سألت الحسن قلت إن
دورنا في الجبان وهي معورة وليست
عليها أبواب فما ترى أن نتخذ فيها كلابا قال

٢٤٢

لا ۞ وابن أبي أنيسة عن سالم عن أبيه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا إلا كلب
صيد أو كلب ماشية نقص من أجره كل يوم
قيراطان ۞ وعن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم من أمسك كلبا فإنه ينقص
من عمله كل يوم قيراط ۞ ويونس عن أبي
إسحق وإسرائيل بن يونس عن أبي إسحق
قال حدثنا أبو إسحق قال حدثنا هبيدة بن
خالد الخزاعي قال انطلقت مع نفر من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم نعود رجلا من
الأنصار فلما انتهوا إلى باب الدار ثارت
الكلاب في وجوه القوم فقال بعضهم لبعض
ما يبقي هذا ولا من عمل فلان كل كلب
منها ينقص قيراطا في اليوم ۞ هشام بن حسان
عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من اتخذ كلبا ليس بكلب
صيد ولا زرع ولا ضرع فإنه ينقص من أجره

٢٤٢

كل يوم قيراط وقيراط مثل احد ٥ ويونس بن
ابي اسحق قال حدثنا مجاهد قال اقبل
عبد الله بن عمرو بن العاص حتى نزل ناحية
مكة وكانت امراة عم له بها دية فلما كان ذات
يوم قالت لو ارسلت الى الغنم فاستانست
برعاتها وكلابها فقد نزلت قاصية قال
لولا كلابها لفعلت ان الملائكة لا تدخل
دارا فيها كلب ٥ الثوري عن سماك بن
حرب ان ابن عباس قال على منبر البصرة
ان الكلاب من الجن وان الجن من ضعفة
الجن فاذا غشيتكم منها شيء فالقوا اليه
شيئا او اطردوه فان لها انفس سوء ٥
وهشيم عن المغيرة عن ابرهيم قال لم يكونوا
ينهونا عن شيء من اللعب ونحن غلمان
الا الكلاب ٥ قال صاحب الكلب وقد
روى ابرهيم بن ابي يحيى الاسلمي عن
محمد بن المنكدر عن ربيعة بن عبد الله

٢٤٤

قال ثنا مر رجلان على عهد عمر بن الخطاب فامر
عمر بالديكة تقتل فاتاه رجل من الانصار
فقال امرت بقتل امة من الامم تسبح الله
فامر بتركها ٥ وعن قتادة ان ابا موسى
قال لا تتخذوا الدجاج في الدور فتكونوا
اهل قرية وقد سمعتم ما قال الله في اهل
القرى افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
بياتا وهم نائمون ٥ وهذا عندي من ابي موسى
ليس على ما يظنه الناس لان تاويله هذا
ليس له وجه ولكنه كره للفرسان وللرجال
اتخاذ ما يتخذه الفلاح واصحاب التعيش مع
حاجته يومئذ الى تفرغهم لحروب العجم
واخذهم في تاهب الفرسان وفي دربة
رجال الحرب فان كان انما ذهب الى الذي
يظهر في اللفظ فهذا تاويل مرغوب عنه
وقال صاحب الكلب لصاحب الديك فقد
امر عمر بقتل الديكة ولم يستثن منها

٢٤٥

شيئا دون شيء ونهى ابو موسى عن اتخاذ
الدجاج ولم يستثن منها بشيء دون شيء
والديكة تدخل في هذا الاسم واسم الدجاج
يجمعهما جميعا ورويتم في قتل الحمام مثل
روايتكم في قتل الكلاب ولم ار كرد ورويتم ان
الحمام مسخ وان بعضه من الجن وبعضه
من الجن وان امتين مسختا فكان احداهما
الحمام وزعمتم ان عمر انما امر بقتل الديكة
حين كره الهراش بينها والقمار بها فلعل
كلاب المدينة في تلك الايام كثر فيها العقر
واكثر اهلها من الهراش بها والقمار فيها
وقد علمتم ان ولاة المدينة ربما دمروا
على الحمام اذا خيف من قبله القمار وظنوا
به النشرف ۞ وذكروا عنه الرمي بالبندق
وحذر تبعة اولاديهم بالفراخ فما بالكم لم تخرجوا
للكلاب من التاويل والعذر مثل الذي
خرجتم للحمام والديكة ورويتم في الجري

انواع المسخ

٢٤٦

والضباب انهما كانتا امتين مسختا وروى
بعضكم في الارنبانة انها كانت خياطة
تسرق السلوك وانها مسخت وترك
عليها بعض خيوطها لتكون علامة لها
ودليلا على جنس سرقتها ۞ ورويتم
في الفارة انها كانت طحانة وفي سهيل
انه كان عشارا وفي الحية انها كانت في
صورة جمل وان الله عاقبها حتى لاطها
بالارض وقسم عقابها على عشرة اقسام
حين احتملت دخول ابليس في جوفها
حتى وسوس الى ادم من فيها وقلتم في
الوزغة وفي الحكاة ما قلتم وزعمتم ان
الابل خلقت من اعناق الشياطين وتاولتم
في ذلك اقبح التاويل وزعمتم ان الكلاب
امة من الجن مسخت والذيب احق بان
يكون شيطانا من الكلب لانه وحشي وصاحب
قفار وبه يضرب المثل والكلب الوف وصاحب

٢٤٧

دبابة وبه يضرب المثل والذيب ختور غدار
والكلب وفي مناصح وقد قام الناس
الكلاب من الذباب مقام السنانير من الفار
والذيب مضرة كله والكلب منافعه فاضلة
على مضاره بل هي غامرة لها وغالبة عليها
وهذه صفة جميع الاشياء النافعة والناس
لم يطبقوا على اتخاذها عبثا وجهلا والقضاة
والفقهاء والعباد والولاة والنساك الذين
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمحتسبة
واصحاب التكلف والتسلم جميعا لم يطبقوا
على ترك النكير وعلى ما يشاهدون منها
في دور من لا يعصيهم ولا يمتنع عليهم الا
وقد علموا انه قد كان لقتل تلك الكلاب
باعيانها في ذلك الدهر معنى والا فان
الناس من جميع اقطار الارض لا يجمعون
على مسالمة اصحاب المعاصي الذين قد
خلعوا عذرهم وابرزوا صفحتهم بل ما ترك

خصما يطعن عند قاض على شاهد لان في
داره كلبا ولا نرى حاكما يرد بذلك شهادة
بل لو كان اتخاذ الكلاب مامورا به لما كان
الا كذلك ولو انكم حملتم جميع الهداهد
على حكم هدهد سليمن وجميع الغربان
على حكم غراب نوح وجميع الحمام على حكم
حمام السفينة وجميع الذياب على حكم
ذيب اهبان بن اوس وجميع الحمير على
حكم حمار عزير لكان ذلك حكما مردودا
وقد تعرض لخصايص الامور اسباب في
دهر الانبياء ونزول الوحي لا يعرض
مثلها في غير زمانهم وقد كان جبريل يمشي
في الارض في صورة دحية الكلبي وكان
ابليس يتخرق السكك في صورة سراقة
المدلجي وظهر في صورة الشيخ النجدي
ومثل هذا كثير فان زعمتم ان النبي صلى
الله عليه وسلم نظر الى رجل يتبع حماما

طباراً فقال شيطان يتبع شيطانا فخبر وناعمين
يتخذ الحمام من جميع سكان الآفاق ونازلة
البلدان من الحرميين والمصريين ومن بين
ما بينهم الى من دونهم انهم يزعمون انهم شياطين
على الحقيقة وانهم من نجل ابليس ويزعمون
انهم كانوا انسا فمسخوا ابعد جنا ام يكون
قوله لذلك الرجل شيطان على مثل قوله
شياطين الانس والجن وعلى قول عمر
لأنزعن شيطانه من نخرته وعلى قول
منظور بن رواحة

ولما اتاني ما يقول ترقصت شياطين راسي وانتشين من الخمر

وقد قال مرة ابو الوجيه العكلي وكان
ذلك حين ركبني شيطاني قيل له واي
الشياطين تعني قال الغضب والعرب
تسمي كل حية شيطانا وانشد الاصمعي

تلاعب مثنى حضرمي كانه تعمج شيطان بذي خروع قفر

وقد قالت العرب ما هو الا شيطان الحماطة

ويقال ما هو الا شيطان يريدون القبح
وما هو الا شيطان يريدون الفطنة وشدة
العارضة وروي عن بعض الاعراب
في وقعة كانت والله ما قتلنا الا شياطينا
برصا لان الرجل الذي قاتلهم كان اسمه
شيطان وكان بنو برص وفي بني سعد
بنو شيطان وقال طفيل الغنوي

وشيطان اذ يدعوهم ويثوب

وقال ابن ميادة

فلما اتاني ما تقول محارب تغنت شياطيني وجن جنونها

وقال الراجز

اني وان كنت حديث السن وكان في العين نبو عني
فان شيطاني كبير الجن

وقال ابو النجم

اني وكل شاعر من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر

وهذا كله منهم على جهة المثل وعلى قول
منظور بن رواحة

اتاني واهلي بالدماخ فغمرة مسبّ عوير اللوم حيّ بني بدر
فلما اتاني ما يقول ترقصت شياطين راسي وانتشين من الخمر

حديث خرافة

وقد رويتم عن عبد الله بن فايد باسناد له يرفعه
قال خرافة رجل من عذرة استهوته الشياطين
فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
بحديث فقالت امراة من نسايه هذا من حديث
خرافة قال لا وخرافة حق ۞ ورويتم ان

شريك دخل الجنة

شريك بن خباشة دخل الجنة وخرج منها
ومعه ورقة وان عمر سال المفقود الذي
استهوته الجن فقال ما كان طعامهم قال
الفول والرمة وساله عن شرابهم فقال
الجدف وقال الاعشى ۞
واني وما كلفتموني وربكم لاعلم من امسى اعق واحوبا
لكالثور والجني يضرب ظهره وما ذنبه ان عافت الماء مشربا

مس الجن

ورويتم ان الجن خنقت حرب بن امية وخنقت
مرداس بن ابي عامر وخنقت الغريض المغني
وانها قتلت سعد بن عبادة واستهوت

عمرو بن عدي واستهوت عمارة بن الوليد
فانتم ملاء بالخرافات اقوياء على رد الصحيح
وتصحيح السقيم ورد تاويل التنزيل والحديث
المشهور الى اهوايكم وقد عارضناكم وقابلناكم
وقالوا في الحديث انه من اقتنى كلبا ليس بكلب
زرع ولا ضرع ولا قنص فقد اثم فهاتوا شيا
من جميع الحيوان يصلح للزرع والضرع والقنص
وبعد فهل اتخذوا كلب الضرع الا لحرس
الماشية واولادها من السباع وهل عند الكلب
عند طروق الاسد والنمر والذياب وجميع
مابعنات اللحمان من رؤساء السباع الا
صياحه ونباحه وانذاره ودلالته وان
يشغلها بعض لشغل وتهجهج بها بعض
الهجهجة الى ان يلحق من يحميها ويتوافى
اليه من يذودها عنها او ليس في هذا القياس
اننا متى وجدنا دهرا يكثر فيه اللصوص
ويفشوا فيه السراق وتظهر فيه النقوب

ويبيع فيه التسلق ممن اذا افضى الى منزل
القوم لم يرض الا بالحريبة ليس دونها شي
او يأتي على الأنفس ۞ ومن لا يصل الى ما
يريد حتى يمر بالنساء متكشفات. ومن عسى
اذا اخذ المرأة اخذ بكرا ان لا يرضى بان يتوعد
بذبح الاولاد ان لم يبق بالمال حتى يذبح. ومن
عسى ان تمكن شيئا او امن قليلا ان يركب
الحرم بالسوءة العظمى. وبالتي لا شوى لها
فما هذه الحال احق بالحراسة من تلك الاحوال
وبعد فلم صار نساء الحرميين يزرن ويزرن
ليلا. ونساء المصريين يزرن ويزرن نهارا او نساء
الحرميين لا يبتن نهارا او نساء المصريين لا
يبتن ليلا الا للمكابرات والا لمكان كثرة
من يستغني ويحوب للنعب والتسلق. فاذا
كان الامر كذلك فاي الامرين احق بالتحصين
والحياطة واينهما اشبه بالتغرير والاضاعة
اتخاذ الكلاب التي لا تنام عند نوم من قد

٢٠٤

200
٧٧

دأب نهاره او ترك اتخاذها وبقظة السراق
على قدر نوم المسروقين وعلى انا لو حلنا
بين حرس الاسواق وما تشتمل عليه من
جرايب الناس وبين اتخاذ الكلاب لامتنعوا
من ضمان الحراسة ولامتنع كل محروس
من اعطائه تلك الاجرة ولوجد اللصوص ذلك
من اعظم الغنم واجود الفرص او ما تعلمون
ان هذا الحريم وهذه الحرمات وهذه العقايل
من الاموال احق بالمنع والحراسة وبالدفع
عنها بكل حيلة من حفظ الغنم وحريم الراعي
وحرمة الاجير وبعد فان الذياب لا تجتمع
على قطيع واحد والذي يخاف من الذيب
السلة والخطف والاستلاب والاختلاس
والاموال التي في حوانيت التجار وفي منازل
اهل اليسار يأتيها من اهل العدد والعدة ومن
اصحاب النجدة من يحملها بحذافيرها مع
ثقل وزنها وعظم حجمها ثم يجالدون دونها

٢٠٠

ذلك بسيوف الهند وبالأذرع الطوال، وهم من
بين جميع الخليقة أولى بأنهم قد احتشوا من نفوسهم
من الجراءة وثبات العزيمة بما ليس مع غيرهم
لكانوا كغيرهم. ولولا أن قلوبهم أشد من قلوب
الأسد لما خرجوا على أن جميع الخلق يطالبونهم،
وعلى أن السلطان لم يول إلا مكانهم، والكلاب
لم تتخذ إلا للإنذار بهم، وعلى أنهم إن نذر بهم
قاتلوا قتال من لا يتجه إلا القتال، وعلى أنهم
إن أخذوا أماتوا كراماً. ولعل المدينة قد كانت
في ذلك الدهر مأمونة من أهل الفساد،
وكان أكثر كلابها عقوراً، وأكثر فتيانها
من بين مهارش أو مقامر، والكلب العقور
والكلب الكلب أشد مضرة من الذيب المأمور
بقتله، وقد يعرض للكلاب الكلب والجنون
لأمور، منها أن يأكل من لحوم الناس، ومنها
كالجنون الذي يصيب سائر الحيوان، وجهال
الناس اليوم يقتلون الوزغ على أن آباءها وأمهاتها

تعليل قتل الكلاب في المدينة

سبب عارضة الكلب الكلب

٢٥٦

كانت تنفخ على نار إبراهيم وتنقل إليها الحطب،
فاحسب أن آباءها وأمهاتها قد كن لا يعرفن
فضل ما بين النبي والمتنبي، وأنهن اعتقدن
عداوة إبراهيم عن تقصير في أصل النظر، أو
عن معاندة بعد الاستبانة، حتى فعلن ذلك،
كيف جاز لنا أن تزر وازرة وزر أخرى، إلا
أن تدعوا أن هذه التي تقتلها هي تلك الجاحدة
للنبوة والكافرة بالربوبية، وأنها لا تتناكح
ولا تتوالد، وقد كان يستقيم في البدي الأمر
بقتل أكثر هذه الأجناس، إما من طريق المحنة
والتعبد، وإما إذ كان الله قد قضى على جماعتها
الموت أن يجري ذلك على أيدي الناس
كما أجرى موت جميع الناس على يد ملك
واحد وهو ملك الموت، وبعد فلعل النبي
عليه السلام قال هذا القول إن كان قاله
على الحكاية لأقاويل قوم، ولعل ذلك
كان على معنى كان يومئذ معلوماً فترك

٢٥٧

الناس العلة ورووا الخبر سالما من العلل
مجردا غير مضمن ولعل من سمع هذا الحديث
شهد آخر الكلام ولم يشهد أوله ۞ او لعله
عليه السلام قصد بهذا الكلام الى ناس
من اصحابه قد كان دار بينه وبينهم فيه شيء
من من وكل ذلك ممكن سائغ غير
مستنكر ولا مدفوع وقد رويتم في الفواسق
ما قد رويتم من الحية والحدأة والعقرب
والفارة والغراب ورويتم في الكلب العقور
وكيف يقتلن في الحل والحرم فان كنتم فقهاء
فقد علمتم ان تسمية الغراب بالفسق والفارة
بالفويسقة ان ذلك ليس من شكل تسمية
القاذف ومن شكل تسمية ابليس وقد قالوا
ما فجر بها الا فاجر ولم يجعلوا الفاجر اسما له
لا يفارقه وقد يقال للفاسق من الرجال
خبيث وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا

٢٥٨

يقربن مصلانا وهو على غير قوله الخبيثات
للخبيثين وقد قال بعض الرجاز وذكر
ذئبا ۞

٢٥٩

اما اتاك عني الحديث ۞ اذ انا بالغائط استغيث
والذئب وسط غنمي يعيث ۞ وصحت بالغائط يا خبيث
وهذا الباب كثير وليس هذا موضعه وقد
ذكرناه في كتاب الاسم والحكم قد يشبه
الاسم الاسم في صورة تقطيع الصوت
وفي الخط في القرطاسين وان اختلفت
اماكنه ودلائله فاذا كان كذلك فانما
يعرف بصلته بالمتكلمين به وبالحالات
والمقابلات وبالذين عنوا بالكلام وهذه
جملة وتفسيرها مما يطول ۞ وقالوا وقد
امرنا بقتل الحية والعقرب والذئب والاسد
على معنى ينتظم معنيين احدهما الامتحان
والتعبد بفكر القلب وعمل الجارحة لا على
جهة الانتقام والعقوبة وامرنا بضرب

كتاب للمص

حكم ضرب الباغي

الباغي بالسيف إذا كانت العصا لا تغني فيه
على جهة العقاب ولم نؤمر بالقصد إلى قتله
وانما الغاية في دفع بأسه عنا فإن أتى ذلك
المقدار عليه كان كسارق مات من
قطع يده وكقاذف مات عن جلد ظهره
وقد أمرنا بالقصد إلى قتل الحيات والعقارب
وإن لم تعرض لنا في ذلك الوقت لأن جنسها
الجنس المتلف متى همّ بذلك وليس لنا أن
نضرب الباغي بالسيف إلا وهو مقبل غير
مدبر ولنا أن نقتل الحية مقبلة ومدبرة
كما يقتل الكافر مقبلاً ومدبراً إلا أن قتل
الكافر يجمع الامتحان والعقوبة وليس في
قتل الحية إلا الامتحان وقد كان يجوز أن
تمتحن بحبسها والاحتيال لمنعها دون قتلها
وإذا ولى الباغي من غير أن يكون يريد
الرجوع إلى فئة فحكمه الأسر والحبس
أبداً إلا أن يؤنس منه النزوع ه وسبيل

قتل الحشرات

الأحناش والسباع وذوات السموم من الهمج
والحشرات القتل مقبلة ومدبرة وقد
أبيح لنا قتل ضروب من الحيوان عندما
لا يبلغ من جناياتها علينا الخدش فضلاً
عن الجرح والقتل ه كالبعوض والنمل
والبراغيث والقمل والبعير قتله فساد
فإن صال على الناس صار قتله صلاحاً
وقتله حرام فإن خيف صار قتله حلالاً ه

ذكر المسوخ من الطاير المص

والحديث عن مسخ الضب والجري وعن
مسخ الكلب والحداة وأن الحمام شيطان
من جنس المزاح الذي كتبنا به إلى بعض
اخواننا ممن يدعي علم كل شيء فجعلنا
هذه الخرافات وهذه الفطن الصغار من
باب المسايل فقلنا له ما الشفناق
والشبصمان وتنكوبر ودكازات ومن
قاتل امرأة ابن مقبل ومن خانق الغريض
ومن هانئ بن سعد وخبرنا عن بني أقيش

وعن بني لبنى ومن زوجها وعن بني غزوان
ومن امرأته وعن شملقة وزوبعة والمهدعان
وعن النقاد ذي الرقبة وعن آصف ومن منهم
اشار بآصف سليم وعن اطيقس اسم كلب
اصحاب الكهف وكيف صارت الكلاب لا تنبح
من سماها وابن بلغ كتاب شرطهم وكيف
حدثوا عن ابن عباس في الفار والقرد والخنزير
والفيل والارنب والعنكبوت والجري انهن
كلهن مسخ وكيف خصت هذه بالمسخ وهل
يحل لنا ان نصدق بهذا الحديث على ابن
عباس وكيف صارت الظباء ماشية الجن
وكيف صارت الغيلان تتغير كل شيء الا
حوافرها ولم ماتت من ضربة وعاشت
من ثنتين ولم صارت الارانب والكلاب
والنعام مراكب الغيلان ولم صارت الروافد
مطايا السواحر وباي سبب تزوج اهل السعلاة
عمرو بن يربوع وما فرق ما بينه وبين

٢٦٧

عبد الله بن هلال وما فعلت العناق التي كانت
سمية نصبت على يد جرمي وابي منصور
وكم غضب من ذلك المذنب ۞ ولم مضى
على وجهه سفسف وما الفرق بين
الغيلان والسعالي وبين شيطان الحضراء
وشيطان الحماطة ولم علق السمك المالح باذنابه
والطير يثب باذانه وما بال الفراخ تحمل باجنحتها
والغزلان تحج بارجلها وما بال كل شيء اصل
لسانه داخل وطرفه مما يلي الهواء الا
لسان الفيل ولم قالت الهند لولا ان لسانه
مقلوب لتكلم ولم صار كل ماضغ واكل
يتحرك فكه الاسفل والتمساح يحرك فكه
الاعلى ولم صار لاجفان الانسان الاشفار
وليس للدواب الا الاجفان العالية وما بال
عين الجرادة وعين الافعى لا تدوران وما
بيضة الديك وما بيضة العصفور ولم امتنع
بيض الانوق وهل يكون الابلق العقوق فما

حضحك

لسان الفيل مقلوب

قبه

باك لبنان سمك البحر عديما ولم صار الغريق
من الرجال يطفو على قفاه ومن النساء
على وجهه ولم صار القتيل اذا قتل سقط
على وجهه ثم يقلبه ذكره وابن تذهب
شقشقة البعير وغرمول الحمار والبغل
وكبد الكوسج بالنهار ودم الميت ولم
انتصب خلق الانسان من بين سائر الحيوان
واخبرني عن الضفادع لم صارت تنق بالليل
فاذا ابصرت النهار امسكت ۞ وقالوا قد
عارضناكم بما يجري مجرى الفساد والخرافة
لنردكم الى الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج
الظاهر التاويل فان عجبتك هذه المسايل
واستطرفت هذا المذهب فاقرا رسالتي الى
احمد بن عبد الوهاب الكاتب فهي مجموعة
هناك ۞ والكلاب اصناف لا يحصيها
الا من اطال الكلام وجملة ذلك ان ما كان
منها للصيد فهي الضراء وواحدها ضروة

٢٦٤

ذكر رسالته

اصناف الكلاب

فهي الجوارح والكواسب ونحن لا نعرفها
الا في السلوقية وهي احرار الكلاب وعتاقها
والخلاسية هجنها ومقاربها وكلاب الرعاة
من ذلها وكودنها فهي حواديها ومحامرتها
وقد تصيد الكلاب غير السلوقية ولكنها
تقصر عن السلوقية بعيدا وسلوق من ارض
اليمن كان لها حديد كريم العتاق فيرجح
الجوهر وقد قال النابغة ۞
تجد السلوقي المضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباحب
وقال الاصمعي سمعت بعض الملوك وهو
يركض خلف كلب وقد دنا خطمه من عجب
ذنب الظبي وهو يقول ايهن فدتك نفسي
وانشد لبعض الرجاز ۞
مقدبات وملعبات
وقال صاحب الديك ولما كان الكلب عندهم
يجمع خصال اللوم والنذالة والحرص والشره
والبذاء والتسرع واشباه ذلك صاروا

٢٦٥

قول صاحب الديك

يشتقون من اسمه لمن هجوه بهذه الخصال

قال بشار

واستغن بالوجنات عن ذهب لم يبق قبلك لامرئ ذهبه
برد الحر بص على متالفه والليث يبعث جبنه كلبه

قول صاحب الكلب

وقال صاحب الكلب لما اشتقوا من اسمه
للأشياء المحمودة أكثر قال الحارث
ابن طفيل

ومدجج يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب

ومن ولد ربيعة بن نزار أكلب بن ربيعة
وكلاب بن ربيعة ومكالب بن ربيعة ومكلبة
ابن ربيعة بن نزار وفيهم من السباع أسد
وضبيعة وذيب وذؤيب وفيهم خمسة عشر
رجلا ثمانية من جميع السباع ومن الثمانية
اربعة مشتقة من اسم الكلب ومن هذا
الباب كلب بن يربوع وكلاب بن ربيعة
وكلب بن وبرة ومنه بنو الكلبة وقد قال
الشاعر

٢٦٦

شب كفيك من أبني نزار لراغب بنو الكلبة الشم الطوال الأسالج

والكلبة لقب ثمية بنت علاج بن شحمة العنبري
وبنوها بنو الكلبة الذين سمعت بهم حين وجها
خزيمة بن النعمان من بني ضبيعة بن ربيعة
فهي امهم وفيها يقول شبيل بن عزرة الضبعي
صاحب الغريب وكان شيعيا من الغالية
فصار خارجيا من الصفرية

بنو كلبة هرارة وأبوهم خزيمة عبد خامل الأصل أوكس

وفي ثمية الكلبة يقول أبوها وهو علاج
ابن شحمة

إن تك قد بانت ثمية غربة فقد كان مما لا يمل مزارها
دعتها رجال من ضبيعة كلبة وما كان يشكى في المحل جوارها

ومما اشتق له من اسم الكلب من القرى
والبلدان والناس وغير ذلك قولهم في
الوقعة التي كانت بارم الكلبة وذلك قولهم
حين نزلنا من السراة وصرنا الى نجد الكلبة
وكان شبب خروج مالك بن فهم بن غنم

٢٦٧

ابن دوس من ازد شنوءة بالسراة ان بني اخيه
قتلوا كلبة لجاره وكانوا انجد منه فغضب
ومضى الى عمان فسمي ذلك النجد الذي
هبط منه نجد الكلبة ۞ وبطسوج بادوريا
نهر يقال له نهر الكلبة ويقولون كان ذلك
عند طلوع كوكب الكلب ومن ذلك قولهم عماد
ابن انف الكلب وكان رجلا من العلبة عالما
بالاخبار وايام الناس ۞ ومن ذلك ابو
عمرو الكلب الجرمي وابو عامر الكلب
النحوي وكان عمرو صبيا نحويا فرضيا
وعلويه كلب المطبخ وكان اشرب الناس
للنبيذ وقد رايتموا بينه وبين محمد بن علي
والكلب كلب الماء وكلب الرحى الضبة
التي يقال لها الكلب وكذلك الكلبة
والكلبتان والكلاب والكلوب وقال راشد
ابن شهاب ۞

٢٦٨

أمتكن كلاب القنا من تغورها وأحضب وما يبدوا من اشباهها بدم

وقال ۞
فسوف يرى الاقوام ديني ودينكم اذا كلبتا قين ومقراضه بدم
وقال الاخر ۞
ما زال مذ كان غلاما نستبر له على العير اكاف وثفر
والكلبتان والعلاة والوتر
وقال الاشهب بن رميلة وكان اول من رمى
بني مجاشع بانهم قيون ۞
يا عجبا هل يركب القين الفرس وعرق القين على الخيل نجس
وانما اداته اذا جلس الكلبتان والعلاة والقبس
وكان اسم المزنوق فرس عامر بن الكلب ۞
وقد زعم بعض العلماء ان حرب ايام بني امية
انما كانت بسبب كلب ۞ قال صاحب
الديك فقد قيل للخوارج كلاب النار وللنوابح
كلاب النار ۞ وقد قال جندل بن الراعي
لابيه في وقوفه على جرير ما بالك تطيل
الوقوف على كلب بني كليب ۞ وقال
زفر بن الحارث ۞

قول صاحب الديك

٢٦٩

يا كلب قد كلب الزمان عليكم وأصابكم منا عذاب مرسل
إن السماوة لا سماوة فالحقي بمنابت الزيتون وابني بحدل
وبأرض عك في السواحل إنها أرض تزوب بها اللقاح وتنزل

وقال الحصين بن القعقاع بن ثني عتيبة بن
الحارث

بكى النعي بخير خندف كلها بعتيبة بن الحارث بن شهاب
قتلوا ذؤابا بعد مقتل سبعة فشفى الغليل ودينة المرتاب
يوم الحليس بذي الفقار كأنه كلب بضرب جماجم ورقاب

وقال الآخر

لله در بني الجداء من نفر وكل جار على جيرانه كلب
إذا غدوا وعصي الطلح أرجلهم كما انتصب وسط البيعة الصلب

وإذا كان العود سريع العلوق في كل زمان
وكل أرض أو في عامة ذلك قالوا إنما هو إلا
كلب. وقالوا قال النبي صلى الله عليه وسلم
في وزر بن جابر حين خرج من عنده واستاذنه
الى اهله نعم ان لم تدركه ام كلبة يعني الحمى
ومما ذكروا به العضو من أعضاء الكلب

٢٧٠

ام كلبة الحمى

والكلبة والخلق منهما أو الصفة الواحدة
من صفاتهما أو الفعل الواحد من أفعالهما
قول ذي الرمة: لاقيت مطلا كنعاس الكلب
يقول مطلا مقرمطا ذا نيما. وقال الشاعر

يعود بها دليل القوم نجم كعين الكلب في هبي قباع

يقال بهذه أرض ذات ... من الجدب لا
يبصر القوم فيها النجم الذي يهتدى به إلا
وهو كأنه عين الكلب لأن الكلب أبدا مغض
غير منطبق الجفن ولا مفتوح. والهبي المظلمة
واحدها هابي والجمع هبي مثل غاز وغزا
والقباع التي قد قبعت في القتام واحدها
قابع كما يقبع القنفذ وما أشبهه في
جحره. وأنشد لابن مقبل

ولا أطرق الجارات بالليل قابعا قبوع القرنبى أخلفته مجاحره

والقبوع الاجتماع والتقبض. والقرنبى دويبة
أعظم من الخنفساء. وقال الآخر في صفة
بعض ما يعرض له من العيوب

٢٧١

ما ضر تغلب وائل أهجوتها ... أم بلت حيث تناطح البحران
إن الأراقم لن ينال قديمها ... كلب عوى متهتم الأسنان

وقال الشاعر في منظور بن زبّان

لبئس ما خلف الآباء بعدهم ... في الأمهات عجان الكلب منظور

ومن هذا الضرب قول الأعرابي

أظن هدادًا أنني سأطيعه ... وأني سأعطيه الذي كنت أمنع
إذا غرّ ورّقت عيناه واحمرّ وجهه ... وقد كاد غيظًا جلده يتبضّع
تقدّم في الظلم المبين عامدًا ... ذراعًا إذا ما أرخيت لك إصبع
كفعل كليب كنت أنبئت أنه ... يخطط أكلاء المياه ويمنع
يجير على أفناء بكر بن وائل ... أرانب ضاح والظباء فترتع

وقال دريد بن الصمة

لعمرك ما كليب حين دلّى ... بحبل كلبه فيمن يميح
بأعظم من بني سفيان بغيًا ... وكل عدوّهم منهم مريح

وقال عباس بن مرداس

كما كان يبغيها كليب بظلمه ... من العز حتى طاح وهو قتيلها
على وائل إذ يترك الكلب نابحًا ... وإذ يمنع الأكلاء فيها حلولها

وقال عباس بن مرداس لكليب

ابن عمه الظفري

أكلب إنك كل يوم ظالم ... والظلم أنكد وجهه ملعون
أتشوم قومك ما أراد بوائل ... يوم الغدير سميّك المطعون
وإخال أنك سوف تلقى مثلها ... في صفحتيك سنانها مسنون

وقال النابغة الجعدي

كليب لعمري كان أكثر ناصرًا ... وأيسر ذنبًا منك ضرّج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة ... كحاشية البرد اليماني المسهّم

وقال قطران العبشمي ويقال العبسي

ألم تر جساس بن مرة لم يرد ... حمى وائل حتى احتذاه جهولها
أجرّ كليبًا إذ رمى الناب طعنة ... جرت وائلًا حتى استخف عقولها
بأهون مما قلت إذ أنت شادن ... وللدهر والأيام والليل يديلها

وقال رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة

نحن أبيننا تغلب ابنة وائل ... بقتل كليب إذ طغى وتخيّلا
أباناه بالناب التي شق ضرعها ... فأصبح موطوء الحمى متذللا

وقال رجل من بني سدوس

وأنت كليبي لكلب وكلبة ... لها بين أطناب البيوت هرير

وقال ابن مقبل العجلاني

بكت أم بشر أن تبدد رهطها ۝ وأن أصبحوا منهم شريد وهالك

فإن كلى حييك منهم بقية ۝ لو ان الهنا باحالها متماسك

كلاب وكعب لا تبيت اخوهم ۝ ذليلا ولا تعيا عليه المسالك

وقال رجل من الخوارج لمعوية بن ابي سفيان

قد سرت شبر كلب في عشيرته ۝ لو كان فيهم غلام مثل جساس

الطاعن الطعنة النجلاء عن عرض ۝ كطرة البرد اعيا فتقها الآسي

تم الجزء الاول من كتاب الحيوان

يتلوه وقال ابو اليقظان في مثل هذا

الاشتقاق كان اول عمل وليه

الحجاج تبالة

والحمد لله وصلى الله على نبيه محمد واله وصحبه وسلم

ملكه عبد الله [illegible] المالكي [illegible] من الله [illegible]

بالابتياع الشرعي بمكة المشرفة [illegible]

[illegible] غفر الله له ولوالديه

[illegible] سنة [illegible] وعشرين وثمانمائة